من روائع البديع في الحديث النبوي الشريف

الدكتور
محمد خلف الجبوري



info.daralbedayah@yahoo.com
خبراء الكتاب الاكاديمي



دار المستقبل
للنشر والتوزيع

مختصون
بإنتاج الكتاب الجامعي



دار البداية
ناشرون وموزعون
خبراء الكتاب الأكاديمي

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

من روائع البديع

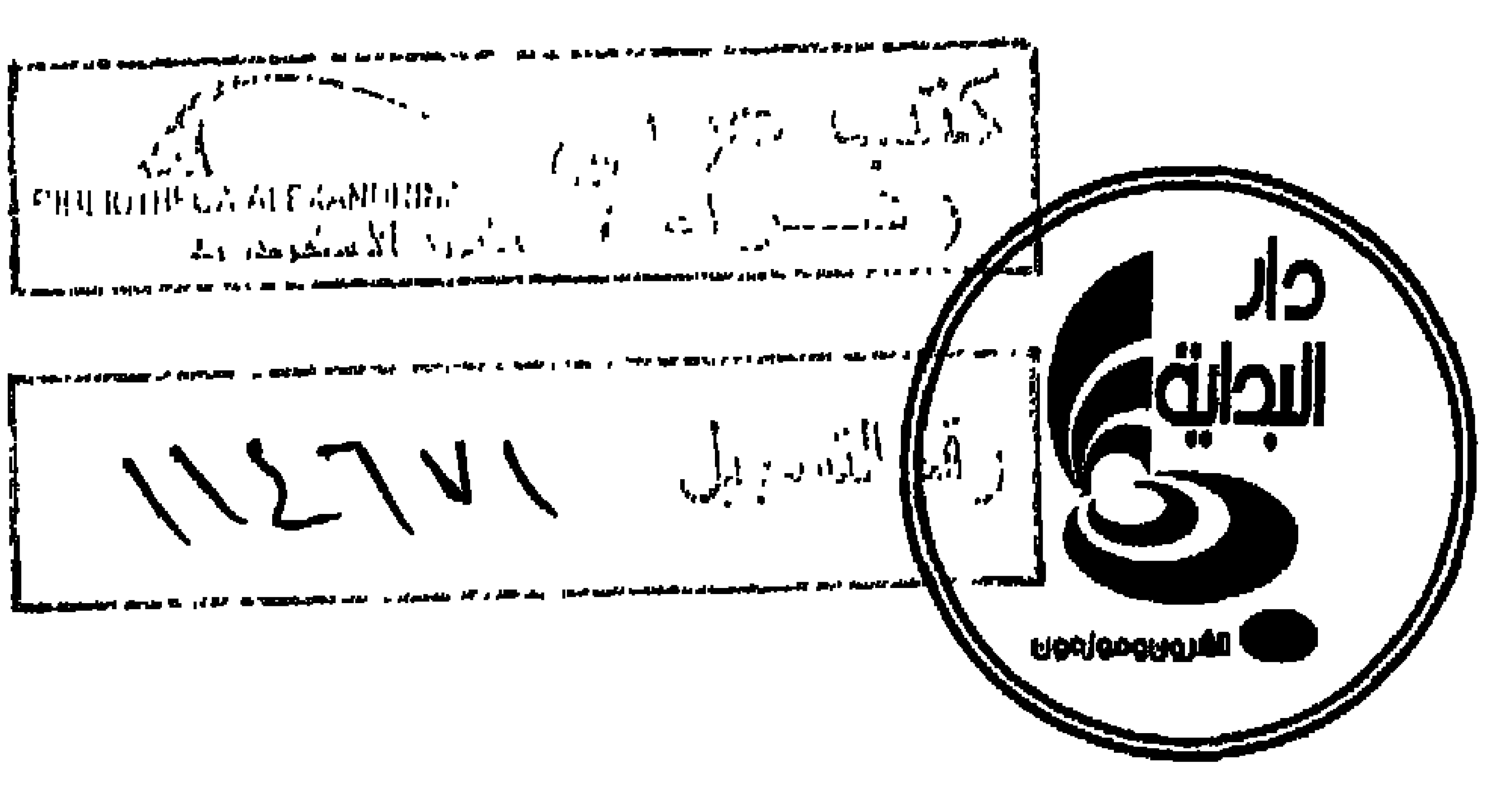
في الحديث النبوي الحديث

من روائع البديع في الحديث النبوي الشريف

محمد خلف الجبوري

الطبعة الأولى

2013م - 1434هـ



دار البداية ناشرون وموزعون

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2012 /7 / 2787)

230
الجبوري، محمد خلف
من روائع البديع في الحديث النبوي الشريف/ محمد خلف الجبوري. عمان: دار البداية ناشرون وموزعون، 2012.
( ) ص.
ر.أ.: (2787/ 7 / 2012)
الواصفات: /الحديث النبوي/
*يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الطبعة الأولى

2013م/1434هـ



دار البداية ناشرون وموزعون
عمان – وسط البلد
هاتف: 4640679 6 962+ تلفاكس: 4640597 6 962+
ص.ب 510336 عمان 11151 الأردن
Info.daralbedayah@yahoo.com
مختصون بإنتاج الكتاب الجامعي
ISBN: 978-9957-82-221-7 (ردمك)

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع

الموضوع	الصفحة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد (ﷺ) المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته واقتفى أثره وسار على هديه إلى يوم الدين وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

وبعد: إن العمل في الحديث النبوي شرف ما فوقه شرف، إلا العمل في القرآن الكريم، فلقد شهد الدارسون قديماً وحديثاً بعلو البلاغة النبوية، تلك البلاغة التي كانت إحدى دلائل النبوة الشريفة، "هذه البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها، وحسرت العقول دون غايتها" [1].

فيها جاء التكليف إلى الإنسان، وتوجه إليه بالأمر والنهي، وطلب الفعل والترك، والتي قسمها الأصوليون إلى: واجب، ومندوب، ومحرّم، ومباح ومكروه.

وقد تحققت رغبتي في هذا النمط من الدراسة حين شرعت برحلة اختيار الموضوع، والتي سجلت فيها موضوعاً للبحث في النص القرآني، وبعد جهد من البحث في جمع المادة العلمية تبين أن الموضوع مدروس في جمهورية مصر العربية ومطبوع بكتاب منشور، اضطر الباحث إلى إعادة المشاورات مع الأستاذ المشرف الدكتور أحمد حمد محسن الجبوري، وأساتيذي في قسم اللغة العربية في جامعة تكريت وجامعة الموصل.. إلى أن أشار عليَّ الأستاذ المساعد الدكتور إبراهيم الحمداني هذا الموضوع، عنواناً لهذه الدراسة، وبعد البحث والاستقصاء والتمحيص تحصلت قناعة راسخة بجدوى دراسته لأسباب منها: جدة الموضوع في مجال الدراسات التي تناولت الحديث النبوي الشريف، والرغبة في خدمة السنة النبوية فهي جديرة بالاهتمام في جانبها البلاغي بالإضافة إلى الجوانب الأخرى.

(1) إعجاز القران والبلاغة النبوية: 215.

ومن هنا كانت دراستي لهذا اللون البديعي في كتاب صحيح البخاري: لأبي عبد الله بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ).

أما بناء البحث وخطته فقد اقتضت طبيعة الدراسة أن يقوم على مقدمة وتمهيد وفصول أربعة وخاتمة.

اشتمل التمهيد على فقر ثلاث، آخذاً بأسباب المنهج التأريخي في تأصيل هذا المصطلح وهذه الفقرات هي:

1. الطباق في معاجم اللغة والمعاني.
2. الطباق في اصطلاح علماء اللغة.
3. مناقشة آراء العلماء وفق التسلسل الزمني لها، ومن ثم الخروج بخلاصة لهذه الآراء ثم قسم الفصل الأول إلى مبحثين على الترتيب:

المبحث الأول: تناول ألوان التضاد اللغوي والبلاغي وإشكالية تحديد المصطلح وما كان فيه من التداخل وانتقل البحث إلى كشف الفروقات بين المقابلة والمطابقة مستنداً إلى المعاجم اللغوية وأتى بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي ومن كلام العرب شعراً ونثراً.

أما المبحث الثاني: فقد تناول الطباق اللفظي بقسميه الحقيقي والمجازي، مع التركيز على الطباق باعتبار الحس والعقل، كونهما مجال الإدراك والتعلم، أما الفقرة الأخرى من المبحث فقد تناولت الفرق بين الطباق الحقيقي والطباق المجازي.

واحتوى الفصل الثاني على مبحثين.

الأول تناول طباق الإيجاب في صحيح البخاري متضمناً طباق الأمرين والنهيين.

الثاني تناول طباق السلب في صحيح البخاري متضمناً طباق الأمر والنهي والإثبات والنفي أما الفصل الثالث فقد خصص في مبحثه الأول على إبراز الطباق المجازي في صحيح البخاري، وبلاغة هذا النوع من الطباق وجمالياته، وبلاغه طباق السلب وجمالياته، بالإضافة إلى بلاغة طباق الترشيح وجمالياته، وبلاغة طباق التدبيج وجمالياته.

أما المبحث الثاني فتناول البحث في طباق القصص النبوي والتي قسمها الباحث إلى ثلاثة أقسام "قصص الأمم السابقة" وأما التي حدثت في زمن النبي (ﷺ) فأسميتها بـ"القصة الحالية"، والقصة التي أخبر عنها النبي (ﷺ) وهي من الغيب الذي أطلعه عليه الله تعالى فقد اصطلح البحث على تسميتها بـ (القصة المستقبلية- الغيبية) في حين تناول الفصل الرابع النوع الآخر من الطباق وهو الطباق المعنوي بنوعيه، الظاهر والخفي، حيث تناول المبحث الأول الطباق المعنوي الظاهر- التركيب والافرادي، وتناول المبحث الثاني الطباق المعنوي الخفي التركيب الافرادي.

ثم ينتهي مطاف البحث بخاتمة عرضت لأهم النتائج وقائمة لمصادر البحث ومراجعه.

أما عقبات البحث ومعوقاته فلن نطيل الشكوى فيها، فهي معروفة ومتوقعة، ولعل أهمها التكرار في ذكر الأمثلة في جميع الكتب التي تناولت هذا اللون من الألوان البديعة المعنوية التي لها الأثر البالغ في تجميل الأسلوب وإبراز المعاني؛ لأنه يتجاوز ظواهر الألفاظ إلى بواطنها، ويغوص في المعاني، ويحقق بذلك الإثارة، والجمال، والإدهاش في القدرة البلاغية على الجمع بين الأضداد عفواً بلا تكلف ولا تصنُّع، فهو نوع من التحدي بين المعاني.

والعقبة الثانية التي واجهت الباحث هي قلة المصادر التي تدرس الحديث النبوي دراسة تحليلية.

أما مصادر البحث فكثيرة وأهمها: اعتمد البحث على كتاب صحيح البخاري مصدراً رئيسياً للأحاديث النبوية، كما اعتمد بعض كتب شروح البخاري، وهي: فتح الباري وعمدة القارئ وهدي الساري، وعلى الكتب البلاغية منها أسرار البلاغة، ومفتاح العلوم، والتبيان في علم البيان، والتبيان في البيان، وشرح مواهب الفتاح، وأساس البلاغة، وخزانة الأدب والصورة الفنية في الحديث النبوي الذي أفاد منه الباحث كثيراً، وكذلك كتاب دراسات في البيان النبوي وغيرها.

وها هنا لابد من وقفة شكر بعد شكر الله ورسوله والوالدين، لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور أحمد حمد محسن الجبوري، الذي أنار للبحث دروباً كانت مظلمة، بعد أن وسع الله صدره لاحتمال تقصيري وجهلي، ففتح لي باب داره وخولني ما حوت مكتبته الخاصة من كتب انتقي منها ما أشاء فأولاني رعاية الوالد لولده وتولى البحث سقياً ورعاية منذ أن كان فكرة تجول في الذهن حتى خرج بهذا الشكل والمضمون فجزاه الله خير الجزاء، ورفعه بعلمه الدرجات التي بشر بها المؤمنون والذين أوتوا العلم في محكم كتابه المبين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى أساتيذي اللذين درسوني في السنة التحضيرية، الأستاذ الدكتور صالح الجميلي والأستاذ الدكتور خالد عبد حربي، والأستاذ المساعد الدكتورة أسماء صابر، والأستاذ المساعد الدكتور خلف حسين، والأستاذ المساعد الدكتور نوفل التكريتي، والدكتورة خولة محمود، والأستاذ المساعد الدكتور جمعة حسين، حفظهم الله جميعاً وشكر خاص إلى أستاذي الفاضل إبراهيم محمد محمود الحمداني فله الفضل في اقتراح الموضوع والشكر موصل إلى زملائي في الدراسة: عادل إسماعيل واحمد محمد شريف وفاطمة علي وبثينة بديع، الذين كانوا نعم العون ونعم الأصحاب.

كما أخص بخالص الشكر والامتنان إخوتي الأعزاء الأحبة: كامل، وحمد، وعماد، وأياد، ورواد، وحسان الذين كانوا يحملون عني همومي ومشاغلي ومشاكلي فجزآهم الله عني كل الخير.

ولـن أنسـى أن اشكر أخـواتي ، وزوجـات إخـوتي ، وزوجـي، اللـواتي كـن علـى الدوام يبتهلن إلى الله تعالى لي بالسداد والتوفيق.

وأخيراً أتقدم بالشكر والامتنـان لـرفقتي في القسم الداخلي في تكريت ياسـر وشـاهين وأحمـد، وإلى الأخ العزيـز نبهـان زمبـور عـنتر والأخ حـاتم الاسـحاقي والأخ محمـد زيـدان والأخ العزيـز علـى الأثـري والأخ العزيـز دانـا وإلى والأخ الـدكتور صـكر خلف عـواد والأخ الـدكتور عمـاد مجيـد والأخ الـدكتور سـعد عبـد الـرحيم وإلى الأخ الأسـتاذ المسـاعد الـدكتور محمـد الراشـد، والأخ الـدكتور أحمـد إبـراهيم والأخ الـدكتور راوي الجبـوري والأخ حسـين إبـراهيم علـي، والأخ العزيـز رعـد المزروعـي وإلى جميع أهالي قريتي ومن مد لي يد العون والمساعدة من قريب أو بعيد.

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من خطأ أو سهو أو زلل أو نسيان فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلي اللهم وبارك وانعم وأكرم على المبعوث رحمة للعالمين وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الغُر الميامين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

المؤلف

تمهيد

1) المفهوم اللغوي للمطابقة:

قال الخليل: "ويقال: أطبق الرَّحَيَينِ أي: طابق بين حجريه فيقال: له إطباق الحَنَكَيْنِ، والسماوات طِباقٌ بعضُهما فوق بعض، الواحدةُ طبقةٌ، ويذكَّرُ فيقال: طَبَقٌ واحدٌ، والطبقة: الحال، ويقال: كان فلان على طبقات شتىً من الدنيا، أي حالاتٌ.

وقوله تعالى: (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ) [الانشقاق: 19] أي حالاً عن حالٍ يوم القيامة[1]...

"... والمطابقة في المشي كمشي المقيَّد، طابقْتُ بين الشيئين: جعلتهما على حذوٍ واحدٍ وألزمتهما فيُسمَّى هذا المطابَقَ... وتقول لو تطبقت السماء على الأرض ما فَعَلْتُ، وفي الحديث: "لله مائةُ رحمةٍ، كل رحمة كطباق الأرض أي تغشى الأرض كلها"[2].

وقال ابن منظور: وتطابق الشيئان إذا تساويا، والمطابقة الموافقة، والتطابق: الاتفاق، وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذوٍ واحدٍ وألزمتهما، وهذا الشيء وَفْقُ هذا ووِفاقه وطباقُهُ وطابَقَه، وطبيقهُ، ومطبقهُ وقالِبُهُ بمعنى واحد، ومنه قولهم: وافق شنٌ طبقَة، وطابق بين قميصين: لبسَ أحدهما على الآخر"[3].

ونقل الزبيدي عن الزجّاج: "معنى طباقاً مطبقٌ بعضهما على بعض"[4].

(1) هكذا فسَّرهُ ابن عباس، مختصر صحيح البخاري، 410، رقم الحديث: 4940.

(2) العين: 561.

(3) لسان العرب: 8/ 120.

(4) تاج العروس: مادة (طبق) 26/ 60.

وجاء في مختار الصحاح في معنى: "(ط ب ق)... والتطبيق في الصلاة جعل اليدين بين الفخذين في الركوع، و"المطابقة" الموافقة و"التطابق" الاتفاق.

وطابق بين الشيئين جعلهما على حذوٍ واحد وألزقهما، وأطبَقوا على الأمر أي اتفقوا عليه، و"أطبق" الشّيء غطّاه وجَعَله "مطبقاً فتَطَبّق".. والحُمّى "المطبقِة" بكسر الباء الدائمة التي لا تُفارِق ليلاً ولا نهاراً، والطابَقُ الأجُرُّ الكبير فارسيٌّ معرَّب"[1].

وجاء في المنجد ما جاء في غيره من المعاجم اللغوية التي تكلمت في المفهوم اللغوي للمطابقة؛ لذا لن ننقله تحاشياً للتكرار[2].

2) الطباق في الاصطلاح:

من خلال إطلاع الباحث على ما تناوله علماء اللغة والبلاغة لموضوع "التضاد" و"الطباق" أنهم يكادون يجمعون على خلاصة للقول بينهم في تعريفاتهم وتناولهم بالبحث لهذا الفن البديعي، وهو: الجمع بين الشيء وضده في الكلام من خلال لفظتين متضادتين يتنافى وجودهما معاً في شيء واحد، في وقت واحد، وقد يكونان بلفظتين مُتَّحِدَين في الاسمية، أو الفعلية، أو الحرفية، أو بخلاف ذلك، وهذا يلمسه الدارس لما تناولوه من تعريفات بلاغية لهذا الفن وتسميات، ومنها: "مجاورة الأضداد"[3]، "الطباق"[4]، "المطابقة"[5]، "التكافؤ"[6]، "المطابقة"[7]، "التطبيق"[8]، "البديع"[9]، "المقابلة"[10]، "التضاد"[11].

---

(1) مختار الصحاح: 388.

(2) ينظر: المنجد: 460.

(3) قواعد الشعر: 53.

(4) تحرير التحبير: 31، نهاية الأرب: 7/ 98، التلخيص: 348، الإيضاح: 192، التبيان: 284، خزانة الأدب: 1/ 69، البرهان في علوم القران: 3/455.

(5) الوساطة: 44، إعجاز القرآن: 80، العمدة: 5/2، مفتاح العلوم: 179، المثل السائر: 3/ 143، كفاية الطالب: 128، مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص: 4/ 286، حسن التوسل: 199، التبيان: 284.

(6) الموازنة: 254.

(7) سرُّ الفصاحة: 191.

(8) البديع في نقد الشعر: 36، الطراز: 564، الفوائد المشوق: 145.

(9) المثل السائر: 3/ 143، الطراز: 564.

(10) الطراز: 654.

(11) التبيان: 161.

وفيما يأتي جدول مرتب، فيه تعريفات العلماء للطباق، جدولتها على وفق الترتيب الزمني لسني وفياتهم؛ كل ذلك لغرض المقارنة والتوضيح وبيان ما يجتمع منها على صعيد دلالي واحد، ومن ثم مناقشة آرائهم حول هذه المسميات للمصطلح البلاغي الواحد، كما في الجدول الآتي:

المعرِّف	الوفاة	المصطلح	(حَدّ المصطلح عنده)	اسم الكتاب/ الجزء
الخليل بن أحمد الفراهيدي	175 هـ	المطابقة	طابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذوٍ واحدٍ	العين / 561
سيبويه	180 هـ	الطباق	اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين	الكتاب / 24/1
أبو العبّاس، ثعلب	291 هـ	مجاورة الأضداد	ذكر الشيء مع ما يعدم وجوده	قواعد الشعر/ 53
أين المعتز	296 هـ	المطابقة	طابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذوٍ واحد وهو كما يبدو – مأخوذ عن الخليل	البديع / 74
التبريزي	322 هـ	الصباق	أنْ يُؤْتَى بالمعنى وضده أو ما يقوم مقام الضد	الوافي/ 258
الآمدي	370 هـ	المطابقة	مقابلة الحرف بضدِّهِ أو ما يقارب الضّد	الموازنة/ 254
قدامة بن جعفر	377 هـ	التكافؤ	هو أنْ يصف الشاعر شيئاً أو يذمه أو يتكلّم فيه بمعنىً ما، أي معنى كان، فيأتي بمعنيين متكافئين، والذي أريد بقولي متكافئين في هذا الموضع: متقاومان إمّا من جهة	نقد الشعر/ 163

المعرِّف	الوفاة	المصطلح	(حَدّ المصطلح عنده)	اسم الكتاب/ الجزء
			المضادة، أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل.	
الرُّمَّاني	386 هـ	المطابقة	مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان	ثلاث رسائل في إعجاز القرآن/ 178
الحاتِمي	388 هـ	الطباق	الطباق: هو ذكر الشيء وضده	حلية المحاضرة: 142/1
عبد العزيز الجرجاني	392 هـ	الطباق	ما جمع فيه بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان	الوساطة/ 44
ابو هلال العسكري	395 هـ	المطابقة	هي الجمع بين الشيء وضده في جُزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين الليل والنهار، والحر والبرد	كتاب الصناعتين/ 276
الباقلاني	403 هـ	المطابقة	ذكر الشيء وضده	إعجاز القران/ 81
ابن رشيق القيرواني	463 هـ	الطباق، المطابقة	أن يقع في الكلام شيءٌ مِمّا يستعمل للضدَّين: كقولهم جلل بمعنى صغير وجلل بمعنى عظيم	العمدة: 2/ 12
الخفاجي	466 هـ	الطباق	أن يكون أحد المعنيين مضاداً للآخر أو قريباً من المضاد	سِرُّ الفصاحة/ 191

المعرِّف	الوفاة	المصطلح	(حَدّ المصطلح عنده)	اسم الكتاب/ الجزء
عبد القاهر الجرجاني	471 هـ	التطبيق	مقابلة الشيء بضدِّه	أسرار البلاغة/ 20
أُسامة بن منقذ	584 هـ	التطبيق	أنْ تكون الكلمة ضد الأُخرى	البديع في نقد الشعر/ 36
المعرِّف	الوفاة	المصطلح	(حَدّ المصطلح عنده)	اسم الكتاب/ الجزء
الخوارزمي	-	المكافأة	وسماها المطابقةَ إذا كانت في الشعر حصراً واستشهد بقول لأبي جعفر المنصور: "يا أيها الناس لا تخرجوا من عز الطاعة إلى ذل المعصية وقال إن هذا في الشعر يسمى المطابقة	مفاتيح العلوم/ 47
السكاكي	626 هـ	المطابقة	وهي أَن تجمع بين متضادَّين	مفاتيح العلوم/ 533
ابن الأثير	637 هـ	المطابقة	أن يقابل الشيء بضدِّه	المثل السائر/ 144
ابن الزملكاني	651 هـ	الطباق	الجميع بين الضدين	التبيان في علم البيان/ 170
ابن يعقوب المغربي	653 هـ	المطابقة	والمراد بالتضاد والتقابل هنا أن يكون بين الشيئين المتضادين تنافرٍ وتقابلٌ ولو في بعض الأمور	مواهب الفتاح: 4/ 286
ابن أبي الأصبَع المصري	654 هـ	المطابقة	الكلام الذي قد جُمِعَ فيه بين الضدين	تحرير التحبير/ 111
المظفر العلوي	656 هـ	الطباق	أنْ يأتي الشاعر في البيت الشعري بالشيء وضده	نضرة الإغريظ/ 99

المعرِّف	الوفاة	المصطلح	(حَدّ المصطلح عنده)	اسم الكتاب/ الجزء
حازم القرطاجَنّي	684 هـ	المطابقة	المطابقة المحضة وهي مفاجأة اللفظ بما يضادُّهُ من جهة المعنى، والمطابقة غير المحضة التي تنقسم بدورها إلى مقابلة الشيء بما يتنزل منه منزلة الضد والى مقابلة الشيء بما يخالفه	منهاج البلغاء/ 49
ابن الأثير الحلبي	737 هـ	الطباق	ذكر الشيء وضدِّهِ	جوهر الكنز/ 84
القزويني	739 هـ	المطابقة	وهي الجمع بين متضادَّيْن، أي معنيين متقابلين في الجملة	التلخيص/ 348
الطيبي	743 هـ	المطابقة	الجمع بين اللفظين الدالين على المعنيين المتضادين حقيقة أو تقديراً	التبيان/ 161
التفتازاني	752 هـ	المطابقة	وهو الجمع بين متضادَّيْن أي: معنيين متقابلين في الجملة	المطوَّل/ 653
ابن حُجّة الحموي	837 هـ	المطابقة	أن يطابق الضد بالضد	خزانة الأدب: 1/ 160
التهانوي	1191 هـ	التضاد	الجمع بين معنيين متضادين	كشاف اصطلاحات الفنون: 1/874

من خلال الخلاصات الموجزة والمقتضبة التي جاءت في الجدول السابق، نجد أنَّ من أوائل العلماء الذين أشاروا إلى مصطلح الطباق – ومع أنه جاء من خلال المفهوم اللغوي وفي معجم لغوي – إلا أنها أوّلُ إشارة إلى هذا المصطلح من أوّل علماء اللغة وهو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ)، بقوله: "طابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذوٍ واحد"[1]، وهذا يدل على أن هذين الشّيئين لم يكونا على حذو واحد فكان بينهما تضادٌّ في أَصل وجودهما وتكوينهما.

ثم جاء أحد تلامذته وأَشهرهم وهو سيبويه (ت 180 هـ) والذي أشار إلى مصطلح الطباق بقوله: "إعلم أنَّ من كلامهم اختلاف اللفظين لإختلاف المعنيين، نحو قولك: قام وجلس، وذهب وجاء"[2].

ثم توالت التأليفات بعد سيبويه في "التضاد" فكان قطرب (ت 206) من أوائل الذين ألّفوا في الأضداد مؤلف خاص سماه: "كتاب الأضداد"[3]، ثم جاء من بعده يحيى بن زياد الفرّاء (ت 207 هـ) فألف كتاباً يحمل نفس التسمية، ثم نجد بعده الأصمعي (ت 216 هـ) ثم يعقبه التوزي (ت 233 هـ) وابن السكيت (ت 242 هـ)، والحقيقة أن كل هذه المؤلفات كان الغاية منها هو الجمع والاستقصاء؛ إذ إن ذلك العصر اتسم بالجمع والاستقصاء والسعي في البوادي وراء ألفاظ العربية، ثم تغيّر هذا السبب – في النصف الثاني من القرن الثالث – عند أبي حاتم السجستاني (ت 248 هـ) إلى سبب ديني هدفه خدمة القرآن الكريم وخشية الوقوع في الخطأ فيه[4]، مع ملاحظة التداخل الذي لا يزال بين مصطلحي"الطباق" البلاغي و "التضاد" اللغوي فاغلب هذه الكتب إنما الفت في ألفاظ "التضاد" اللغوي، ومنها كتاب أبي حاتم الذي بيّن سبب تأليفه بقوله: "حملنا على تأليفه انا وجدنا من

---

(1) العين: 561.

(2) الكتاب: 1/ 24.

(3) كتاب مطبوع ومحقق، بتحقيق: حنا حداد، الرياض، ط1، 1984م.

(4) ينظر: الأضداد في القرآن الكريم: 20.

الأضداد في كلامهم والمقلوب شيئاً كثيراً فأوضحنا ما حضر منه إذ كان الظن يقيناً وشكاً، والرجاء خوفاً وطمعاً وهو مشهور في كلام العرب... فأردنا أن يكون لا يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عزّ وجل حين قال: (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) [البقرة: 45 – 46] مدحٌ للشاكيّن في لقاء ربهم وإنما المعنى يستيقنون"[1].

أما الأصمعي (ت 211 هـ) فنقل عنه ابن رشيق في المطابقة ما نصه: "أصلها وضع الرجل موضع اليد في مشي ذوات الأربع"[2] وهو كما يبدو – مأخوذ عن الخليل، وقد تأخر ذكر رأي الأصمعي بسبب استطراد الباحث في ذكر من ألفوا في موضوع الأضداد.

ونجد أبا العباس ثعلب (ت 291 هـ) أفرد باباً في كتابه قواعد الشعر باباً سماه "مجاورة الأضداد" بالإضافة إلى ما قام بتأليفه من كتاب سماه "الأضداد"[3] والذي لم يصلنا، وقد عنى بتسمية "مجاورة الأضداد" الطباق، إلا أنه لم يذكره كمصطلح بلاغي، لكنه عرّفهُ بقوله: "ذكر الشيء مع ما يعدم وجوده"[4]، وضرب مثلاً لذلك قول الله تعالى: (ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا) [الأعلى: 13].

ولم يختلف قول ابن المعتز (ت 296 هـ) عن قوليّ الخليل والأصمعي، بل إنه قد نقل قولهما نصاً وروحاً[5].

(1) نقلاً عن الأضداد في القرآن الكريم (رسالة ماجستير): 20.

(2) ينظر: العمدة: 2/ 7.

(3) ذكره ابن الدّهان في أضداده: 5.

(4) قواعد الشعر: 53.

(5) البديع: 74.

وركّز التبريزي (ت 322 هـ) على المعنى "الطباق المعنوي"، بأن يؤتى بالمعنى وضده أو ما يقوم مقام الضد[1]، ومثّل بقول جرير[2]:

وباسط خيرٍ فيكم بيمينه　　　وقابضُ شرٌّ عنكمُ بشماليا

أما الآمدي (ت 370 هـ) فقد أفاض في ذكر الطباق وجلب الشواهد الشعرية، معتمداً في تعريفه للطباق على المفهوم اللغوي، فقال: "وهو مقابلة الحرف بضدِّه أو ما يقارب الضدّ، وإنما قيل "مطابق" لمساواة أحد القسمين صاحبه، وإن تضادّا أو اختلفا في المعنى، ألا ترى إلى قولهم في أحد المعنيين – إذا لم يشاكل صاحبه – ليس هذا طبق هذا،... فهذه حقيقة الطباق، إنما هو مقابله الشيء لمثله الذي هو على قدره، فسمّوا المتضادين – إذا تقابلا– متطابقين"[3]، ومنه قول زهير[4]:

ليثٌ بِعَثَّرَ يصْطَادُ الرجالَ إذا　　　ما اللّيث كذّبَ عَنْ أقرَانِهِ صَدَقَا

فطابق بين قوله "كذب" و "صدقا".

وبقوله طرفه بن العبد[5]:

بطيءٍ عن الجُلّى سريعٍ إلى الخَنَا　　　ذلول بإجماع الرِّجال ملهَّدِ

فطابق بين "بطيء" و "سريع".

وأتى قدامة بن جعفر (ت 377 هـ) ليتحدث عن الطباق بلفظ "التكافؤ" فقال: "هو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه أو يتكلم فيه، بمعنى ما، أيَّ معنى كان،

---

(1) الوافي: 258.

(2) ديوان جرير: 605.

(3) الموازنة: 214– 215.

(4) ديوان زهير: 54.

(5) ديوان طرفه: 40.

فيأتي بمعنيين متكافئين، والذي أُريد بقولي متكافئين في هذا الموضع: متقاومان، إمّا من جهة المضادّة، أو السّلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل"[1].

وهذا أول قولٍ يرى فيه صاحبه أن الطباق هو من المقابلة، وهذا القول فيه نظر؛ لأن التضاد أصل، والمقابلة شرط، والطباق نتيجة عنهما.

أما المطابقة بحسب ما يراه فهي نوع من الجناس، اتفقت فيه حروف الكلمتين دون أن تشتركا في الاشتقاق[2].

وقال الرُّماني (ت 386 هـ): "المطابقة مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان"[3]، واستحسن هذا التعريف ابن رشيق القيرواني فقال: "هذا أحسن قول سمعته في المطابقة من غيره، واجمعه لفائدة"[4].

ووافق الحاتمي (ت 388 هـ) ما ذهب إليه الخليل والأصمعي من أنّ الطباق هو ذكر الشيء وضده"[5]، وذكر آراء العلماء الذين سبقوه، ويلمح إلى أن الطباق هو ما يصح أن يطلق عليه اصطلاح التجنيس، وهذا الرأي فيه نظر، كونه يحصر الطباق في نوع واحد وهو طباق السلب، فالذي يلحظه المطلع على آراء أولئك العلماء أنهم يحصرونه في هذه الدائرة متكئين في ذلك على ما يستشهدون به من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9] ففي هذه الآية الكريمة ما ظاهرة تجنيس؛ إذ إن اللفظ مكرر، وقد دخل النفي أحدهما، وهما بمعنيين مختلفين، وفي الآية طباق سلب، فنفي العلم عنهم يضعهم في دائرة الجهل الذي يكوّن الطباق مع قوله تعالى "يعلمون".

---

(1) نقد الشعر: 163.

(2) نقلاً عن رسالة الطباق في القرآن الكريم: 4.

(3) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: 178.

(4) العمدة: 2/ 7.

(5) ينظر: حلية المحاضرة: 1/ 142.

ثم خَلَفَهُم من بعد ذلك الشيخ عبد العزيز الجرجاني (ت 392 هـ) ليركز في تحديده لمصطلح الطباق على نوع هو قسم من الطباق المعنوي، وهو ما اصطُلِحَ على تسميته بالطباق الخفي الذي يكون الطباق فيه معتمد على معنى اللفظين الأصليين، ويجعل الجرجاني أشهر أقسام المطابقة: "ما جمع فيه بين معنيين غير متقابلين عبرٌ عنهما بلفظين، يتقابل معناهما الحقيقيان"[1].

ولم يخالف أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) مَنْ سبقه مِنَ العلماء في حده للمطابقة إذ يقول: "هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحرِّ والبرد"[2]، ويضرب مثلاً من القرآن الكريم قوله تعالى: (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) [آل عمران: من الآية: 27]، وهو في ذلك عنى الطباق اللفظي.

أما الباقلاني (403 هـ) فإنه ذكر ما اتفق عليه علماء البلاغة بذكر الشيء وضده، وأتى بشواهد لهذا الرأي من القرآن الكريم، قوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) [البقرة: 179]، وغيرها من الآيات، ركّز على قول آخرين ممن ذهبوا إلى أن المطابقة تعني: "أن يشترك معنيان بلفظة واحدة"، وقال: واليه ذهب قدامة بن جعفر الكاتب[3]، واستشهد لهذا الرأي بأبيات من الشعر مثل بيت الأفوه الأوْدي[4]:

وأَقطع الهَوْجَلَ مُسْتَأنساً　　　بهوجلٍ مُستأنسٍ عنتريس

---

(1) الوساطة: 44.

(2) كتاب الصناعتين: 276.

(3) ينظر: إعجاز القرآن: 80– 81.

(4) ديوان الافوه الاودي: 16.

وأتى ابن رشيق القيرواني (ت 463 هـ) ليناقش آراء من سبقوه من العلماء أو يكتفي بذكرها بعد أن قال: ["المطابقة عند جميع الناس: جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر"[1]، إلا قدامة ومن اتبعه فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقاً، وقد تقدم الكلام في باب التجانس، وسمى قدامة هذا النوع – الذي هو المطابقة عندنا – التكافؤ.. ولم يسمه بالتكافؤ أحد غيره وغير النحاس من جميع من علمته][2].

ويذكر من بعد رأي قُدامة في المطابقة رأي الخليل، والأصمعي، والرماني وهذا الأخير أيضا قد نقل آراء من سبقوه ومناقشتها، واستحسن ابن رشيق من الرماني قوله: "المطابقة: مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان"[3]، ثم يضيف: قول الخليل: "إذا جمعت بينهما على حذوٍ واحد وألصقتهما" فهو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان... وكذلك قول الأصمعي: "أصلها وضع اليد في موضع الرجل في مشي ذوات الأربع"، ثم ساق شواهد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية ومن منثور كلام العرب كثيرة، ثم افرد باباً سماه "باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة، قائلاً في أوّل كلامه عنه: "ومن ذلك أن يقع في الكلام شيء مما يستعمل للضدين: كقولهم "جلل بمعنى صغير، "وجلل" بمعنى عظيم فان باطنه مطابقة وان كان ظاهرهُ تجنيساً.."[4]

يقول عنه الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيّود: "وابن رشيق لم يقف إمام الفنون البديعية التي ورثها عمن سبقه مكتوف اليدين جامداً بل فكّر ووضّح وغيّر وبدّل وضم وفرّق وهذّب ونقّح..."[5].

(1) العمدة: 2/ 5.

(2) العمدة: 2/ 5.

(3) نفسه: 2/ 6.

(4) نفسه: 2/ 12.

(5) علم البديع، بسيوني عبد الفتاح فيّود: 69.

أمّا الخفاجي (ت 466 هـ) فقد أشار إلى نوع من نوعي الطباق الرئيسين وهو المعنوي، وذلك بقوله عن الطباق: "هو أن يكون أحد المعنيين مضاداً للآخر أو قريباً من المضاد"[1].

ويوضح الجرجاني (ت 471 هـ) رأيه في الطباق بقوله: وأمّا التطبيق فأمرُهُ أَبينُ وكونه معنوياً أجلى وأَظهر، فهو مقابلةَ الشيء بضدِه، والتضاد بين الألفاظ المركبة مُحال، وليس لأحكام المقابلة ثَمَّ مجال"[2].

ومن ذلك يتبيَّن كيف أن عبد القاهر قد غلّب المعنى في الطباق ورجَّحَهُ على اللفظ، "رغم أن الطباق يجب أن يتضاد فيه اللفظ والمعنى، ونجده ينفي الطباق بين الألفاظ المركبة رغم أن هذا النوع موجود وهو ما اصطلح عليه البلاغيون بـ "الطباق المعنوي"[3] ذلك إن الضدية فيه تكون على مستوى النص اللغوي في أغلب الحالات"[4].

أما الزمخشري (ت 538 هـ) لم يخرج على ما حدَّه الخليل لهذا المصطلح[5].

ووافق أسامة بن منقذ (ت 584 هـ) من سبقه من علماء البلاغة في أن الطباق جمع بين الشيء وضده[6] وهذا ما ذهب إليه الكاتب الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم، إلا أنه سماه "المكافأة" وقال عنها بأنها: "شبيهة بالتبديل إلا أنها في المعنى وإن لم تتفق الألفاظ، كما قال المنصور في خطبة عند قتله أبا مسلم: يا أيها

---

(1) سر الفصاحة: 191.

(2) اسرار البلاغة: 20.

(3) ينظر: تحرير التحبير: 115، البديع في ضوء اساليب القرآن: 29.

(4) الطباق في القرآن الكريم: 6.

(5) ينظر: اساس البلاغة: 514 – 515.

(6) ينظر: البديع في نقد الشعر: 36.

الناس لا تخرجوا من عزِّ الطاعة إلى ذُلِّ المعصية وهذا في الشعر يسمى المطابقة"[1]، فهو قد حصره في الشعر فقط.

وأتى السكاكي (ت 626 هـ) وابن الزملكاني (ت 651 هـ) فلم يخرجا عن الحد الذي رسمه العلماء من قبلهما وهو "الجمع بين الضدين"[2].

بينما دمج ابن الأثير الحلبي (ت 637 هـ) بين الطباق والمقابلة في حده للمطابقة بقوله: "إما أن يقابل الشيء بضده أو يقابل بما ليس بضده"[3].

أما عند ابن يعقوب المغربي (ت 653 هـ) فإنه سماها المطابقة: وتسمى الطباق، والتضاد أيضاً وهي الجمع بين متضادين، أي: معنيين متقابلين في الجملة، بحيث يكون بين الشيئين المتضادين تنافٍ وتقابلٍ ولو في بعض الأمور، وهذا الرأي يكاد فيه يجمع بين الآراء الأخرى، كونه يشترط أموراً يجب أن تتوافر في تكوين الطباق، ولو أنه يميل فيه إلى الطباق المعنوي، بقوله:" أي معنيين متقابلين في الجملة" فهو لم يفصل في ذلك التقابل والتنافي بأن يعين مقداره من كونه فيما بين معنيين كالنقيضين أو الضدين أو غير ذلك من الصور، "ومن المعلوم أن المتقابلين في بعض الصور إنما يكون التنافي بينهما باعتبار ذلك البعض من الصور؛ وهو أن يتعلق الإحياء بحياة جرم في وقت، والإماتة بإماتته في ذلك الوقت، وإلا فلا تقابل بينهما باعتبار أنفسهما ولا باعتبار المتعلق عند تعدد الوقت، وسواء كان التقابل الحقيقي تقابل تضاد كتقابل الحركة والسكون على الجرم الموجود بناء على إنهما وجوديان، أو تقابل الإيجاب والسلب كتقابل مطلق الوجود وسلبه"[4].

ويعلل ابن أبي الإصبع المصري (ت 654 هـ) سبب تسمية الطباق بقوله: "فرأوا أن الكلام الذي جمع فيه بين الضدين يحسن أن يسمى مطابقاً لأن المتكلم به

(1) مفاتيح العلوم: 47.

(2) ينظر: مفتاح العلوم: 533، التبيان في علم البيان: 170.

(3) ينظر: مواهب الفتاح: 4/ 286.

(4) شرح مواهب الفتاح: 2/ 469.

طابق فيه بين الضدين"[1] ومن هذا الكلام يتبين مدى الاختلاف بين ابن أبي الإصبع وبين قدامة بن جعفر الذي قال بان لقب المطابقة يليق بالتجنيس، وانتصر العلوي (ت 749 هـ) لهذا الرأي في كتابه الطراز ثم إنه يفضل أن يطلق على الطباق تسمية المقابلة؛ لان الضدين فيه يتقابلان، ثم يوضح أن التقابل لا يكون إلا في أربعة اضرب هي: "مقابلة الشيء ضده، ومقابلة الشيء بضده من جهة معناه دون لفظه، ومقابلة الشيء بما يخالفه من غير مضادة، ومقابلة الشيء بما يماثله"[2].

والمطابقة عند حازم القرطاجني (ت 684 هـ) تقع بين المتضادين والمتخالفين، "ونجده يدخل مدخلاً نفسياً إلى موقع المطابقة؛ لأن اللفظ يفاجئ القارئ بالضدية للمعنى الثاني، بعد أن استراح إلى المعنى الأول في اللفظ الأول، والمطابقة عنده تنقسم إلى قسمين: المطابقة المحضة وهي مفاجأة اللفظ بما يضادّهُ من جهة المعنى، والمطابقة غير المحضة التي تنقسم بدورها إلى مقابلة الشيء بما يتنزل منه منزلة الضد والى مقابلة الشيء بما يخالفه"[3].

ثم جاء من بعده محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي (ت 686 هـ)، الذي قسَّم الطباق إلى ثلاثة اضرب: "الأول: ما لفظاه حقيقيان، وينقسم إلى طباق الإيجاب مثل قوله تعالى: (وتحسبهم إيقاضاً وهو رقود) [الكهف:]، والى طباق السلب مثل قوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الزمر: 9]، والثاني ما لفظاه مجازيان كما في قوله تعالى: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) [الأنعام: 122] أي ضالاً فهديناه، أما الضرب الثالث فهو ما كان أحد لفظيه حقيقة والآخر مجازاً"[4] كما في قول أبي تمام [5]:

(1) تحرير التحبير: 111.

(2) الطراز: 383.

(3) نقلا عن رسالة: الطباق في القران الكريم: 7.

(4) كتاب المصباح: 87 – 88.

(5) ديوان أبي تمام:

له منظر في العين ابيضُ ناصعٌ ولكنه في القلب اسودُ أسفعُ

وسار ابن الأثير الحلبي (ت 737 هـ) على نهج الحاتمي وغيره في عرض رأى قدامة بن جعفر في تسمية الجناس طباقاً، وتناول كذلك رأي الرماني في الطباق بأنه مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان، فهو يذهب إلى ما ذهب إليه الآخرون من أن الطباق ذكر الشيء وضده [1].

وجاء القزويني (ت 739 هـ) متفقاً مع علماء البلاغة ممن سبقوه في تعريف الطباق وفاقهم في تقسيمه باعتبار طرفيه إلى أسمين.. أو فعلين.. أو حرفين.. أو مختلفين..، فهو يرمى في تقسيمه وإبراز الأمثلة عليه إلى الطباق اللفظي دون الطباق المعنوي[2].

أما الطيبي (ت 743 هـ) في تبيانه فقد عرف الطباق بأنه "الجمع على اللفظين الدالين على المعنيين المتضادين حقيقة أو تقديراً"[3].

فقد أشار بقوله حقيقة إلى ما يسمى بالطباق اللفظي، وبقوله تقديراً إلى الطباق المعنوي[4] ومثل للأول بقوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ) [آل عمران: 26].

ومثل للثاني ببيت أبي تمام[5]:

مها الوحش إلا أن هاتا اوأنس قنى الخط إلا أن تلك ذوابل

(1) ينظر: جوهر الكنز: 84.

(2) ينظر: الإيضاح: 192 – 193، والتلخيص: 348.

(3) التبيان: 161.

(4) ينظر: الطباق في القران الكريم: 8.

(5) شرح ديوان ابي تمام: 241.

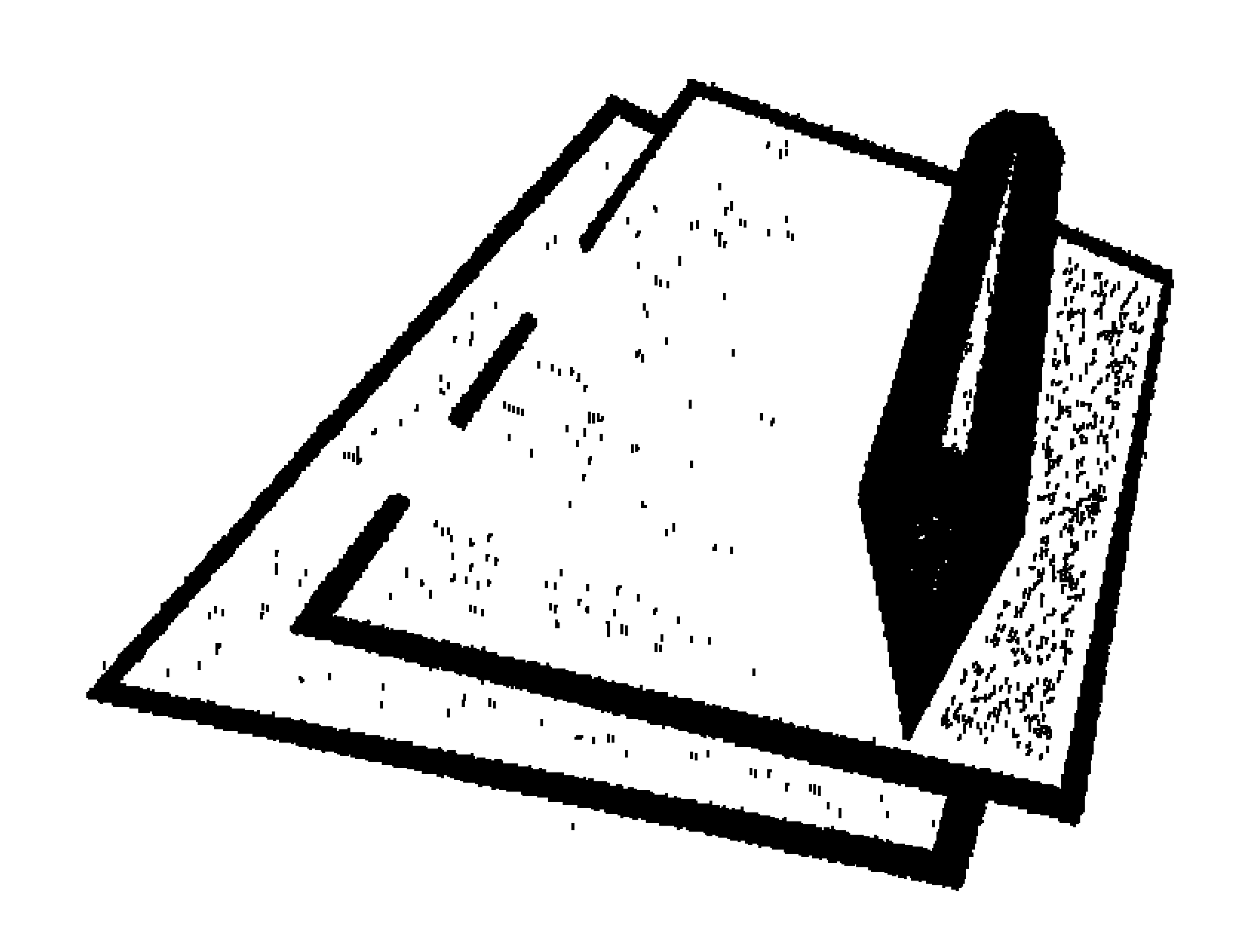
ويميل التفتازاني (ت 752 هـ) إلى الطباق المعنوي بقوله: "هو الجمع بين متضادين، أي: معنيين متقابلين في الجملة [1].

أما ابن حجة الحموي (ت 837 هـ) فانه ذهب بقوله إلى أن المطابقة التي يأتي بها الناظم مجردة ليس تحتها كبير أمر ونهاية ذلك أن يطابق الضد بالضد وهو شيء سهل، اللهم إلا أن تترشح بنوع من أنواع البديع يشاركه البهجة والرونق[2]، وعليه فان جميع علماء البلاغة يتفقون على أن الطباق هو: "الجمع بين الضدين".

(1) ينظر المطول: 653.

(2) ينظر: خزانة الأدب: 1/ 160.

الفصل الأول



* المبحث الأول.

* المبحث الثاني.

المبحث الأول

أنواع التضاد اللغوي والبلاغي

التضاد من الظواهر اللغوية التي عانت من إشكالية المصطلح وعدم توحيده فأدّى ذلك بها إلى الاختلاط بتضاد "التقابل" اللغوي، أو الأضداد اللفظية، واختلاط هذه الأخيرة بتضاد "الطباق" أو "المقابلة" في البلاغة [1].

والغريب أن علماء الدين الذين ألفوا في علوم القرآن والحديث – من الأوائل – لم يخصوا التضاد بالدرس إلا ما كان من إشارات وأبواب كما فعل السيوطي (ت 911 هـ) في كتابه "المزهر" والذي أفرد باباً اسماه "معرفة الأضداد" والذي نقل فيه من علماء اللغة من قيل عن الأضداد، إذ إنهم قد تحرجوا من إطلاق هذه التسمية على ألفاظ القرآن الكريم، أو على معانيه، ولكنهم مالوا إلى تسميتها "المشترك" وهو ما أشار إليه الغزالي (ت 505 هـ) بقوله: "الاسم المشترك قد يدل على المختلفين... وقد يدل على المتضادين، كالجلل: للحقير والخطير، والناهل: للعطشان والريان، والجون: للسواد والبياض، والقرء للطهر والحيض"[2].

إلا أن أبا حيان الأندلسي (ت 745 هـ) قد أشار صراحة إلى اسم "الأضداد" فقال في كلمة "أخفيها" استرها وأظهرها من الأضداد"[3]، مشيراً إلى قوله تعالى: (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) [طه: 15].

وهكذا كان مجرى كلام العلماء بالتعاقب، وبدأ التأويل والترجيح من المفسرين من دون الإشارة في تفاسيرهم صراحةً إلى لفظ "الأضداد"، إلا أنهم كانوا يرجحون بين معنى وآخر، مثل اختلافهم في تفسير قول الله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ)

(1) الأضداد في القرآن الكريم، (رسالة ماجستير)، 16.
(2) المستصفى من علم الأصول، 1/ 32.
(3) تحفة الأديب لما في القرآن من الغريب، 96.

[التكوير: 17] قال بعضهم بأنه موضوع لمعنى "أدبر" بدليل قوله – عزَّ وجل– : ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[التكوير: 18]، فدل بذلك إن القسم بالليل مدبراً وبالنهار مقبلاً[1]، فاللفظ موضوع: ل"اقبل"، "وأدبر"، "وأظلم"[2] ورجح ابن كثير معنى "الإقبال" مع احتمال معنى "الإدبار"[3] أما الزمخشري فرجح معنى "الإدبار"[4].

وقد ذهب كثير من اللغويين المحدثين إلى التفريق بين التضاد اللغوي والبلاغي مستندين في ذلك إلى ما أثر عن اللغويين الأوائل من تحديد الاصطلاحات ومن هؤلاء الدكتور كاصد الزيدي الذي بين أن المراد بالأضداد في الاصطلاح اللغوي هو: "ألفاظ لكل منها معنيان أحدهما ضد الآخر، أي أن الاختلاف بينهما تضاد لا اختلاف تغاير"[5].

وعلى هذا النهج سار الباحثون الآخرون مثل الدكتور محمد حسين آل ياسين، والدكتورة هناء محمود شهاب [6]، وكلاهما قد استند إلى رأي أبي الطيب اللغوي الذي يقول فيه: "الأضداد جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه نحو: البياض والسواد، السخاء والبخل، الشجاعة والجبن، وليس كل ما خالف الشيء ضداً له ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين، وإنما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعم من التضاد إذ كان كل متضادين مختلفين وليس كل مختلفين ضدين"[7].

واختصر الدكتور محمد أبو الفضل إبراهيم في حديثه عن الأضداد بقوله: "يقصد بالأضداد في اصطلاح اللغويين: الكلمات التي توقعها العرب على معنيين

(1) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: 30/ 49.
(2) مفردات القرآن تفسير وبيان: 150.
(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم، 4/ 480.
(4) ينظر الكشاف: 4/ 224.
(5) فقه اللغة العربية: 152.
(6) ينظر الطباق في القرآن الكريم: 12 – 13.
(7) الأضداد في كلام العرب: 1/ 1.

مختلفين بلفظ واحد"[1]، وهذا ما ذهب إليه اللغويون في أكثرهم إذ أنهم لم يحددوا التحديد الجازم والدقيق، وعليه فإن أسلم أو أجمع تعريفٍ اصطلاحي يذهب إليه البحث هو:

الأضداد: هي الكلمات التي يدل كل منها على معنيين متضادين بلفظ واحد.

إذن فالتضاد اللغوي الضدية فيه تقع بين معنيين يحتويهما لفظ واحد، أما التضاد البلاغي فالضدية فيه لفظية وليست معنوية، وهي من الأسس الدقيقة في اكتشاف الفرق اللغوي، ولعل ابن السراج قد أشار إلى مقياس الضدية بقوله: "بأن يمتحن اللفظ بضده، فينظر هل هذا ضد هذا؟ فان كان كذلك، وإلا فليس هو هو، كما لو قال قائل: إن الشجاعة هي الجلد وإنما الشجاعة للنفس والجلد للبدن، فضد الشجاعة الجبن وضد الجلد الخور فليست الشجاعة إذن هي الجلد"[2].

ألوان التضاد بين المقابلة والمطابقة

جاء في لسان العرب: "قبل نقيض بعد..، وقابل الشيءُ بالشيء مقابلة وقبالاً: عارضه وإذا ضممت شيئاً إلى شيءٍ، قلت قابلته... وتقابل القوم: استقبل بعضهم بعضاً... والمقابلة: المواجهة، والتقابل: مثله، وهو قبالك وقبالتك، أي: طاقة، وفي التنزيل: (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا) [النمل: من الآية: 37] أي لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على مقاومتها"[3].

إن الاختلاف الحاصل بين علماء اللغة عموماً وعلماء البلاغة على وجه الخصوص، على رأي البحث يرجع إلى الانتقال من التعريف اللغوي أو التحديد اللغوي للشيء إلى التعريف الاصطلاحي، وهو ينسحب على المقابلة التي جعلها

(1) نقلاً عن الأضداد في القران الكريم (رسالة ماجستير): 14.
(2) الاشتقاق: 52.
(3) لسان العرب: 11/ 356 و1540 و543.

البعض فناً مستقلاً بذاته وجعلها البعض الآخر من الطباق وعلى هذا الرأي اتكأ الدكتور بسيوني عبد الفتاح في قوله: والطباق إذا جاوز الضدين صار مقابلة"[1].

وقد بيّن ابن حجة الحموي هذا التداخل بقوله: "والمقابلة أدخلها جماعة في المطابقة، وهو غير صحيح، فإن المقابلة أعم من المطابقة، وهي التنظير بين شيئين فأكثر وبين ما يخالف وما يوافق فبقولنا: وما يوافق، صارت المقابلة أعم من المطابقة"[2].

وعرفها السكاكي: "هي أن تجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما، ثم إذا اشترطت شرطاً هنا شرطت شرطاً هناك ضده"[3].

وعرفها الزملكاني: "أن تريد معاني فتوافق بينها وبين غيرها أو تخالف عند قصدك (المخالفة) أو تشترط شروطاً أو تعدد أحوالاً في أحد المعنيين فيجب أن تأتي فيما (يوافقه) بمثل ما شرطت وعددت وفيما تخالفه بأضداد ذلك"[4].

وعرفها ابن أبي الأصبع المصري "توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب بحيث يقابل الأول بالأول والثاني بالثاني لا يجزم من ذلك شيئاً في (المخالف والموافق) ومتى أخل بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة، وقد تكون المقابلة بغير الأضداد، وتكون غالباً بالجمع بين أربعة أضداد ضدان في صدر الكلام وضدان في عجزه، وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد، خمسة في الصدر وخمسة في العجز"[5].

وعرفها يحيى بن حمزة العلوي (ت 749 هـ) "أن يؤتى بالشيء وضده في الكلام ويفضل العلوي تسمية الطباق (بالمقابلة) لأن (المقابلة) في الكلام لا يكون إلا

(1) علم البديع، فيود: 126.
(2) خزانة الأدب: 1/ 129.
(3) مفتاح العلوم: 533.
(4) التبيان في علم البيان: 171.
(5) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: 179.

في أربعة أضرب هي: مقابلة الشيء بضده، ومقابلة الشيء بضده من جهة معناه دون لفظه، ومقابلة الشيء بما يخالفه من غير مضادة، ومقابلة الشيء بما يماثله"[1].

وعرفها الزركشي (ت 794 هـ): "هي ذكر الشيء ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها... وهي قريبة من الطباق"[2].

وعرفها جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ): "أن يذكر لفظان فأكثر ثم أضدادهما على الترتيب"[3].

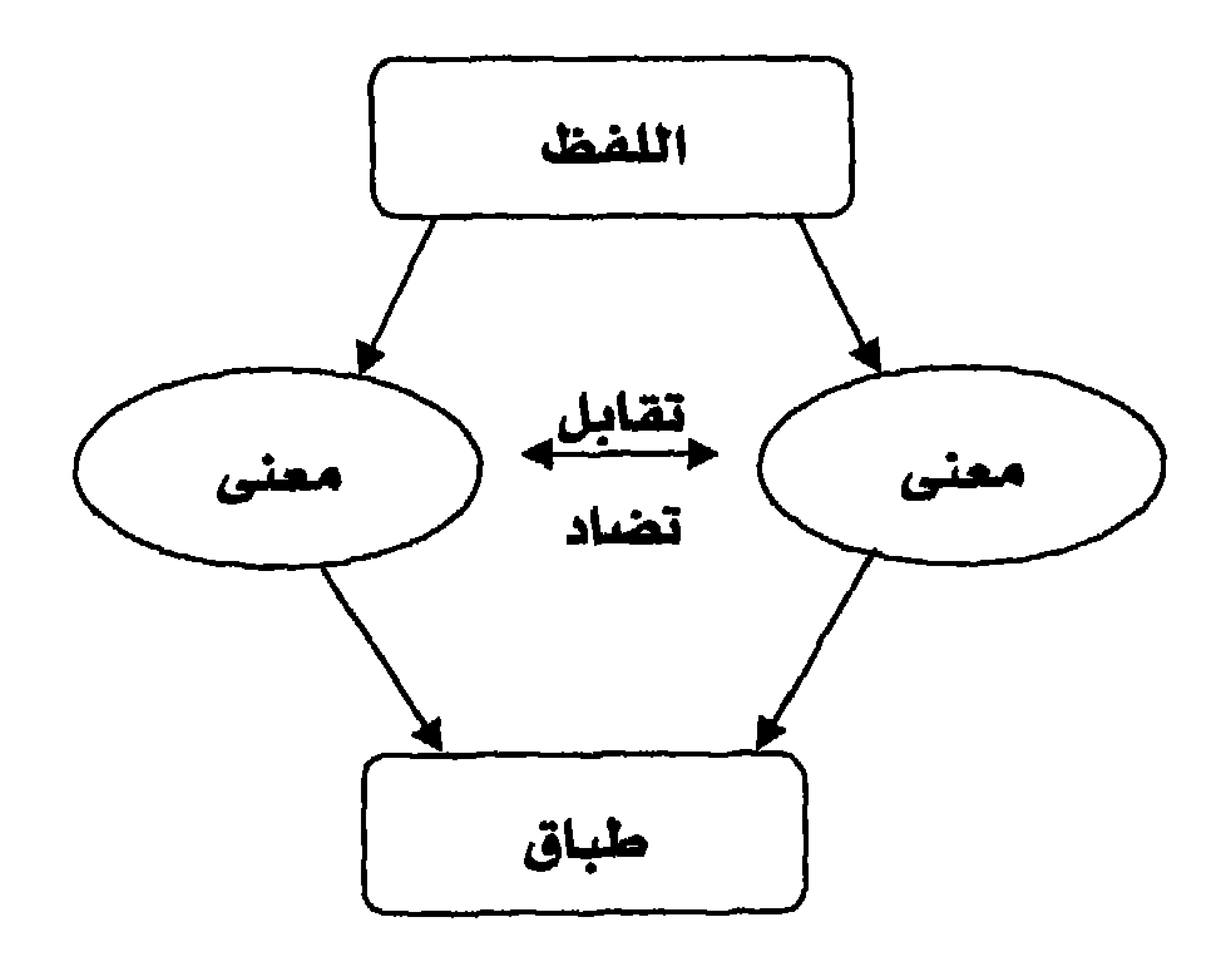
وعرفها ابن معصوم المدني (ت 1120 هـ): "أن يأتي المتكلم بلفظين (متوافقين) فأكثر ثم بأضدادهما أو غيرهما على الترتيب"[4].

وعرفها جرمانوس فرحات: أن تجمع بين ضدين مختلفين مع مراعاة المشاكل بينهما حتى لا يكون أحدهما اسماً والآخر فعلاً وحرفاً، بل يكونان إما من اسمين، وإما من فعلين، وإما من حرفين [5].

ومن خلال ما مر من عرضٍ لهذه التعريفات وبيان العلاقة بين التضاد والطباق والمقابلة يمكننا أن نستعين بالترسيمة الآتية لغرض معرفة العلاقة بين هذه الموضوعات.

---

(1) الطراز: 2/ 377 – 378.
(2) البرهان في علوم القرآن: 3/ 515.
(3) معترك الأقران في إعجاز القرآن: 1/ 315.
(4) انوار الربيع: 1/ 298.
(5) نقلا عن كتاب المعجم المفصل في علوم البلاغة: 598.



ومن خلال ما مر نستطيع أن نستخلص الفروقات الآتية:

1. إن اللفظ الذي يحمل معنى التضاد يكون أصلاً في تكوين المقابلة والطباق على السواء.
2. إن الطباق لا ينشأ إلا عن طريق المقابلة وبوساطتها إذ هي المرحلة الأهم في عملية تكوينه.
3. إن الطباق لا يكون إلا بالأضداد، بينما المقابلة تكون بين الأضداد وغيرها، إلا انها بالأضداد تكون أعلى رتبة، وأعظم موقعاً، وعندما تقع المقابلة بغير الأضداد فلا بد أن تكون هناك اعتبار للتقابل.
4. إذا وقع التقابل بغير الأضداد فالترتيب شرط وركن من أركان المقابلة.
5. تكون المطابقة بين لفظين أو معناهما، والمقابلة لا تترشح إلا عن الموافقة بين الجمل.
6. لا يشترط التعدد في المطابقة، بينما في المقابلة يشترط التعدد.
7. المعنى اللغوي في المقابلة أقرب إلى المعنى الاصطلاحي لها، منه في الطباق، إلا أن يحمل عن معنى الأشياء في ضديتها.

أنواع المقابلة:

تبدأ المقابلة بمعنيين يتقابلان في الكلام – سواء أكانا ضدين أم لم يكن بينهما تضاد – ثم تتصاعد إلى أن تبلغ مقابلة ستة معان بستة معانٍ أخرى، ومن شواهدها:

أ. مقابلة معنيين بمعنيين:

- قال الله – عزّ وجلّ – : (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [التوبة: 82] فقد جاءت المقابلة بالأضداد بين التركيبين: (فليضحكوا قليلاً) و(وليبكوا كثيراً).
- أما من الحديث النبوي فقد وردت مقابلة معنيين بمعنيين في أحاديث عدة مثل قوله – عليه الصلاة والسلام – لعائشة (رضي الله عنها): "**عليك بالرفق إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**"[1] وهو توجيه منه (ﷺ) للأمة من خلال زوجه إلى ملازمة الرفق في الأمور كلها ومجانبة الشدة والعنف والغلظة في كل التعاملات مع الناس إذ إن الإحسان قد كتب على كل شيء حتى في أثناء ذبح النسك، فأمر بأن يريح الذابح ذبيحته وأن يسن السكين للتسهيل على المذبوح في سرعة ذبحه، ووجوب إراحة الذبيحة فلا يقطع النخاع حتى تتخلص الذبيحة من الدم وطرحه خارج الجسد، وهذا باب من أبواب الرفق الذي أوصى به النبي (ﷺ) في كثير من المناسبات.

أما من منثور كلام العرب فمثاله قول عمران الطلحي للخليفة أبي جعفر المنصور عندما وجه له انتقاداً بقوله: "بلغني أنك بخيل"، فقال: يا أمير المؤمنين: "مما أجمد في حق ولا أذوب في باطل"[2].

---

(1) الجامع الصغير: 340، رقم الحديث: 5503، وسلسلة الأحاديث الصحيحة: 2/ 56.

(2) التبيان: 161.

- ومن الشعر قول البحتري:

فرونق الشمس أحياناً يضاحكها   وريق الغيث أحياناً يباكها[1]

ب. المقابلة الثلاثية:

ومن المقابلة الثلاثية قول الله – عزَّ وجلَّ –: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: 157]، والذي يمكن أن نلحظه هو أننا نستطيع أن نقابل بين العبارتين وبين المفردات كل مفردة مع ما يقابلها أو ينفيها في العبارة الثانية، فإن قابلنا بين العبارتين كان الترتيب كالآتي: (يحل لهم الطيبات)، (يحرم عليهم الخبائث) فتعود المقابلة ثنائية، ولكن المقابلة تكون ثلاثية بالمفردات على الترتيب الآتي: (يحل/يحرم) – (لهم/عليهم) – (الطيبات/الخبائث)، فجاءت المقابلة بالأضداد مستوفية لشرط الترتيب.

- ومنها قول النبي (ﷺ): "إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله، أمر بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار"[2] وينسحب على هذا الحديث النبوي الشريف التعليق الذي ذكرناه على الآية الكريمة فان المقابلة فيه تصلح أن تكون ثنائية إن كانت بين العبارتين، أما إذا كانت بين المفردات فإنها تكون ثلاثية: (فسجد/ عصيت)، (فله/ لي)، (الجنة/ النار).

- وقوله (ﷺ): "لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة"[3].

(1) ديوان البحتري: 594.

(2) الجامع الصغير: 55، رقم الحديث: 791.

(3) الكامل في اللغة والأدب: 190.

ولعل المقابلة في هذا الحديث الشريف لا تحتاج إلى كدّ الذهن لتمييزها أو لربط كل عبارة بما يقابلها، سواء أكان بين مجموع المفردات، أو بين المفردات فحسب، وفي الحديث نسق في ذلك إذ إن فيه مقابلة من جهة العبارات كما في: (لا يدخل أحد الجنة/ولا يدخل أحد النار)، (مقعده في الجنة/ومقعده في النار)، (ليزداد شكراً/وليكون عليه حسرة).

- ومن الشعر قول البحتري[1]:

فإذا حاربوا أذلوا عزيزاً   وإذا سالموا أعزوا ذليلاً

فقابل الشاعر بين الأضداد، وهي من المقابلات العالية الرتبة، والتي تقع الموقع الحسن في النفس[2]، فعندما يخوض هؤلاء غمار الحرب فإنهم يذلون الجبابرة حتى يجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك فعل الملوك كما جاء في القرآن الكريم على لسان بلقيس في قوله تعالى: (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ) [النمل: 34]، نقل ابن كثير عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قوله: "أي إذا دخلوا بلداً عنوةً، افسدوه، أي: خربوه (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي: وقصدوا من فيها من الولاة والجنود فأهانوهم غاية الهوان، إما بالقتل أو بالأسر"[3].

ج. أما المقابلة الرباعية:

فمثل قوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ) [الليل: 5-10].

---

(1) ديوان البحتري: 292.
(2) علم البديع، فيود: 126.
(3) تفسير القرآن العظيم: 3/ 484.

فقابل بين (من أعطى بمن بخل)، (ومن اتقى بمن استغنى)، (ومن كذب بمن صدق)، (ومن سوف ييسر له بمن سيعسر عليه) فكان الجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً[1].

- ومن الحديث النبوي: قول النبي (ﷺ): "إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك، فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً"[2]، فالإحلال بمعنى الإنزال، أو بمعنى الإيجاب يقال: "أحله الله عليه أي: أوجبه"[3].

نجد أن المقابلة في هذا الحديث النبوي جاءت متنوعة وقد بينا آنفاً أن الاختلاف لا يعني الضدية بالضرورة[4]، فالمقابلة في الحديث الشريف بين النداء من الله عز وجل وبين الإجابة من العباد في الجنة، وبين "أعطيتنا" وما "لم تعط" أحداً..، وبين السؤال عن كونهم قد رضوا أم لا وبين الإجابة التي جاءت على صيغة الاستفهام الاستنكاري: هل رضيتم؟ وما لنا لا نرضى، وجاءت المقابلة بالأضداد بين "السّخط والرضا".

- وقوله (ﷺ) في حديثه الذي يثير الخيال والحواس والوجدان[5]: "إني أرى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون، أطت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجداً، والله لو تعلمون ما أعلم،

(1) علم البديع، فيود: 127.
(2) مختصر صحيح البخاري: 474، رقم الحديث: 6549.
(3) عمدة القارئ: 23/ 184.
(4) ينظر: علم البديع، فيود: 129.
(5) ينظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 387.

لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون، لوددت أني شجرة تعضد"[1].

إن هذا الحديث النبوي الذي جاء بصورة غيبية لا يحيط بها الذهن، قد حمل أصواتاً ثقالاً على الآذان، تصور الثقل الذي تنوء به السماوات من كثرة ازدحام الملائكة سجداً لله، وفيه إثارة كبيرة للخيال، فالأطيط هو صوت اضطراب الرحل من الثقل، والصُّعدات هي الطرق، وتجأرون: أي ترفعون أصواتكم كما تخرجون إلى الطريق لطلب الغوث والمعونة، لتتلاقى أصوات الملائكة بالتسبيح والاستغفار وتزدحم مع أصوات الداعين، في مشهد يثير الخيال ويحبس الأنفاس من شدة الهلع التي تقلل الضحك وتكثر البكاء، وتمنع التلذذ بالنساء وان كن على الفرش الوثيرة وهي من أعلى الملذات الدنيوية، كل ذلك خوفاً مما قد علمه من العذاب المنتظر[2].

- ومما جاء من كلام العرب، وصية أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في وصيته التي أوصى بها في عهده للخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): "هذا ما أوصى به أبو بكر عند آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها"[3].

فقد جاءت المقابلات بين المفردات التي بينها تضاد، فقابل: "أولا" بـ "آخر" و"الدنيا" بـ "الآخرة" و"خارجاً" بـ "داخل" و"منها" بـ "فيها".

ومن الشعر: قول الطغرائي[4]:

حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت ... بشدة البأس منه رقة الغزل

(1) سنن الترمذي: 7/ 74، رقم الحديث: 2313.
(2) ينظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 387- 389.
(3) الكامل في اللغة والأدب: 59.
(4) ديوان الطغرائي: 303.

فالمقابلة في البيت بين: (حلو/مر) و(الفكاهة/الجد) و(الشدة/الرقة) و(البأس/الغزل).

د. المقابلة الخماسية:

- نجد المقابلة من هذا النوع وارد في القرآن الكريم في قوله تعالى على لسان النبي إبراهيم – عليه السلام– : (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) [الشعراء: 78– 82].

فالخالق – جلَّ وعلا هو الذي عليه الهداية، وهو الرازق ذو القوة المتين الذي يطعم ويسقي، وهو الذي ما داء إلا وقد جعل له دواءً وشفاءً، وهو سبحانه الذي يؤول إليه الأمر في إماتة الخلق وبعثهم خلقاً جديداً يوم البعث والنشور[1].

المقابلة بين (خلقني/ يهدين) (مرضت/ يشفين) (يميتني/ يحيين) (يطعمني/ يسقين) (يغفر/ خطيئتي).

- ومن الحديث النبوي في هذا الباب قوله– (ﷺ) "**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة: ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر**"[2].

فالمقابلة حاصلة بين المتناقضات: (المؤمن/ المنافق)، (يقرأ القرآن/ لا يقرأ القرآن)، (الأترجة/ الريحانة)، (التمرة/ الحنظلة)، (الحلو/المر).

وسيأتي شرح الحديث في مادة الطباق باعتبار الحس والعقل: ص42.

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 3/ 542.

(2) صحيح البخاري: 1822، رقم الحديث: 1760.

- ومن الشعر قول صفي الدين الحلي[1]:

كان الرضا بدنوي من خواطرهم فصار سخطي لبعدي عن جوارهم

فالمقابلة بين (كان/ صار)، (الرضا/ السخط)، (الدنو/ البعد)، (خواطرهم/ جوادهم)، (من/ عن).

هـ. المقابلة السداسية:

إذا لم يكن هناك غلو في الرأي والنظر فإننا نجد هذه المقابلة في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: من الآية: 45]، وقد جاء في تفسير الآية: أن (النفس) مأخوذة (بالنفس) مقتولة بها، وكذلك (العين) مفقوءة (بالعين) والأنف مجذوعة (بالأنف) و(الأذن) مصلومة (بالأذن)، و(السن) مقلوعة (بالسن) والجروح قصاص، ذات قصاص وهو المقاصة، ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة[2].

- ولم أجد في الأحاديث النبوية الشريفة شيئاً حول المقابلات السداسية.
- وهي موجودة في قول عنترة[3]:

على رأس عبد تاج عز يزينه وفي رجل حر قيد ذل يشينه

(1) ديوان صفي الدين الحلي: 669.
(2) ينظر: الكشاف: 1/ 617.
(3) لم اجده في الديوان، نقلاً عن كتاب، علم البديع، فيود: 128.

فقابل بين (على/ في) و(رأس/ رِجل) و(عبد/ حر) و(تاج/ قيد) و(عز/ ذل) و(يزينه/ يشينه)[1].

ويذهب البحث مع رأي الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود في قوله: "وليست العبرة بكثرة المقابلات بل المقابلة الجيدة ما جرت مجرى الطبع ولم تأت متكلفة، وإلا كانت سبباً من أسباب اضطراب الأسلوب وتعقيده"[2].

(1) علوم البلاغة العربية: 168، ينظر: من بلاغة القرآن الكريم: 250.

(2) علم البديع، فيود: 128.

المبحث الثاني

ألوان الطباق عند البلاغيين

قسم البلاغيون الطباق باعتبار طرفيه إلى قسمين[1]:

أولاً: الطباق اللفظي ثانياً: الطباق المعنوي

ومن ثم قسموا الطباق اللفظي إلى قسمين هما:

أ. الطباق الحقيقي ب. الطباق المجازي

عنى البلاغيون بالطباق الاسمي واشترطوا الترتيب عند ورود الطباق جامعاً بين "اسمين" أو "فعلين" أو "حرفين" أو مختلفين"[2].

1. طباق الإيجاب

أ. الطباق بين اسمين:

- وقد جاء هذا النوع من الطباق في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ) [الكهف، من الآية: 18]، فقد جاء الطباق بين: "ايقاضاً" ورقود"، يقول الحافظ ابن كثير: "ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم لم تنطبق أعينهم؛ لئلا يسرع إليها البلى، فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها"[3].

(1) ينظر: أنوار الربيع: 2/ 31، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 2/ 255.

(2) ينظر: نهاية الإرب: 7/ 99، الإتقان في علوم القرآن: 3/ 325.

(3) تفسير القرآن العظيم: 3/ 105.

- وقوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿19﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿20﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿21﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ) [فاطر: 19– 20].

- ومن الحديث النبوي، قوله (ﷺ): "في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام"[1].

فجاء الطباق بين الاسمين: "الداء" و"الشفاء"، والحديث يقتضي العموم والأطباء يخصونها بالأمراض الباردة؛ لأنها حارة ولا تناسب كل الأمراض، ولكن قوله (ﷺ): "إلا السام" يدل على العموم لأن السام هو الموت والله على كل شيء قدير[2].

- وجاء الطباق بين اسمين في قوله (ﷺ): "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً"[3].

وجاء في بيت أبي الطيب المتنبي[4]:

كفى بك داءاً أن تر الموت شافيا ... وحسب المنايا أن يكن أمانيا

فقد جاء الطباق المعنوي بين (الداء) والشفاء) ليصور حالة البؤس واليأس وانقطاع الرجاء، فهو يقول: "كفاك داءً رؤيتك الموت شفاء، أي إذا أفضت بك الحال إلى تمني المنايا فذلك غاية الشدة، وإن داء شفاؤه الموت أقصى الأدواء، وإن المنية إذا صارت أمنية فهي غاية البلية، والمعنى كفاك من آذيه الزمان ما تتمنى معه

(1) صحيح البخاري: 1442رقم الحديث: 5688.
(2) ينظر: الإعجاز العلمي في السنة النبوية: فتح الباري: 10/168، جواهر البحار: 502/2
(3) صحيح البخاري: 1080، رقم الحديث: 4351.
(4) ديوان المتنبي بشرح العكبري: 4/ 287.

الموت"[1]، فانظر إلى الطباق كيف حوى المعنى في اقصر تعبير وأجمله وكذلك نجد مثل هذا في قوله في قصيدة أخرى[2]:

وبين الرضا والسخط والقرب والنوى مجال لدمع المقلة المترقرق

فجاء الطباق الإيجاب بين (الرضا) و(السخط)، وجاء الطباق المعنوي بين (القرب) و(النوى)، ويقول العكبري في شرح البيت: "يقول: ما بين ما أرجوه من رضا من أحبه، واحذره من سخطه، وما أنتناه من اقترابه، وأخافه من بعده مجال للدموع التي تترقرق في المقل كلفاً بالحبيب، وحذراً من الرقيب"[3]، فانظر إلى الطباق كيف قد فسح المجال ليرقرق دمع العين فيبقى حائلاً فيها لا ينحدر لشدة ما بين ما يعتوره من تقلب أحوال نفسه من تقلب أحوال المحبوب – رضاً وسخطاً – قرباً وبعداً.

وجاء هذا اللون من الطباق في كلام العرب كما في قول هشام بن عبد الملك، لخالد بن صفوان: "بم بلغ فيكم الأحنف ما بلغ؟ قال: إن شئت أخبرتك بخلة، وإن شئت بخلتين، وإن شئت بثلاث، قال: فما الخلة؟ قال: كان أقوى الناس على نفسه، قال فما الخلتان؟ قال: كان موقّى الشر ملقّى الخير، قال: فما الثلاث؟ قال: كان لا يجهل ولا يبغي ولا يبخل"[4].

فالطباق الاسمي جاء بين صفتي "الشر" و"الخير"، فقد بين الطباق ما يحمله هذا الرجل العربي الحليم من معاني الخير كلها، ونفى عنه كل معاني الشر والسوء، في عبارة مختصرة جزلة ذات رونق وبهاء.

(1) المصدر نفسه: 4/ 287.
(2) المصدر نفسه: 2/ 304.
(3) المصدر نفسه: 2/ 304.
(4) العقد الفريد: 2/ 253 – 254.

- وقوله (ﷺ): "أنهكوا الشوارب وأعفوا اللحى"[1].

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني: "وذهب الأكثر إلى أنه بمعنى وفروا أو كثروا، وهو الصواب، وقال ابن دقيق العيد: لا أعلم أحدا فهم من الأمر في قوله "أعفوا اللحى" تجويز معالجتها بما يعززها كما يفعل بعض الناس، قال: وكأن الصادق على ذلك قرينة السياق في قوله في بقية الخير: "واحفوا الشوارب"، ويمكن أن يؤخر من بقية طرق ألفاظ الحديث الدالة على مجرد الترك وفي قوله "أعفوا واحفوا" ثلاثة أنواع من أنواع البديع: الجناس والمطابقة والموازنة"[2].

وقال الإمام بدر الدين العيني: "والحديث رواه مسلم ولفظه: أحفوا الشوارب، وأعفوا اللحى، وفي لفظ له؛ أمر بإحفاء الشوارب وإعفاء اللحى.

قوله "أنهكوا" أي: بالغوا في القص، والنهك المبالغة.."[3].

- وقوله (ﷺ): "إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه"[4].

فقد جاء الطباق في سياق الحديث النبوي بين التركيبين: "إذا أراد الله بالأمير خيراً" و"إذا أراد به غير ذلك"، وكذلك بين: "وزير صدق" و"وزير سوء"، وجاء الطباق الافرادي بين: (نسي) و(ذكره) وهو من نوع طباق الإيجاب، وجاء طباق السلب بين: (ذكره) و(لم يذكره) وكذلك بين: (أعانه) و(لم يعنه).

(1) صحيح البخاري: 1480، رقم الحديث: 5893.
(2) فتح الباري: 10/ 408.
(3) عمدة القارئ: 22/ 73.
(4) الجامع الصغير: 30، رقم الحديث: 396.

وهذا الحديث إنما يوضح أن على المسلمين أن يقوموا بمسؤولية الدعوة أولاً فيما بينهم، وأن يصلحوا من أنفسهم حتى إذا قطعوا في ذلك شوطاً كبيراً وفرغوا من تطبيق نظام الإسلام على حياتهم، وتناصحوا وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، حينئذٍ يستطيعون أن يقوموا بواجبهم الدعوي على أكمل الوجوه[1].

ب. طباق الإيجاب بين فعلين:

ورد الطباق بالأفعال كما ورد بالأسماء في القرآن الكريم، مثال ذلك قول الله – عز وعلا –: (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) [النجم: 42– 43] وقوله تعالى: (ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا) [الأعلى: 13].

فالله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد الخلائق وهو الذي خلق الموت والحياة ليبتلي خلقه أيهم أحسن عملاً، فمن شاء أضحكه ومن شاء أبكاه، وأنه هو أمات في الدنيا وأحيا في البعث والنشور[2]، فأما إلى جنةٍ وإما إلى نارٍ فمن دخل النار فهو الذي أهلك نفسه وأوبقها وأدخلها دار البوار لا ينال بها حياةً يحياها ولا موتةً يموتها فينتهي عنه العذاب ويستريح[3].

- ومن الحديث النبوي الشريف: قول النبي (ﷺ) يمدح الأنصار: "إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع"

يبين الحديث الشريف فضل الأنصار في نصر دين الله وكيف أنهم لم يؤمنوا بالله ورسوله لأجل الدنيا وزينتها وإنما لأجل إعزاز دين الله ورضاه سبحانه، فبين الحديث أنهم يسرعون إذا ما كان هناك خوف أو تهديدٌ من عدوٍ، وأنهم يتخلفون في طلب الغنائم والأعطيات راغبين في الآخرة زاهدين في الدنيا صبر في

(1) ينظر: فقه السيرة: 255.
(2) ينظر: تفسير الجلالين: 703.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 804.

الحرب صدق عند لقاء الأعداء فاجتمعت لهم من محاسن الأخلاق والصفات ما به حازوا الشرف، ومن يوق شح نفسه وحرصها على الدنيا فأولئك هم الأخيار حقاً وصدقاً، فالنفس الإنسانية مجبولة على حب الخير والراحة والترف إلا لمن روضها وجاهدها، فالحرص نار وحطبها مال الدنيا وجاهها وكلما ازداد الحطب ازدادت النار، ولا يطفئها إلا ماء القناعة؛ ولهذا قيل: "القناعة كنز لا يفنى" لان القناعة من أسباب الفلاح، وبها ينجي الله القانع في الدنيا من نار الحرص وفي الآخرة من نار جهنم[1].

ج. طباق الإيجاب بين حرفين:

فجاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [البقرة: من الآية 228] قال ابن كثير: "أي لهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن، فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف"[2].

- وقوله تعالى: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [سبأ: من الآية: 24].

ففي الآية الأولى جاء الطباق بين "لهن" و"عليهن"، أما في الآية الأخرى فجاء الطباق بين الحرفين: (لعلى) و(في).

قال ابن قيم الجوزية: "لو قال: لفي هدى أو على ضلال لم يحسن؛ لأن (على) تفيد الاستعلاء وهو مناسب للحق، بينما (في) تفيد الوعاء والكافر كأنه مغموس في الضلال"[3].

فانظر إلى هذا التضاد الرائع في الحرفين كيف جاء به هذا المعنى سائغاً مفيداً بليغاً موجزاً دالاً مبهراً معجزاً معجباً فتبارك الله أحسن القائلين.

(1) ينظر: تزكية النفس: 181 – 182.
(2) تفسير القرآن العظيم: 1/ 362.
(3) الفوائد المشوق: 188.

- ومن الحديث النبوي قوله (ﷺ): "لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها"[1].

ولنتأمل هذا التضاد الحرفي في هذا الحديث النبوي الشريف بين: (على) و(إلى) لأن معنى الجلوس لا يستقيم إلا بـ (على) ومعنى الصلاة لا يكون ولا يفيد إلا بـ (إلى) فانظر هذا المحسن المعنوي كيف زاد المعنى بياناً والتركيب بهاء.

- وقوله (ﷺ): "قريش صلاح الناس لا يصلح الناس إلا بهم، ولا يعطى إلا عليهم كما أن الطعام لا يصلح إلا بالملح"[2]، ولنتأمل هذا التضاد البليغ في الحديث النبوي الشريف بين (بهم) و(عليهم) فإن الباء تفيد السببية، فلا يصلح الناس إلا بسببهم وهذا المعنى لا يستقيم إلا بالباء (أعني باء السببية) وكذلك العطاء، لا يعطى الناس إلا على قريش، كأنه (ﷺ) خصهم بذلك فجاء التضاد بغاية البلاغة وحلاوتها.

- ومن الشعر فقد جاء في قول مجنون ليلى[3]:

فيا رب سوِّ الحب بيني وبينها ... يكون كفافاً لا علي ولا ليا

جاء الطباق بين (علي) و(لي) فانظر إلى التضاد في الحرفين كيف أدى المعنى أداءً في غاية البيان والوضوح مع الإيجاز والبلاغة.

- وقول الأعشى الأكبر[4]:

قالت هريرة لما جئت زائرها ... ويلي عليك وويلي منك يا رجل

فالطباق بين (عليك) و(منك) وهذا التضاد الآخر جاء فريداً في بلاغته وحسن أدائه للمعنى فعند خوفها عليه عبر عنه بـ (ويلي عليك)، وعند خوفها من

(1) الجامع الصغير: 2/ 587، رقم الحديث: 9747.
(2) المصدر نفسه: 2/ 475، رقم الحديث: 7764.
(3) ديوان مجنون ليلى: 131.
(4) ديوان الأعشى: 149.

العواقب والوشاة والرقباء عبر عنه بـ (ويلي منك) فجاء هذا التضاد بغاية الإيجاز وغاية البلاغة مع الرونق والطلاوة وجودة التعبير وكأن هذه البلاغة وهذا الإيجاز سببه القوي هو وجود التضاد محسناً معنوياً أدرك به الشاعر غايته والسامع كفايته.

د. طباق الإيجاب بين مختلفين (اسم/ فعل)

فقد جاء ذلك في القرآن الكريم على لسان إبراهيم– عليه السلام– : (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى) [البقرة: من الآية: 260]، فالطباق حاصل بين (تحيي) و(الموتى).

وفي قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) [الملك: 19]

- وفي الحديث النبوي الشريف نجد الطباق من هذا النوع في قوله (ﷺ): "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: أني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه"[1].

فالطباق بين الفعل (يظلهم) والاسم (لا ظل) وهو من نوع طباق السلب بين مختلفين.

(1) مختصر صحيح البخاري: 102، رقم الحديث: 660.

وقوله (ﷺ): "إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه"[1].

وموضع الطباق لا يخفى في كونه كائن بين (فقولوا) و(قوله).

- ومن الشعر قول الأعشى[2]:

وعطاء إذا سألت إذا العذ	رة كانت عطية البخال

فالطباق بين (سألت) و (عطية).

وينقسم الطباق اللفظي كما بينا إلى قسمين هما: "الطباق الحقيقي" و"الطباق المجازي".

ويتفرع الطباق الحقيقي إلى فرعين هما: "طباق الإيجاب" و"طباق السلب"، وان كان هناك من تلاق في إيضاح المفاهيم والثوابت بين العلوم المختلفة، سواء ما كان منها بلغة الأرقام المجردة، أو لغة المعاني المتشابكة، ففي علم الرياضيات تؤصل قاعدة حاصل ضرب الإشارتين المختلفتين ينتج إشارة سالبة، وحاصل ضرب الإشارتين المتطابقتين ينتج عنه إشارة موجبة، فالبحث يرى أن تسمية طباق الإيجاب وطباق السلب جاءت من هذا القبيل، إذ إن العملية والنتيجة قد تشابهت مع التسليم بالفارق الدلالي لكل من العلمين، فطباق الإيجاب هو الجمع بين الشيء وضده، وشرطه أن يكون المعنيان مثبتين معاً أو منفيين معاً، أما إذا كان أحد طرفي الطباق مثبتاً والآخر منفياً، مختلفاً في جهة الأمر والنهي في سياق تعبيري واحد سمي الطباق حينئذٍ طباق السلب[3].

---

(1) مختصر صحيح البخاري، 113، رقم الحديث: 796.

(2) ديوان الأعشى الأكبر، 164.

(3) ينظر علم البديع، فيود، 118 – 119.

ويعرف الدكتور عبد العزيز عتيق طباق الإيجاب بقوله: "وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلباً"[1]، وهذا التعريف وإن كان فيه إيضاح أكثر إلا أنه جاء موافقاً لتعريف من سبقه من العلماء[2]، وقد جاء هذا اللون من الطباق في القرآن الكريم بكثرة وكذلك في الحديث النبوي الشريف وفي كلام العرب / منظومة ومنثورة، فمثاله في القرآن الكريم: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ) [آل عمران: من الآية 26].

وفي قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [التغابن: 2]، وفي غير هاتين الآيتين في مواضع كثيرة من القرآن.

ومن طباق الإيجاب في الحديث النبوي الشريف، قوله (ﷺ): "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً"[3].

فالطباق في هذا الحديث النبوي الشريف بين: (ضحكتم) و(بكيتم) وبين(قليلا)و(كثيرا)

- وقوله (ﷺ): "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"[4].

فالطباق حاصل بين (الصدق) و(الكذب) وبين (البر) و(الفجور) وبين (الجنة) و(النار) وبين (صديقاً) و(كذاباً)، وهو من الأحاديث التي ورد في سياقها الطباق أكثر من مرة، وسوف يتناولها البحث في جزء من مباحث هذه الدراسة.

(1) علم البديع، عتيق: 79.
(2) ينظر: الإيضاح: 335، عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: 4/ 288، جواهر البلاغة: 22، الطراز: 383.
(3) صحيح البخاري: 1594، رقم الحديث: 6485.
(4) مختصر صحيح البخاري: 457، رقم الحديث: 6094.

- ومن طباق الإيجاب في الحديث النبوي الشريف، قوله (ﷺ): "لا ضرر ولا ضرار"[1].

فالضرر إلحاق مفسده بالغير مطلقاً، والضرار: مقابلة الضرر بالضرر، أو إلحاق مفسده بالغير من جهة المقابلة.

وفسره بعضهم: بأن لا يضر الرجل أخاه ابتداء ولا جزاء[2]، "والحديث نص في تحريم الضرر؛ لأن النفي بـ (لا) الاستقراقية يفيد تحريم سائر أنواع الضرر في الشرع، لأنه نوع من الظلم، ما خص بدليل كالحدود"[3].

ومن الشعر قول جرير[4]:

وباسط خير فيكم بيمينه　　　وقابض شر عنكم بشماليا

ومما جاء من منثور كلام العرب في هذا الباب، قول هشام بن عبد الملك لخالد ابن صفوان: "بم بلغ فيكم الأحنف ما بلغ؟ قال: إن شئت أخبرتك بخلة، وإن شئت بخلتين، وإن شئت بثلاث، قال: فما الخلة؟ قال: كان أقوى الناس على نفسه، قال فما الخلتان؟ قال: كان موقى الشر ملقى الخير، قال فما الثلاث؟ قال: كان لا يجهل، ولا يبغي ولا يبخل"[5] وقيل لأحد العابدين أوصني! فقال: "اجعل الدنيا كيومٍ صمته، واجعل فطرك الموت، فكأن قد، والسلام، قال: زدني، قال: لا يرك الله عند ما نهاك عنه، ولا يفقدك عندما ما أمرك به، قال: زدني قال: إرض باليسير مع سلامة دينك، كما رضي قوم بالكثير مع هلاك دينهم"[6].

---

(1) مسند الإمام احمد: 1/ 113.
(2) غمز عيون البصائر: 118.
(3) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية: 252.
(4) ديوان جرير: 605.
(5) علم البديع: 80.
(6) البيان والتبيين: 3/ 109.

2. طباق السلب:

وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلباً أو نهياً و أمراً.

ومن أمثلة طباق السلب في القرآن الكريم قوله الله – جلَّ وعلا –: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الزمر: من الآية: 9]

فالمطابقة حاصلة بين: "يعلمون" و"ولا يعلمون" أي بين وجود العلم وعدمه.

- ومن الحديث النبوي الشريف قوله النبي (ﷺ): "**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه، فيدور كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ الم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**"[1].

فطباق السلب الافرادي في هذا الحديث حاصل بين (آتيه/ لا آتيه) وأما الطباق التركيبي فهو بين: "آمر بالمعروف ولا آتيه" وبين "أنهى عن المنكر وآتيه"، وفيه تحذير شديد من النبي (ﷺ) من الرياء والنفاق، من الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، فالرياء من الإنسان هو طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الخصال المحمودة، ويغفل عن مراقبة الله – عز وجل – وقد تواترت الأحاديث النبوية التي تذم أصحاب هذا الطريق المفضي إلى الهلكة.

والخسران ومن هذه الأحاديث قوله (ﷺ): "**من سمَّع سمَّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به**"[2] فمعنى قوله: "من سمَّع": أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم، أظهر الله سريرته على رؤوس الخلائق يوم القيامة[3].

---

(1) صحيح البخاري: 835 – 836، رقم الحديث: 3267، صحيح مسلم بشرح النووي: 18/ 96، رقم الحديث: 2988.

(2) صحيح البخاري: 1596، رقم الحديث: 6499.

(3) ينظر: تزكية النفس: 209– 210.

وهذه الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف تتضمن خمسة مشاهد متوالية متعاقبة بفعل الزمان: الإلقاء في النار، اندلاق الأمعاء، الدوران، اجتماع أهل النار، جواب المرائي في وعظه، إذ يتجلى الرعب في مشهد لا يعهد في الدنيا، إذ يدور المرء بأمعائه، وكأنه أصيب بالصرع، إذ يحار إلى أين يذهب بما رأى من أمعائه، والدوران في أشنع مشبه به وهو الحمار الذي يدور مكانه.. فاجتمع المنظر المقزز في مشهد رعبٍ مفزعٍ شنيع، وقد ساعد استخدام أصوات شديدة للتعبير "تندلق"، "أقتاب بطنه" وكأنما يصور الكسر بعد الفتح في "تندلق" خروج الأمعاء بعد تجمعها في الجوف، كما أننا نجد صفة الإكراه والقهر في صيغة الفعلين: "يؤتى" و"يلقى"[1]، والتشبيه بأمر يتصل بالحمار لا يكون إلا قبيحاً، وذلك سر اختياره دون غيره من الحيوانات الأخرى التي تستعمل لجر الرحى[2]، ففي وسط هذه الصور الحية التي تكاد تراها العين لشدة تصويرها وجودة رصف ألفاظها واختيار الألفاظ المناسبة الموحية بالمعنى من أقرب طريق وأيسر سبيل وأسهل تعبير نجد طباق السلب يؤدي وظيفته الإيحائية التصويرية فيقرب المعنى قرباً تكاد تراه بالعين وتلمسه باليد فيستقر المعنى في القلب ويفهمه العقل من أيسر طريق وابلغ عبارة فيأخذك العجب كل مأخذ وهنا يتضح لدينا دور الطباق في تحسين المعنى وتقريبه وتزيينه.

- وكذلك نجد طباق السلب في قول النبي (ﷺ): **"لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب"**[3]، وهذا توجيه نبوي بأن الضحك الكثير يجعل القلب قاسياً وغافلاً بعيداً عن الذكرى والاتعاظ، ويفهم منه ان قلة الضحك لا بأس به ومنه كذلك قول النبي (ﷺ): **"لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة"**[4].

---

(1) ينظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 662.

(2) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 169 .

(3) سنن ابن ماجة: 696، رقم الحديث: 4193.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي: 14/ 30، رقم الحديث: 2069.

فالطباق بين: (لبس) و(لم يلبس)، وهذا الحكم مقيد خاص بالرجال فحسب[1].

- أما في أشعار العرب، بيت ذي القرنين بن ناصر الدولة[2]:

فلا مشى من وشى عند العذول بنا ولا سعى بالذي يسعى بنا قدم

فالطباق بين: (لا سعى) و(يسعى)، وهذه العبارة من الاستعارة، فقد استعيرت لفظة (يسعى) للوشاية، والمعنى دعاء بعدم القدرة على المشي (السعي) دعاء عليه – على من يسعى (بمعنى يشى)، وفي تحليل هذه الاستعارة يقول أهل البلاغة: شبهت الوشاية والنميمة بالسعي بجامع التحرك والانتشار، واشتق من السعي (يسعى) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وسميت تصريحية لأن المشبه به موجود في الكلام (مصرح به) وسميت تبعية لأن الاستعارة جرت في الفعل[3].

وجاء طباق السلب في قول السموأل[4]:

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

فالطباق كائن بين (ننكر) و(لا ينكرون).

الطباق المجازي

الضرب الذي يأتي بألفاظ المجاز يسميه قدامة بن جعفر بـ "التكافؤ" بشرط أن تكون الأضداد لموصوف واحد، وهو ما كان طرفاه غير حقيقيين"[5].

(1) صحيح مسلم بشرح النووي: 14/ 30، رقم الحديث: 2069.

(2) لم أعثر على الديوان، نقلاً من كتاب الإعجاز والإيجاز: 228.

(3) ينظر: أساليب المجاز في القرآن الكريم:226.

(4) ديوان السموأل: 78.

(5) ينظر: نقد الشعر: 163.

وجاء الطباق المجازي في القرآن الكريم في مواضع عدة منها قوله – جل وعلا–: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) [البقرة: من الآية 16].

فان اشتراء الضلالة وبيع الهدى مجاز؛ لأنهما لا يباعان على سبيل الحقيقة[1]، ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى: اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة؛ لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وإعطاء آخر، فهم قد تركوا الهدى وأعرضوا عنه سفاهةً منهم وحمقاً لأنهم جانبوا الفطرة التي فطرهم الله عليها بعد أن كانت في أيديهم[2].

- وإذا ما نظرنا في الحديث النبوي الشريف، والذي يجاري أساليب العرب في التعبير عن الحاجات الإنسانية، إذ كانوا أهل بلاغة في المنطق، ورجاحةٍ في الأحلام، وصحةٍ في العقول، فحتى الذين كذبوا بالله ورسوله قد عرفوا الحق وعلموه ولكنهم أنكروه ظلماً وعلواً، فهم من جهة البيان جديرون، وبذرابة اللسان والبداهة والارتجال وبالاقتدار على إيجاد الكلام لما يجول في خواطرهم متمكنون، من غير عيٍ ولا تكلفٍ، فهذا طبعهم وهذه سجيتهم، فقد ذكر الدكتور أحمد حمد محسن، أن التوسع في الكلام عند العرب كان طريقاً مسلوكاً وأسلوبا معروفاً من أساليبهم فنقل عن سيبويه ما ذكره سيبويه نفسه عن العرب مما جاء على اتساع الكلام والاختصار[3] ويقصدون به أسلوب المجاز، وعلى هذا المنوال ما نجده في الحديث الشريف الذي جاء على نسق كلام العرب وأساليبهم، ومن هذه الأحاديث قوله – (ﷺ)– : "إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى، وإذا خلع فليبدأ بالشمال"[4]، إذ إن البدء باليمنى لا يكون بعد الانتعال، وإنما يكون بعد النية والإرادة، فالتعبير بفعل مسبب والمراد

(1) ينظر: من بلاغة القرآن الكريم: 244.

(2) ينظر: الكشاف: 1/ 190– 191.

(3) الكتاب 1/ 80، 89، 90، 108، 109، 110 ... ومواضع اخرى، ينظر: أساليب المجاز في القرآن الكريم: 53.

(4) صحيح البخاري: 1473، رقم الحديث: 5855.

في هذا السياق سببه وكذلك الحال بالنسبة لخلع النعال، فإنه لا يكون قبل البدء بالشمال وإنما البدء بالشمال يأتي تبعاً للإرادة ويصحب الخلع، فذكر لفظ المسبب والمراد هو السبب[1].

- وقوله (ﷺ): عندما سمع رجلاً يقول: "اللهم إني أسألك الصبر"، فقال: "سألت الله البلاء فسله العافية"[2].

فهو توجيه من النبي (ﷺ) لصاحب هذا الدعاء في نقدٍ كريمٍ لأدب العبارة، وتوجيه حكيم لفهم مضمونها، فرب كلمةٍ أورثت عطباً، فالسائل يسأل الله الصبر من دون أن يدرك المعنى المجازي للفظ عندما تكلم به، والصبر لا يكون إلا على بلاءٍ فكأنه يسأل ربه البلاء.

- وهذا من الجهل الذي يجب التنبيه إليه إذا لا ينبغي للمسلم أن يعرض نفسه للبلاء والفتن فقد لا يحتمل ولا يستطيعه فيرجع عليه بالخسران فعلمه معلم البشرية إلى أن يسأل الله العافية التي هي خير له[3].

- وقوله – عليه الصلاة والسلام –: "لا تركب البحر إلا حاجاً أو معتمراً أو غازياً في سبيل الله تعالى؛ فان تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً"[4].

الركوب إنما هو للسفينة الحالة في البحر أو المجاورة له، والمجاز في مقام التخويف أولى من الحقيقة، ونقل الدكتور عز الدين علي السيد عن الخطابي قوله: "هذا تفخيم لأمر البحر وتهويل لشأنه، فإن الآفة تسرع إلى راكبه، ولا يؤمن

(1) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 200.

(2) سنن الترمذي: 5/ 541، المعجم الكبير: 20/ 55.

(3) ينظر الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 202.

(4) مشكاة المصابيح: 1127/2.

هلاكه في الغالب الأعم، لا يؤمن هلاك من لامس النار أو دنا منها، وهذا معرض التخييل"[1].

ومن الشعر:

بناه بأس وجود صادق ومتى تبن العلى من سوى هذين ينهدم[2]

والمراد من هذا البيت انه قد أكثر من العطاء في وقت قل فيه العطاء، والشاهد فيه بين "التشييد" و"الانهدام" طباق في معانيها الحقيقية والمجازية على حدٍ سواء، أما إذا كان الطباق بين المعاني الحقيقية فقط دون المجازية المرادة فهو من إيهام التضاد[3].

ومن منثور كلام العرب في هذا الباب:

أصيب علي بن موسى بمصيبة، فصار إليه الحسن بن سهل، فقال:" إنا لم نأتك معزين، بل جئناك مقتدين؛ فالحمد لله الذي جعل حياتكم للناس رحمة، ومصائبكم لهم قدوة"[4].

وإنما ضد الحياة هو الموت أو القتل ولكن المتحدث أراد المعنى البعيد للمصائب، التي تشمل كل ما ألمَّ بالإنسان من الهم والغم والنصب، ومنها الموت وفراق الأحبة.

وقال ابن قتيبة نقلاً عن كتاب كليلة ودمنة: "الأدب يذهب عن العاقل السكر، ويزيد الأحمق سكراً"[5].

(1) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، 203.
(2) ديوان ابي تمام، 238.
(3) علم البديع، 117.
(4) زهر الآداب وثمر الألباب، 132.
(5) عيون الأخبار، 3/ 281.

وقول العرب: "نهاره صائم وليله قائم"[1]، وهو من علاقات المجاز العقلي الزمانية إذ إن النهار لا يصوم؛ والليل لا يقوم، وإنما يصام في النهار، ويقام في الليل والفاعل الحقيقي هو الصائم والقائم من المسلمين وهو في دلالة اللفظ الكلية، كناية عن الالتزام والتمسك بتعاليم الدين.

الطباق باعتبار الحس والعقل:

الحديث النبوي الشريف حافل بالصور الحسية التي رمت إلى مخاطبة الحواس إلى جانب مخاطبة العقل، فالحديث النبوي هو الذي يقوم بمهمة الإبلاغ عن الرسالة السماوية على أكمل وجه لإسعاد البشرية، وكأن إبلاغ هذه الرسالة يتطلب أن تكون الأمور واضحةً بين المبدع والمتلقي، فهو إذن غاية دينية جاءت في رونق فني راقٍ، فالحواس هي منافذ العلم والمعرفة وقد بين القرآن الكريم العلاقة بين الحواس والتعلم في قوله – جل وعلا –: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [الإسراء: 36]، وقوله تعالى: (وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) [النحل: 16].

ولم يكن ذلك خافياً على العلماء بأن ينبهوا إلى أن استخدام الحواس يزيد طمأنينة النفس واستقرارها، ومن هؤلاء العلماء عبد القاهر الجرجاني الذي قال: "المعلوم من طريق الإحساس والعيان متقدماً على المعلوم من طريق الروية وهاجس الفكر"[2].

إننا ندرك جيداً أن التصوير ليس كالتصور، فالمشاهدة ليست كالسماع ولا أدل على ذلك مما جاء في القرآن الكريم على لسان النبي إبراهيم – عليه السلام – إذ يطلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ليزيد بذلك طمأنينة قلبه، وهذا هو

(1) البلاغة والتطبيق: 341.

(2) اسرار البلاغة: 235.

حال سيدنا النبي موسى – عليه السلام – فإنه لم يلقي الألواح التي كانت في يده إلا حينما بصر بعينيه ما فعل قومه من صناعة العجل وعبادته، حينها ثار وغضب وألقى الألواح التي كان يحمل – فهو لم يلقها حينما أخبر عن ذلك إلا أن شاهد ونظر، فالبصر أكثر الحواس إحتكاكاً بالواقع، وأكثر إمداداً للعقل بقدر من الأفكار[1].

وقد ورد الطباق الذي يعتمد الحواس في القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) [البقرة: من الآية: 187].

فالأبيض والأسود محسوسان بحاسة البصر ولكنه لم يرد الخيط الحقيقي ولكن أراد خيط الشعاع الأبيض الذي ينتشر عند الأفق وقت الصباح وهو عكس الخيط الأسود الذي هو الظلام أو خيط الظلام من جهة شروق الشمس.

وفي قوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) [فاطر: 12]، فالطباق حاصل بين: (عذب فرات، وملح أجاج)، ولا يخفي في هذا الطباق كيف أن الله – جل وعلا – قد بين أهمية نعمة الماء العذب الذي تكون الحياة منه وفيه، بخلاف الماء المالح الذي تكثر ملوحته حتى يكون مراً ثقيلاً تكاد تنعدم فيه الحياة كما هو الحال في البحر الميت، لكن هذا لا يعنى عدم وجود الحياة في هذا الماء المالح بدليل قوله تعالى: (ومن كل تأكلون لحماً طرياً) وبدليل ما عليه الواقع[2].

ومن الطباق الذي يجيء من خلال التضاد بين الألوان والذي يعتمد على حاسة البصر، قول النبي (ﷺ): "... ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد

---

(1) ينظر الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 415، وينظر: علم أساليب البيان: 102.

(2) ينظر: تفسير القرآن الكريم: 3/ 729.

ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود"[1]، وفي هذا التشبيه النبوي اعتمد حاسة البصر في معرفة قلة عدد المسلمين يوم القيامة إذا ما قيس عددهم مع أعداد الأمم الأخرى على مرّ الزمان، لذا كان النبي- عليه الصلاة والسلام - مثل هذه الأمة بشعرة واحدة مميزة عن بقية الشعر بلونها الأبيض أو الأسود.

وقوله- عليه الصلاة والسلام -: "**المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة، طعمها مر أو - خبيث - وريحها مر**"[2].

جاء هذا الحديث النبوي الشريف بالتشبيهات المفعمة بالحواس، فالقمة في هذا النص يمثلها المؤمن القارئ، أما الحضيض فيمثله المنافق غير القارئ، وخلال هذين الأنموذجين قدم الحديث الشريف لوحة متعددة المشاهد، قائمة على فن التشبيه، وفي هذا الحديث نجد أن اغلب الحواس قد استعملها أو أشار إليها ففي الطباق بين: "يقرأ"، "ولا يقرأ" أثار حاسة السمع كونها دليل الاستماع والإنصات، وحاسة البصر في جمال المرئيات، وحاسة الشم في رائحة الأترجة، والحنظلة، مع الإشارة إلى انعدام رائحة التمرة، وقد جاء سرد الحديث تصعيداً للفكرة من أعلى إلى الأسفل، ففي القمة اعتلت الأترجة، وهي من الحمضيات ذات المنظر الجميل والملمس اللين والطعم الطيب والنكهة، وفي القاع ثبتت الحنظلة، وهي النبت الذي لا يؤكل، بل هي مثل في المرارة، بينما التمرة هي الوسط الذي يمثل قيمة غذائية فقط فصورة المؤمن غير ثابتة، فهي منتشرة مع الرائحة الزاكية وتبقى خاملة لعدم جدواها، أما

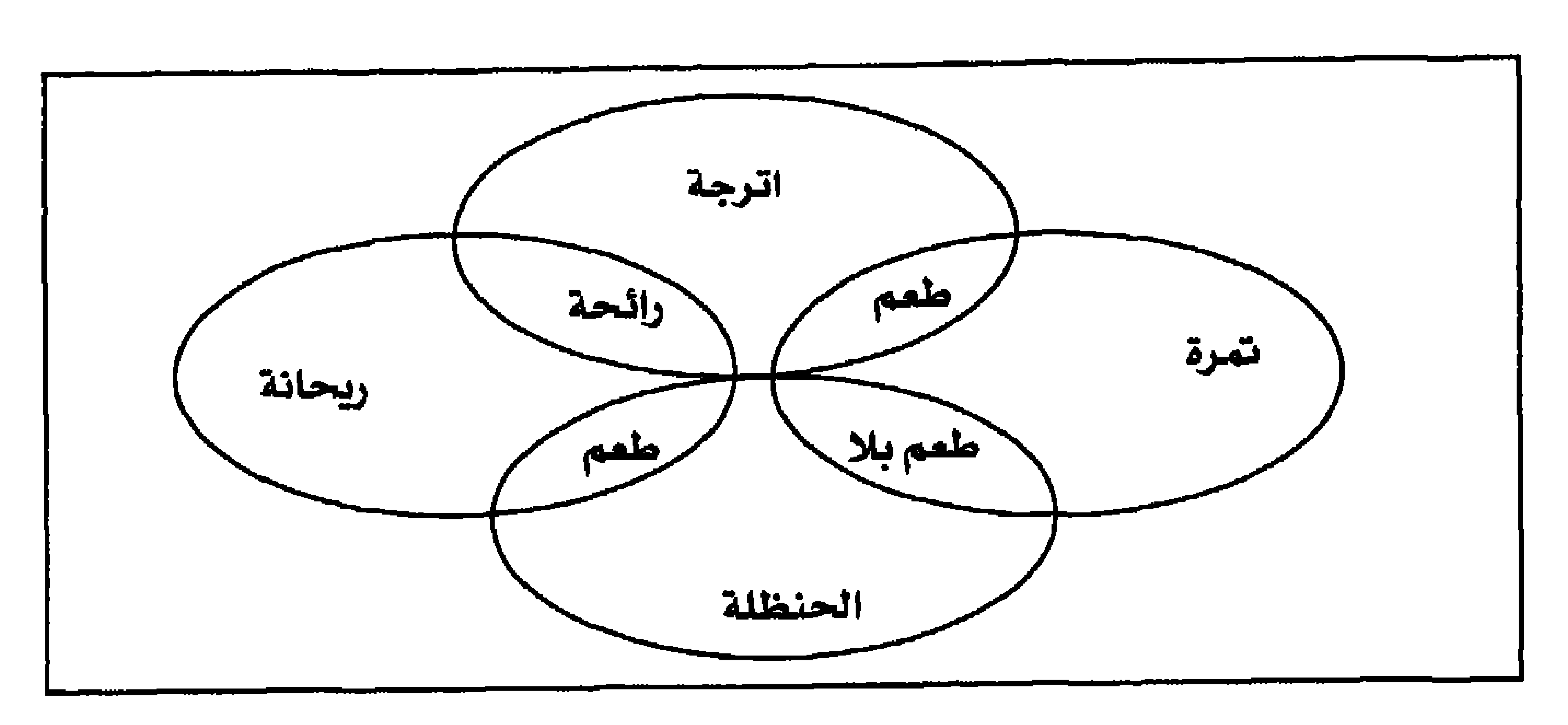
---

(1) مختصر صحيح البخاري: 317، رقم الحديث: 3346.

(2) صحيح البخاري: 1306، رقم الحديث: 5059.

الريحانة فان لها ريح طيبة قد تتوقف عن الانتشار، لأن المنافق لا يتخذ هذا الطيب منهاجاً وسلوك، فوجه الشبه يشكل توجيهاً للتخيل والتصور للجزئيات[1].

"ونستطيع إسقاط الخطاطة التالية لتوضيح العلاقة بين أجزاء المجتمع الإسلامي بحسب ما جاء في الحديث النبوي الشريف"[2].



خطاطة تمثل المجتمع الإسلامي

الطباق باعتبار العقل:

العقل مناط التكليف... وما كان عقلياً فهو ما لا يدرك بأي من الحواس، وإنما نشعر به في نفوسنا، ونحس بمعناه في الوجدان، والطباق الذي يجيء على هذا النحو لا ينكشف للبصيرة إلا بالتأمل والتفكر، ويضرب من التأويل لا ينقاد إلا لفكر ثاقب، وخيال واثب، وذلك لأن الأمور لها حكمان: "حكم ظاهر للحواس وحكم باطن للعقول، والعقل هو الحجة"[3]، فمجال الإدراك فيها هو العقل أو الشعور الوجداني والحس الباطني.

---

(1) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 145، 339، 640.

(2) المصدر نفسه: 640.

(3) الحيوان: 4/ 211.

فمثال ما يدركه المرء بعقله: العلم والحياة والذكاء والمروءة والكرامة والإباء والنجدة ومما يلحق بالمعقولات ما يدركه الإنسان بوجدانه نحو الجوع والشبع والفرح والحزن والطمأنينة والخوف[1].

وقد جاء هذا الطباق في القرآن الكريم في مواضع عدة مثل قوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة: من الآية 185].

فالطباق بين (اليسر/ العسر) وهو من الأمور العقلية التي تدرك بالعقل والوجدان، وكذا الأمر في قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة: 216]، فلا يخفى موضع الطباق بين: (تكرهوا) و(تحبوا)، وبين (خير لكم) و(شر لكم) فالقتال يستوجب الشدة وتتبعه المشقة فإنه — أي المقاتل — إما أن يقتل أو يجرح مع مشقة السفر ومجالدة الأعداء، يقول الزمخشري: "إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولنا: فإنما هي إقبال وإدبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له، وإما أن يكون فعلاً بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز: أي وهو مكروه لكم"[2]، ثم قال تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)، لان القتال يعقبه النصر والظفر على الأعداء والاستيلاء على بلادهم وأموالهم وذراريهم وأولادهم[3]، (وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) وهذا عام في الأمور كلها، فقد يحب الإنسان شيئاً وليس له فيه خير، ولا مصلحة ومن ذلك القعود عن القتال حباً في السلامة[4].

(1) علم أساليب البيان: 23.

(2) الكشاف: 1/ 356.

(3) تفسير القرآن العظيم: 1/ 337.

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 1/337.

ومن الحديث النبوي الشريف الذي جاء بالمعاني العقلية قوله (ﷺ): "أسرعوا بالجنازة فإن تكُ صالحة فخير تقدمونها إليه وان تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم"[1] فدلالة الطباق العقلية بين (الخير) و(الشر).

يأمر النبي (ﷺ) بان لا يؤخروا دفن الميت ولا يلبث كثيراً عند أهله، كما يفعل المبتدعون في أيامنا هذه من تأخير دفن الميت بحجة دخول يوم الجمعة[2]، إلا انه لا يجوز دفن الميت ليلاً ما لم يصلى عليه إلا لضرورة[3]، وبين النبي (ﷺ) بهذه الضدية بين الخير والشر، والصلاح وعدمه أمر غيبي وهو أن القبر هو أول منزل من منازل الآخرة وفيه يكون الإنسان إما منعّم وإما معذّب، فلا يجب حبس الميت.

- وقوله[4]: عندما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذاً إلى اليمن، فقال: "يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، وتطاوعا"[5].

قال الطيبي فيما نقله عنه العسقلاني: (هو معنى الثاني من باب المقابلة المعنوية، لأن الحقيقية أن يقال بشرا ولا تنذرا وآنسا ولا تنفرا، فجمع بينهما ليعم البشارة والنذارة والتأنيس والتنفير)[6]، قال العسقلاني: "ويظهر لي أن النكتة في الإتيان بلفظ البشارة وهو الأصل، وبلفظ التنفير وهو اللازم، وأتى بالذي بعده على العكس منه للإشارة إلى أن الإنذار لا ينفى مطلقاً بخلاف التنفير فاكتفى بما يلزم عنه الإنذار وهو التنفير، فكأنه قيل إن أنذرتم فليكن بغير تنفير"، كقوله تعالى: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) [طه: 44].

(1) صحيح البخاري: 317، رقم الحديث: 1315.
(2) زاد المؤمنين وموعظة المتقين: 105.
(3) الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز: 179.
(4) صحيح البخاري: 1078، رقم الحديث: 4344.
(5) فتح الباري: 7/ 709.
(6) المصدر نفسه: 7/ 709.

وهذا من خلقه (ﷺ) إذ كان يلازم التيسير في كل سيرته فما كان يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن حراماً أو معصية فإن كان كذلك كان أبعد الناس عنه، فيوجه (ﷺ) الدعاة عامة بأن أسلوب الدعوة إلى الله يكون باللين والبشرى وعدم التضييق على الناس في دينهم لأنهم يدعون إلى دين رحمة وبشرى للمتقين، لذا كان على الداعي إلى الله أن يغتنم فرصة حياته في منفعة المسلمين في دينهم وأخلاقهم وسلوكهم ويحرص دائماً في تذكيرهم، عن طريق الوعظ والإرشاد، وأن يكون وعظه مناسباً لتهذيب النفوس ومنشطاً للعمل الصالح المثمر والمنهج القويم[1].

- وقوله: **"من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر"[2].**

يقول العسقلاني: "معنى الإحسان الإخلاص حين دخل فيه ودوامه عليه إلى موته والإساءة بضد ذلك؛ فإنه إن لم يكن أخلص إسلامه كان من المنافقين فلا ينهدم عنه ما عمل في الجاهلية، فيضاف نفاقه المتأخر إلى كفره الماضي فيعاقب على جميع ذلك"[3].

فهو قد أطلق على الطباق الوارد في الحديث مصطلح "الضد" وذكر أنه وقع بين "أحسن" و"أساء" وبذلك يكون الطباق قد أدى دوراً مهماً في تأدية المعنى بأسلوب جميل، فالجمع بين الأضداد يظهرها في معرض التالف وهي متخالفة، ويربط بينها وهي متباعدة، فتزداد الفكرة وضوحاً، فيستجيب لها السامع ويتفاعل معها[4].

فرفع الحرج وانتهاج منهج اليسر عن المكلف في مجال العبادة له أهمية تربوية خاصة، وذلك أن العبادة هي تربية للنفس والجوارح والمشاعر والعواطف؛

(1) زاد المؤمنين وموعظة المتقين: 5.

(2) صحيح البخاري: 1683، رقم الحديث: 6921.

(3) فتح الباري:324/12.

(4) ينظر: دراسات في البلاغة العربية: 170.

لأجل أن تؤدي العبادة هذا الدور التربوي في حياة الإنسان لابد من أن يفسح المجال والطريق إلى تأدية هذا الدور، وتجنب العنت والمشقة التي تحول دون العبادة وأداء دورها في حياة البشر، فعندما يحل محلها اليسر ورفع الحرج يكون أداؤها سهلاً ميسوراً للأفراد والجماعات في سائر أحوالهم، وعلى قدر طاقاتهم فيكونوا على صلة دائمة بالخالق – جلّ وعلا – فتتربى نفوسهم ومشاعرهم، وتزكوا أخلاقهم وتتطهر جوارحهم، وتصفوا سرائرهم، وتسموا عواطفهم[1]، فقد يكون المكلف في حالة يتعذر عليه فيها فعل المأمور به كله، أو يشق عليه، بينما يتيسر له فعل بعضه ويقدر عليه، فيجب في هذه الحالة فعل الجزء المتيسر، وقد استمد العلماء هذه القاعدة "الميسور لا يسقط بالمعسور"[2]، وهي مستنبطة من الحديث الشريف: "إذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم"[3].

- ومن الشعر قول ابن دراج القسطلي:

وللموت في عيش الجبان تلون ... وللذعر في سمع الجريء صفير[4]

فالطباق في (الموت والعيش) كلاهما عقلي، والشاعر يشير بذلك إلى الرحلة للممدوح في المفاوز الخطرة التي يسلكها الشعراء للوصول إلى الممدوحين، والذي يعده الشاعر نصراً وفخراً له حال بلوغه مكانه المقصود، فهو يمثل عنده سمة الخلود، إذ إن اغلب الرحلات لغرض أن تلقى القصائد بين أيديهم مما يضمن لها الانتشار والخلود وبالتالي خلود ذكر صاحبها عبر الأجيال، كما يقول العالم النفساني إبراهيم ماسلو: "أعم الدوافع للإنسان هو دافع البقاء"[5].

(1) ينظر: العبادة وأثرها في تربية النفس: 58.
(2) الوافي في شرح الأربعين النووية: 61.
(3) صحيح البخاري: 1764، بعض من الحديث رقم: 7288.
(4) ديوان ابن دراج القسطلي: 251.
(5) المفاتيح العشرة للنجاح: 20.

- وقول أعرابي قد حجب على باب السلطان:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ولا يكرم النفس الذي لا يهينها[1]

فالطباق بين (أهين) و (أكرم) وهما من الأمور العقلية التي لا تدرك بالحواس، والشاعر يتصبر على الذل والاهانة وما يلقاه عند أبواب الأمراء مدعياً أن الذي لا يهين نفسه لأجل أن يكرمها برؤية ورفادة الأمراء فإنه بالمقابل لا يستطيع أن يكرمها لأنه أستنكف عن الوقوف في مثل هذا الموقف الذي يوصل إلى المحجوب فيحصل على ما يغنيه من اعطيات وإكرام الخلفاء والوزراء والأمراء له.

- ومن منثور كلام العرب: "من جهلنا نخطئ ومن خطئنا نتعلم"[2]

فالطباق بين: (الجهل) و (التعلم) وكلاهما عقلي لا يدرك بالحواس، وهذه الحكمة من الكلمات التي تحمل المعنى الكثير في اللفظ اليسير، فالإنسان عندما يكون جاهلاً بالشيء لابد من أن يقع في الخطأ، حتى ذهب هذا الأمر مثلاً بين الناس فقالوا: (الذي لا يخطأ لا يتعلم) فالإنسان يمر بتجارب وظروف يتعلم منها ما كان اخطأ فيه من قبل فلا يكرر الخطأ الذي كان قد اخطأ فيه أول مرة لأنه تعلم أن يجانبه من خلال التجربة، وفي هذا السياق جاء الحديث الشريف "**لا يلدغ المؤمن من جحرٍ واحدٍ مرتين**"[3].

وقال عامر بن الظرب: "الرأي نائم والهوى يقظان، لذلك يغالب الرأي الهوى"[4].

(1) لم اعثر على القائل، نقلاً عن كتاب عيون الأخبار: 91.

(2) ينابيع المعرفة: 99.

(3) صحيح البخاري: 1522، رقم الحديث: 6133.

(4) عيون الأخبار: 37.

فالطباق العقلي بين (النوم) و(اليقظة) وكلاهما عقلي لا يدركان بأي من الحواس الخمس وإنما نحن نرى أفعال النوم وأفعال اليقظة، ولذا نجد إن هناك من أطلق على الحياة الدنيا كلها تسمية النوم لان الإنسان لاه في أهله ومشغول في أحواله ولا يدري ما ينتظره بعد الموت من قطع لأمله والى ماذا يصير، أإلى ثواب أم إلى عقاب وقد قالوا الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، ولذلك يجب على الإنسان ان لا يذعن لهوى نفسه في حب الشهوات والملاذ لأن الرأي السديد يوصي بخلاف ذلك من أن الإنسان يجب أن يكون توفيقياً فلا يميل عن الطريق الذي يدله عليه عقله وأهل الرأي فيحيد عنه بإتباع هواه فيردى.

إذا فالطباق باعتبار العقل هو ما يكون فيه الطباق بين الشيء وضده في المعنى لا في اللفظ[1]، وقد يكون خافياً إلا بضرب من التأويل، ومن أمثلته في الأسلوب القرآني قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح: من الآية: 29].

فالمطابقة هنا بين (أشداد) و(رحماء)، والرحمة ليست ضداً لـ (أشداء) ولكن الرحمة تستلزم (اللين) الذي يتقابل ويتضاد مع (الشدة)، لأن من رحم لان قلبه ورق، فالتضاد كما رأيت ليس واضحاً، بل فيه خفاء[2].

- ومنه قوله تعالى: (أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) [الرعد: 19].

فقد وردت المفردات على غير ما هو معهود من التقابل، فالمعلوم أن ضد العلم هو الجهل، وضد العمى الأبصار ولكن التعبير القرآني يجيء على هذه الشاكلة، حيث يقابل بين (العلم) و(العمى)، وما هما بمتضادتين لفظاً، ولكن الجهل الذي هو

(1) ينظر: التحرير والتحبير: 115.

(2) شرح مواهب الفتاح:.

ضد العلم يشبه صاحبه بالأعمى، لأنه لا يقوى على التمييز بين الحقائق، ولا شك أن العمى هنا منظور إليه بمعناه غير الحسي، إذ المراد به الجهل أو الضلال، وهما ضدان لعلم الهدى[1]، فقد جاء في هذا التعبير القرآني بما يقارب الضد وبالمطابقة غير المحضة وهذا ما أشار إليه ابن سنان الخفاجي[2].

أما في الحديث النبوي الشريف، فقد ورد الطباق المعنوي في مواضع عدة منها قوله– عليه الصلاة والسلام –: **"الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله"**[3]، فالطباق بين (المؤمن) و(المنافق) ليس طباقاً لفظياً وإنما هو طباق معنوي، فما دام المنافق يظهر الإيمان ويبطن الكفر فإن المرء موكول بنيته فالمنافق هو معدود من الكافرين، فلا معنى لأن يظهر الإيمان إذا كفر في نفسه.

- وقوله (ﷺ): **"أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم"**[4].

فالطباق في هذا الحديث بين (عليهم) و (لهم)، لأن (على) تحمل معنى المضرة، وأما (لهم) تحمل معنى المنفعة، ومعلوم أن الحروف لا يظهر لها معنى إلا مع غيرها، فللحروف معان متعددة قد تتضاد وقد تتداخل وقد تلتقي والمرجع في ذلك الاستعمال، لأن الحروف ليس لها عمل مستقل بنفسها ولا تظهر معانيها إلا وفق ما استعملت فيه من سياق[5]، وغير خاف ما في هذا الحديث الشريف من التشبيه البليغ في إظهار فضل الأنصار في حفظ هذا الدين وإنهم قد أدوا ما عليهم من عهد في النصرة وبقي الذي لهم من الأجر والثواب من عند الله تعالى أولا؛ لأنهم عاهدوا

(1) ينظر: من روائع البديع في القرآن الكريم: 232.

(2) ينظر: سر الفصاحة: 192.

(3) صحيح البخاري: 954، رقم الحديث: 3783.

(4) مختصر صحيح البخاري: 346، رقم الحديث: 3799.

(5) ينظر: علم البديع، فيود: 116.

النبي على النصرة ولهم الجنة، فلما أدوا ذلك فقد نبه النبي (ﷺ) إلى عظيم فضلهم وان يعاملوا بأحسن معاملة لأنهم ملح هذه الأمة[1].

وقد ورد في البخاري عن أبي هريرة– رضي الله عنه – قال: "ما عاب النبي (ﷺ) طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه"[2].

إذ إن الكراهة ضدها الحب، ولكن سياق الكلام عن عدم إقباله على نوع من الطعام وتركه له دل على كراهته لهذا النوع من الطعام ومن ذلك عدم أكله للضب وتعليله بأن هذا النوع من الصيد لم يكن في أرض قومه وأنه لم يأكله من قبل فهو غير معتادٍ له فلذا تركه ولم يحرم أكله على بعض الصحابة الذين صادوه وصنعوا منه طعاماً لهم، فالاشتهاء للشيء فيه معنى المحبة، والعكس صحيح.

"وهذا متعلق بالمباح، أما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه"[3].

ومن الشعر قول قريط بن أنيف:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة   ومن إساءة أهل السوء إحسانا[4]

فقد قابل الشاعر الإساءة بالإحسان وهو طباق حقيقي ظاهر إلا إن الطباق الحاصل من مقابلة (الظلم) و(المغفرة) غير حقيقي فالذي يضاد الظلم هو العدل لا المغفرة، ولكن لما كانت المغفرة تجاوزاً عن المجازاة، والعدل مجازاة بالمثل، كانت المغفرة قريبة من العدل فالجمع بينهما جمع المعنى وما يتعلق بمقابلة، فهو طباق معنوي فيه من الخفاء ما يحتاج إلى الغوص في دلالات المعاني[5].

---

(1) ينظر: التشبيه في الحديث الشريف: 52.

(2) مختصر صحيح البخاري: 430، رقم الحديث: 5409.

(3) فتح الباري:9/ 536.

(4) شرح ديوان الحماسة: 1/ 5.

(5) ينظر: علم البديع، فيود: 118، التبيان في البيان: 162.

وقول أبي تمام:

مها الوحش إلا إن هاتا أوانس   قنا الخط إلا أن تلك ذوابل[1]

فالشاعر قد طابق بين (هاتا) وهي إشارة للقريب الحاضر، و(تلك) وهي إشارة للبعيد الغائب وقد مر إن الطباق الخفي (المعنوي) يمكن أن يعد بين الحروف؛ لان الحروف لا تظهر معانيها إلا بالاستعمال[2].

- ومن المنثور ما أورده الطيبي من أن المأمون مد يده لأعرابي ليقبلها، فامتنع فسأله المأمون أتتقزز منها؟ فقال: بل أتقزز لها[3].

طباق التدبيج

يفرد علماء البلاغة لهذا العنوان بحثا مستقلا ويوردون ذكره في بحث الطباق[5]، وهو مأخوذ من دبج الأرض، أي: زينها[4].

أما في التعريف الاصطلاحي: أن يذكر الطباق في معنى كالمدح وغيره من ألوان القصد منها الكناية، أو التورية، بحيث لا تأتي ألفاظ الطباق مجردة – الضد بالضد – وإنما يرد معها من أساليب البيان ما يزيدها بهجة ورونقاً، ويرتفع بجمالها وبلاغتها[6].

وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: 49].

---

(1) شرح ديوان أبي تمام: 241، الإيضاح: 2/ 480.

(2) التبيان في البيان: 163، علم البديع، فيود: 118.

(3) التبيان في البيان: 161.

(4) البلاغة العربية في ثوبها الجديد: 48.

(5) لسان العرب: 2/ 262.

(6) علوم البلاغة – البيان والمعاني والبديع: 298.

"وهو كناية عن هلاك الباطل ومحو أثره"[1]، وقال الزمخشري: "والحي إما أن يبدئ فعلاً أو يعيده، فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة، فجعلوه قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلاً في الهلاك"[2]، وقال ابن كثير: معناه: "لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة"[3]، فانظر إلى بلاغة الطباق بين "الحق" و"الباطل" كيف زينت المعنى وزادته رونقاً وبهاءً.

- ومن ألطف الكنايات التي زين السياق بها قوله تعالى: (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) [الطارق: 7]، فالمطابقة هنا بين: "الصلب" و"الترائب" وما هما بمتضادين لفظاً، ولكن الصلب الذي يكنى به عن الرجل يتضاد مع ما يشار ويكنى به المرأة من موضع قلادتها أو عظام صدرها، وقيل – العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة[4]، وقيل من بين صلبه ونحره[5]، فـ "الترائب" في المعنى هي ضد "الصلب" وهذا من باب الطباق المعنوي الخفي، وقد تقدم أن في الطباق المعنوي (الخفي) أن ترد المفردات على غير ما هو معهود من التقابل بين الأضداد، في ألفاظ تتقابل معانيها الحقيقية فالضدية فيه تختفي في اللفظ لتظهر في المعنى وعن طريق المرادف اللغوي الذي يولده التركيب اللغوي والذي يمثل بدوره أحد طرفي الطباق[6].

- أما ما جاء في قوله تعالى: (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ) [فاطر: من الآية: 27]، من أن المراد من الآية هو الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق، وما أول عليه من المفسرين[7]، والباحثين[8] فقد ثبت خلافه علمياً،

---

(1) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم: 254.
(2) الكشاف: 295.
(3) تفسير القرآن العظيم: 721.
(4) الكشاف: 4/ 241.
(5) تفسير القرآن العظيم: 4/ 649.
(6) ينظر: الطباق في القرآن الكريم(رسالة ماجستير): 18.
(7) ينظر: تفسير الجلالين: 575، ينظر معالم التنزيل: 419، فتح القدير: 4/ 493.
(8) ينظر: الطباق في القرآن الكريم: 148.

كون المعادن التي تتكون منها الصخور تتأكسد بفعل نزول المطر، ليخرج كل معدن من هذه المعادن لوناً يكسو الصخور المؤلفة للجبال[1].

ومن الحديث الشريف قوله (ﷺ): **"مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قومٍ استهموا على سفينةٍ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استسقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"**[2].

وهذا مثل نبوي في غاية الروعة والسلاسة والجمال، تصوير للمجتمع البشري الذي مثله بركاب سفينة، وان كانت طبائعهم وأغراضهم وأعمالهم وأنفسهم مختلفة صلاحاً وفساداً، ولكن الجامع بينهم هو ركوبهم لهذه السفينة، التي تقطع بهم بحر الدنيا وسط الأمواج والأعاصير والأمطار، وقد انقسموا فريقين بما استهموا فنال قسم منهم أعلى السفينة والقسم الآخر أسفلها، فكان الذين في أسفلها يمرون على الذين في أعلى السفينة لجلب الماء، ورؤية البحر والطبيعة، فسولت لهم أنفسهم أمراً بحجة باطلة زائفة وهي خرق السفينة بحجة أن لا يؤذوا من هم فوقهم، فاخذوا يعملون لخرقها، فإذا اعترض عليهم الذين من فوقهم قالوا نحن أحرار في سهمنا، كمثل حالنا على ظهر الأرض أن تركنا المفسدين يفسدون، وأذعنّا لحججهم بأنهم أحرار فيما يعملون، ولم نبين لهم ونرشدهم ونساعدهم هلكوا وهلكنا معهم بتركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الحديث إشارة إلى أن حرية الأفراد ليست بلا حدود أو قيد، وعلى حساب مصلحة المجتمع والأمة، فليس للمرء أن يصنع ما شاء لان ذلك سيعرض كيان الأمة كلها للهدم والانهيار كمثل هؤلاء الذين يقولون أننا أحرار في أن نخرق في السفينة من نصيبنا ما نشاء! فالواجب على المنكر لهذه الأعمال أن ينكر قبل استفحال المعاصي وشيوعها أما إذا

---

(1) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: 167.

(2) صحيح البخاري: 643، رقم الحديث: 2493.

عمت وشاعت وكان الخرق المؤدي إلى الغرق لا محالة، فلا ينفع من تلك الساعة النصح ولا يجدي الإنكار[1].. فالأخذ على الأيدي الذي جاء في الحديث الشريف، هو كناية عن صفة المنع من تنفيذ أغراضهم ومآربهم وهذه الكناية قد زادت من جمالية الطباق المتمثل في قوله (أسفلها) و(أعلاها) وكذلك بين (تركوهم) و(أخذوا على أيديهم)، وتحدث هذه الكناية من خلال حرف الجر "على" الذي يفيد الاستعلاء؛ لأن المنع يتطلب القوة والاستعلاء فجاء الحرف لكي يصور ذلك المنع عن طريق الجماعة التي تنهى عن المنكر.

ومن الشعر قول امرئ القيس:

مِكرٍ مِفرٍ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً ... كجلمودِ صخر حطه السيل من عَلِ[2]

"فالمطابقة في الإقبال والإدبار، ولكنه لما قال: معاً زادها تكميلاً في غاية الكمال فالمراد بها قرب الحركة في حالتي الإقبال والإدبار وحالتي الكر والفر، فلو ترك المطابقة مجردة من هذا التكميل ما حصل لها هذه البهجة ولا هذا الموقع ثم أنه استطرد، بعد تمام المطابقة وكمال التكميل، إلى التشبيه على سبيل الاستطراد البديعي، ولم يكن قد ضرب لأنواع البديع في بيوت العرب وتد، ولا امتد له سبب، وقد اشتمل بيت امرئ القيس على المطابقة والتكميل والاستطراد"[3]، فبهذا حصل لها هذه البهجة وهذا الوقع في النفس.

وقول أبي تمام يرثي أبا نهشل محمد بن حميد:

تردّى ثيابَ الموتِ حُمراً فما أتى ... لها الليلُ إلّا وهي مِن سندسٍ خضرِ[4]

(1) ينظر: الصورة الفنية: 428– 429.
(2) ديوان امرئ القيس: 54.
(3) خزانة الأدب: 161، وينظر: علم البديع، عتيق: 83.
(4) ديوان ابي تمام: 329.

فقد كنى عن القتل بلبس الثياب الحمر وعن دخول الجنة بخضر السندس إذ هو من شعار أهلها وجمع بين الحمرة والخضرة على سبيل الطباق[1].

- أما التدبيج الذي جاء في منثور كلام العرب ما جاء عن ابن الجوزي يصف حالة العالم وما يحس به من اغتراب بين الجهلاء بقولِهِ: "فهو حاضر في الخلق غائب عنهم، قريب إليهم بعيد عنهم"[2] فعلى الرغم من كونه يعيش وسطهم إلا أنهم لا يدركون قدره ومكانته، ولا قدر ما يحمل من العلم، وهذا تصوير لحالة نفسية يمر بها هذا العالم من عدم قدرة الناس على فهم هذا العلم الذي يحمل، حتى كأنه في حضوره وتواجده بينهم ليس بحاضر ولا متفاعل معهم فهي كناية عن الغربة التي يعيشها بين الناس، وقد حقق الطباق بين (حاضر) و(غائب) وبين (قريب إليهم) و(بعيد منهم) الإثارة والجمال، والإدهاش، واظهر قدرة الأديب البلاغية في جمعه بين هذه الأضداد إذ مثّل هذا نوع من التحدي بين المعاني[3].

وقد أورد الحموي من مقامات الحريري نصاً من المقامة الزورائية التي جاءت بقصد التورية والكناية وذلك في قوله: "فمذ أغبر العيش الأخضر، وازور المحبوب الأصفر، أسود يومي الأبيض، ابيض فودي الأسود، حتى رثا لي العدو الأزرق، فحبذا الموت الأحمر"[4].

فقد جاء بالتورية في قوله "المحبوب الأصفر" وهو الذهب، أما بقية الألوان فهي كنايات "خضرة العيش"، كناية عن طيبة، و"بياض اليوم" كناية عن السرور، و"سواد الفود" كناية عن الشباب والقوة، و"العدو الأزرق" كناية عن شدة عداوته أي

---

(1) علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، 298.

(2) مقامات ابن الجوزي، المقامة الثامنة والعشرون (في تفضيل العلم والعمل): 222.

(3) ينظر الأسلوب: 239.

(4) خزانة الأدب، الحموي، 2/ 453.

يكون خالص العداوة، و"الموت الأحمر" كناية عن الموت الجديد الطارئ الذي لم ييبس دمه بعد، وبهذا فقد جاء الطباق بالجمع بين تدبيج الكناية وتدبيج التورية[1].

طباق الترشيح

الرشح في اللغة: "ندى العرق"[2]، أما ما نعنيه من طباق الترشيح: هو أن تأتي ألفاظ الطباق مكسوة بألوان من فنون البديع ومتضمنا لها، كالجناس، واللف والنشر، ومبالغة التكميل وغيرها، مما يزيد من حلاوة التعبير وقوته، ويضفي عليه من البهاء والرونق ما يرتفع بجلالة موضوع الطباق، وقد أشار بعض البلاغيين إلى أن اجتماع الشيء بضده ليس بشيء إن لم يكتسي بحلل البديع[3].

ومن ذلك قوله تعالى: (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) [المائدة: من الآية: 54] فالطباق بين "أذلة" و"أعزة" وبين "المؤمنين" و "الكافرين" وهو من نوع طباق الإيجاب جاء مترشحاً عنه التكميل في قوله تعالى: (أعزة على الكافرين) فلو اكتفى بالقرينة الأولى، لأوهم أن الذلة هي لعجزهم ووهنهم، فاقترن بما ينبأ من التواضع ولا يؤدي إلى التكبر، وهذه من صفات المؤمنين الكُمّل، أن يكون احدهم متواضعاً لأخيه متعززاً على خصمه وعدوه، الذين لا تأخذهم في الله لومة اللائمين[4]، وقد وصفهم الله تعالى بأحسن ما يوصف به موصوف في قوله: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح: من الآية: 29].

ومنه قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) [الروم: 23] فقد ترشح عن الطباق بنية اللف والنشر والتي تكونت من

---

(1) ينظر: علم البديع، فيود: 122.

(2) لسان العرب: 2/ 449.

(3) ينظر: خزانة الأدب: 1/ 160، إعجاز القرآن: 81، كتاب الصناعتين: 308، علم البديع، عتيق: 82.

(4) ينظر: التبيان: 179.

عنصري الطباق: "الليل" و"النهار" وبنية النشر التي تتكون من عنصرين أيضا وهما "منامكم" وابتغاؤكم من فضله وقد تحدث الزمخشري عن هذه البنية: بقوله: "هذا باب من اللف وترتيبه، ومن آياته منامكم بالليل والنهار إلا أنه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد، مع إعانة اللف على الاتحاد"[1]، فالتقدير: منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار، فصل بين القرينتين الأخيرتين والأوليتين بإعانة اللف، وإلا فان ابتغاء الفضل الذي يستلزم الحركة والتنقل يكون في النهار أما النوم الذي يستلزم السكون فيكون ليلاً[2]، يعززه قوله تعالى: (وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [القصص: 73] فاللف والنشر فيه أبين وأوضح.

وكذلك الحال مع الحديث النبوي الشريف فقد جاء الطباق فيه بديباجة البديع ومنه قوله– عليه الصلاة والسلام– : "**إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً**"[3].

حيث جاء الطباق بين: "المكثرين" و"المقلين" وبين: "يمينه" و"شماله" وبين: "بين يديه" و "وراءه"، وترشح بالجناس التام بين: "خيراً" التي هي بمعنى المال و"خيراً" الثانية التي تحمل معنى الحسنة[4]، وقد تحمل كلمة "خيراً" الأولى المعنى العام للخير من علم وأدب وسلطان عدل ويكون المال داخراً في هذا المعنى، والإنسان بطبعه يحب المال؛ لأنه عصب الحياة، وعز له إذا ما بذله في سد الثغور وتحصيل العلوم والصناعة والزراعة وغيرها، فهو سلاح ذو حدين وهذا ما ذهب إليه الإمام الغزالي (ت 505 هـ) عندما مثله بالحية التي فيها ترياق نافع، وسم ناقع، فإذا أصابها المعزم الذي يعرف وجه الإحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة،

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 2/ 97.

(2) الكشاف: 3/ 218.

(3) صحيح البخاري: 1585، رقم الحديث: 6443.

(4) فتح الباري: 11/ 266.

وإن أصابها الغر فهي عليه بلاء وهلاك[1] وعلى هذا المعنى جاء الحديث الشريف إذ إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة وعلى هذا الحكم أهل الخير والصلاح بما ينفقون وما يعملون فيه من خير، وقد جاء هذا الاستثناء محققاً معنى القصر والاختصاص؛ لان نفى الشيء عن آخر وأثبته لسواه[2]، ويرى البحث إن مراد النبي (ﷺ) من قوله "فنفح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً" هو إن يبدأ بالجيران عن يمينه وعن شماله ومن أمامه ومن خلفه ثم بعامة أهل الإسلام، ولا يبخل به في الإنفاق على نفسه من توفير أسباب الدعة والرفاهية فإنما المال وديعة من عند الله في يد صاحبها وهي ستؤدى لمن استودعها، فلا ينبغي الحرص على جمعها بقصد المباهاة والتكاثر، وإهمال العمل فيه بطاعة الله تعالى فهذا مذموم شرعاً وقد جاءت الآيات والأحاديث متواترة في الترهيب منه[3]، "وهنا يتحول الخير الصوري بتصوير حسي متجانس إلى خير حقيقي، وبهذا يكون الجناس قد ربط لنا بين الوسيلة (المال = الخير الصوري) ومقصدها (الإنفاق = الخير الحقيقي برباط متناسق لفظاً ومعنى جرساً وإيقاعا"[4].

وورد الطباق متواشجاً مع فنون أخرى من فنون علم البديع كما في قوله (ﷺ): "**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**"[5].

يقول العسقلاني: "وفيه من البديع: المقابلة والمناسبة والموازنة في السجع لأنه قال: "حبيبتان إلى الرحمن" ولم يقل للرحمن لموازنة قوله: "على اللسان" وعدى كلا من الثلاثة بما يليق به[6]، وقال: في الحديث (جواز السجع في الدعاء إذا وقع

(1) ينظر: إحياء علوم الدين: 4/ 106.

(2) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 133.

(3) ينظر: التفسير الكبير: 7/ 37.

(4) الجناس وتطبيقاته في صحيح البخاري(رسالة ماجستير): 40 – 41.

(5) صحيح البخاري: 1577، رقم الحديث: 6406.

(6) فتح الباري: 11/ 249.

بغير كلفة)[1] فالطباق واقع في قوله: "خفيفتان" و"ثقيلتان"، وكذلك في الحروف كما بين "على" و "في"، إذ إن الحروف تحمل على الضدية في دلالة المعنى فالحرف "على" حرف جر يفيد الاستعلاء وهو بمعنى "فوق"[2]، أما الحرف "في" فهو حرف جر يفيد "الظرفية"[3] و"للوعاء حقيقة أو مجازاً"[4]، وفي هذا الحديث النبوي الشريف إن النبي (ﷺ) قد جمع بين أشياء متوافقة ومتناسبة في المعنى وهو ما يصطلح عليه البلاغيون بـ "التناسب والائتلاف أو مراعاة النظير"[5]، كما لا يخفى تواطؤ الفواصل "السجع"[6] الذي جاء من نوع السجع "المتوازي" والذي يكون فيه التوافق على الروي والوزن، وله شواهد من القرآن الكريم، كقوله تعالى: (فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ) [الغاشية: 13– 14] وهذا النوع من الفواصل اصطلح عليه العلماء بالفواصل المتماثلة أو المتجانسة[7]، فسبحان من أعطى نبيه جوامع الكلم ليعلم البشرية كيف يعبدون ربهم وينزهونه من كل ما لا يليق به من نقص أو عيب، فالمعنى هو: أسبحه بما علمني من محامده التي حمد بها نفسه، وانفي كل ما لا يليق بجلاله سبحانه تعالى[8]، والتسبيح سبيل للنجاة في الدنيا والآخرة فكان سبباً لنجاة يونس (عليه السلام) من بطن الحوت كما دل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [الصافات: 143– 144]، والذكر جنة، وقد ذهب الذاكرون بكل خير، وقد تكررت الأحاديث التي توصي بالذكر وملازمته والإكثار منه ومداومته وذلك بالإكثار من قوله: (سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله اكبر) وهن الباقيات الصالحات التي أشار الله تعالى

(1) المصدر نفسه: 11/ 249.

(2) المقرب: 220.

(3) معاني الحروف والأدوات المنسوب إلى الحسن بن حسين البخاري: 258.

(4) المقرب: 221.

(5) ينظر: التبيان في البيان: 165.

(6) المصدر نفسه: 250، الفوائد المشوق: 226.

(7) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 1/ 72.

(8) ينظر: المائة الثانية من وصايا الرسول: 9 115.

إليها في قوله تعالى (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا) [مريم: 76] فكل الأعمال الصالحات خير عند الله جزاءاً لأهلها، وخير رجوعاً وعاقبة وبشرى من حصول الأجر العظيم الذي أعده الله سبحانه للذاكرين الله كثيراً والذاكرات[1]، وقد خص النبي (ﷺ) التسبيح المقرون بالحمد والتعظيم مبيناً أن لا مشقة فيه ولا جهد، بل هو من السلاسة بمكان يكون فيه من أخف النطق على اللسان، وقد تدرج النبي (ﷺ) في أسلوب مشوق محاكياً حب الصحابة للمعرفة والنفس البشرية التي فطرت على الإسلام والدين الحنيف، فما من باب خير إلا دلهم عليه ولا باب لشر إلا حذرهم منه، يعلمهم بالعبادة العبادة، ومبيناً لهم إنها تؤدي في حدود التوسط والاعتدال، وانها تتصف باليسر وسهولة التطبيق[2]، وليس هناك جزء من البدن يعطل عن عبادة الله – جل وعلا – فالنظر مأمور، والسمع مأمور، والعقل مأمور، والقلب مأمور، واليدان مأمورتان، والرجلان كذلك، وكل الجوارح مأمورة بالعبادة ومن هذه الأعضاء اللسان: وعبادته تعتمد على النطق بالحق، ومجانية البذاءة وقبيح القول مما تركه أولى له من التلفظ به[3]، فهو قابل لان يكون مؤدباً مؤدباً، وذاكراً شاكراً، وقابل لأن يكون سليطاً فاحشاً بذئياً.. لذا كان ذا خطر عظيم على الإنسان، فقد يدخله الجنة، وقد يورده المهالك، لذا فان البني (ﷺ) يقول عندما سأله الصحابي الجليل معاذ بن جبل (رضي الله عنه): "يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما يتكلم به"؟ فقال: "ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم – أو قال: على مناخرهم – الا حصائد السنتهم"[4]، لذلك نجد أن النبي (ﷺ) اهتم بتربية الصحابة والأمة من بعدهم على أن يعتادوا القرآن والذكر آناء الليل وأطراف النهار، ويسيره لهم "كلمتان" وهو من باب إطلاق الجزء على الكل، إذ إنه أراد بذلك – الجملتين: سبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم، ولقصرهما وسهولتهما ويسر النطق بهما فبيّن أنهما خفيفتان على اللسان، وأنهما بالمقابل

(1) ينظر: المصدر نفسه: 2/ 113.

(2) ينظر: العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية(رسالة ماجستير): 34.

(3) المصدر نفسه: 16 – 27.

(4) صحيح سنن الترمذي: 2/ 329.

ثقيلتان في ميزان المؤمنين يوم توزن لهم أعمالهم، فليس شيء يعدل ذكر الله – ولا يوزن شيء مع اسمه إلا طاش وخف، ثم بعد ذلك فإنهما حبيبتان إلى الرحمن، يحب أن تذكروه بهن فأمر اللسان عند الله كبير وخطير، ولا أدل على ذلك من قول النبي (ﷺ): "إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وان أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عز وجل عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه"[1]، فبالكلمة يدخل الإنسان الإسلام وبها يخرج منه وبها يتزوج وبها يطلق... فأمره – أي اللسان – جد عظيم.

وكما ورد ترشيح الطباق في القرآن وفي الحديث النبوي الشريف نجده في أشعار العرب الذين جاءوا بالمطابقة منظومة في سلك البديع من حسن الانسجام، ورقة النسيب، وبديع اللف والنشر، وغيرها مما جاءوا به من بلاغة المطابقة، ومن ذلك: بيت الشيخ عز الدين:

أبكي فيضحك عن در مطابقة ... حتى تشابه منثور بمنتظم[2]

وقول امرئ القيس:

مكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً ... كجلمود صخرٍ حطه السيل من علِ[3]

فالمطابقة بين "الإقبال" و"الإدبار" لكنه زادها تكميلاً في غاية الكمال عندما قال: "معاً" فان المراد بها سرعة الفرس في حركته مقبلاً ومدبراً معاً فحصلت بها البهجة وازداد البيت تلألؤاً وجمالاً بهذا التكميل، ثم إنه بعد تمام المطابقة وكمال التكميل انتقل إلى التشبيه على سبيل الاستطراد البديعي الذي لم يكن للعرب نظم

(1) سلسلة الأحاديث الصحيحة: 2/ 549.
(2) لم اعثر على الديوان: ينظر: خزانة الأدب: 1/ 171.
(3) ديوان امرئ القيس: 54.

فيه، ولم يعرف لهم أنهم طرقوه من قبل، إذ انه كان في معنى فخرج منه، بطريق التشبيه إلى معنى آخر[1].

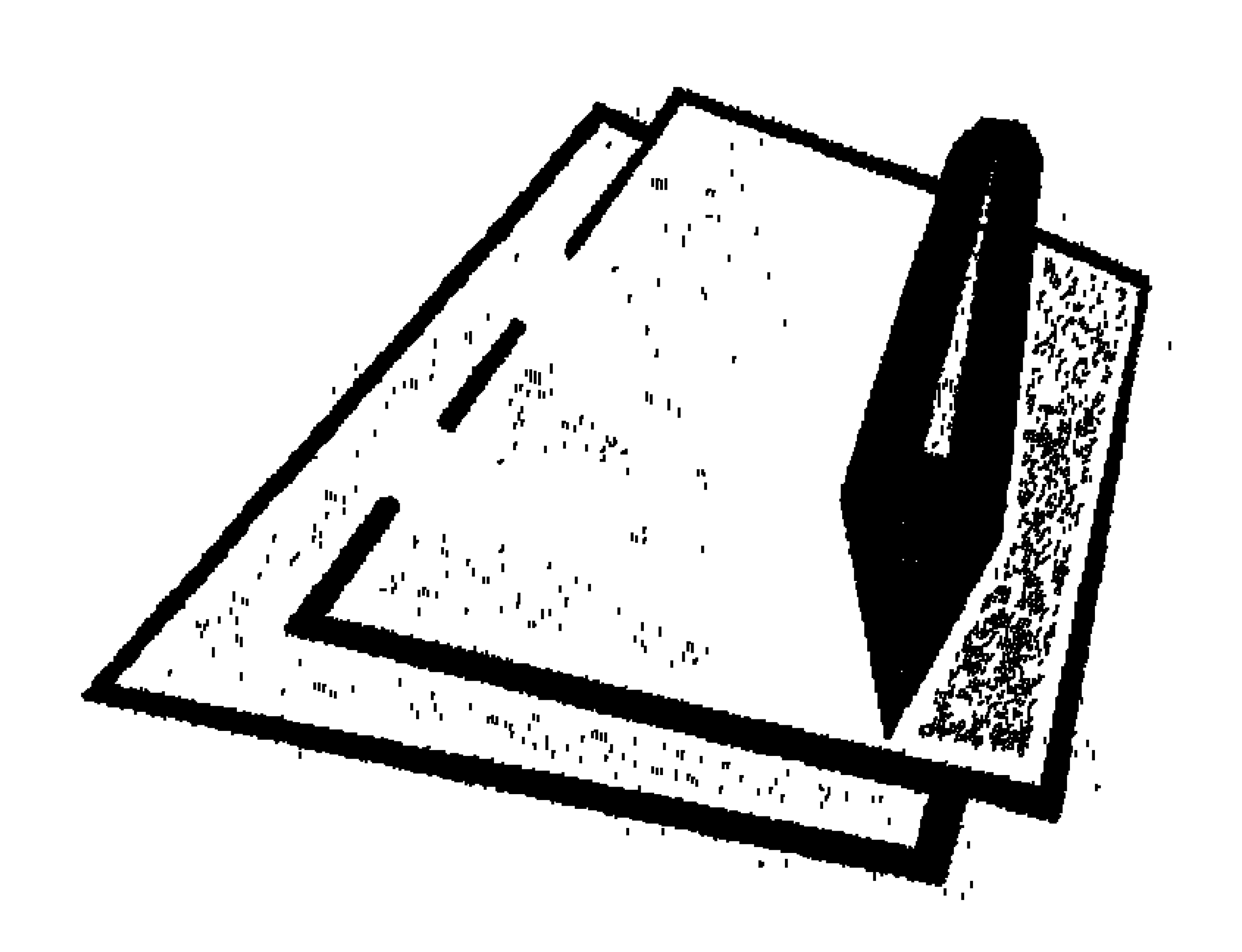
ومن الطباق الذي جاء في منثور كلام العرب مترشحاً بحلة من حلل البديع وهي التقسيم، قول علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه– : "انعم على من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره"[2]، فالطباق بين "استغن" و "واحتج"، وانه كرم الله وجهه – استوعب أقسام الدرجات، وأقسام أحوال الناس بين الفضل، والكفاف والنقص، فجاء الطباق مترشحاً ومتوشحاً ديباجة التقسيم بان منح الأسلوب ترابطاً وتماسكاً، اثر به على المتلقي وحرك ذهنه، وأذكى خياله، حتى جعله مشدود الفكر، مترقباً بعقله، مشغولاً بقلبه، لمعرفة أقسام المعاني التي أوردها إلى أن تم استيفاؤها، فقسم كل جزء من الأجزاء إلى ما يعينه وما يستوفيه من معنى الطباق[3].

(1) ينظر: خزانة الأدب: 1/ 161.

(2) من روائع البديع في القرآن الكريم: 172.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 172.

الفصل الثاني



* المبحث الأول.

* المبحث الثاني.

المبحث الأول

طباق الإيجاب في صحيح البخاري

إن الرسول (ﷺ) كان أفصح العرب، على أنه لا يتكلف القول، ولا يقصد إلى تزيينه، ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، بل كان حديثه على البداهة، يمتلك الأسلوب الرائع، والطريقة المحكمة، فقد كانت معانيه من الهام النبوة، ونتاج الحكمة، وغاية العقل، فاستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورَغِب عن الهجين السوقي، فلم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة وشُد بالتأييد، ويُسِّر بالتوفيق، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام والإيجاز، ولا عجب في ذلك فهو (ﷺ) المسدد بالوحي الإلهي، والناشئ بين قوم هم أعلام الفصاحة والبلاغة فقد كانت اللغة القرشية هي أفصح اللغات وألينها، إلا أنه (ﷺ) كان يخاطب كل قومٍ بالقريب من لغتهم، وكان أصحابه لا يفهمون أكثر ذلك إلا بعد تبصر واستقصاء لكلامه مع الوفود، فكان آية من آيات الله لأولئك القوم ولمن بعدهم[1].

وإذا كان قد ذهب بعض العلماء إلى أن الطباق يأتي لتزيين الكلام، فإنما ذلك إن كان مقصوداً، أما في الحديث النبوي الشريف فليس الأمر كذلك؛ لأن التحسين به حسن طبيعي غير مقصود لذاته[2]، وفيما يأتي نماذج من طباق الإيجاب في الأحاديث النبوية الشريفة وتحليلها واستكشاف هذا النوع من الطباق:

قال النبي (ﷺ): "الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى

(1) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: 217 – 221.

(2) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 233.

الله في أرضه محارمه، الا وان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، الا وهي القلب"[1].

"الحلال ضد الحرام.. كأنه من حللت الشيء إذا أبحته وأوسعته لأمرٍ فيه"[2] والحلال كلمة واسعة تشمل أبواب الخير ومقاصده الواسعة، فهو بيِّن واضح جلي لمن تحراه وطلبه بحق، والغالب أن أوسع أبوابه في المعاملات من أموال وأعراض تجارة والصدق فيها والتقيد بضوابطها المفضية إلى الورع والتقوى[3].

يقول العسقلاني في مقصود قوله (ﷺ): "الحلال بين والحرام بين" أي: "في عينيها ووصفهما بأدلتها الظاهرة"[4]، لأن الشرع قد بين في قرآنه وعلى لسان نبيِّه (ﷺ) فلم يدع مجالاً لمتقولٍ فيهما فهما معروفين عند المسلم، فالحرام ضد الحلال وهو في معناه: "المنع والتشديد"[5]، وإنما يكون الغموض والالتباس والشك والاضطراب والتردد فيما أشار إليه الحديث الشريف: "وبينهما مشبهات" وهو يحمل معنى الشك والريبة في كونه "لم يتيقن كونه حراماً أو حلالاً"[6]، فالضدية تكمن في "الحلال والحرام" هذه الضدية اللفظية بين الكلمتين قد كونتا الطباق الأول في الحديث الشريف، إذ ابتدأ النبي (ﷺ) الكلام بلفظ تستأنس النفوس المؤمنة به وهو "الحلال" لما فيه من السعة واطمئنان يفضي إلى استيعاب وتقبل ما يحمله الضد المقابل من الضيق والشدّة في مساحة "الحرام" الضيقة المنيعة، وكأنه صورة لمتقابلين بينهما مساحة تكمن فيها الأمور التي لا يعلمها كثير من الناس إلا أولوا الألباب والإفهام الذي يتبحرون في دينهم وهم العلماء المجتهدون، فالشبهات على هذا في حق غيرهم لكنها قد تقع لهم حيث لا يظهر لهم ترجيح أحد الدليلين[7]، مع

(1) صحيح البخاري: 84، رقم الحديث: 52.
(2) مقاييس اللغة: 2/ 20.
(3) ينظر: إحياء علوم الدين: 3/ 68 – 69.
(4) فتح الباري: 1/ 159.
(5) مقاييس اللغة: 2/ 45.
(6) التعريفات: 72.
(7) ينظر: فتح الباري: 1/ 159 – 160.

الأخذ بالقاعدة الفقهية "درء المفاسد أولى من جلب المصالح" بحيث إذا تعارض المانع والمقتضي يقدم المانع[1].

ثم ينتقل الحديث الشريف في تعبيره إلى رسم صورة حسية للطباق المعنوي بين "اتقى ووقع" والتي تحمل معنى الزهد والورع المفضي إلى الابتعاد والمجانبة عن هذه الأمور المشتبهة وبين عكسه الذي يدل على فساد القلب الذي يجر إلى الوقوع في المحرمات لعدم ابتعاده عن ما فيه شك وريبة، والتعبير بقوله: "وقع في الشبهات" يوحي بأن الخطأ هبوط يرمز إلى سفلية الشيطان، والطبع الحيواني من الإنسان، زيادة على ما يفيده معنى "الوقوع" من الظلمة، واختلاط المشاعر والغواية العمياء التي يترفع عنها الإنسان السوي[2].

وقد تكرر في الحديث أداة الاستفتاح "ألا" التي تفيد التنبيه والحض ويؤتى بها لتأكيد ما بعدها[3]، وكأنه (ﷺ) يقول لهم ألا فاعلموا ألا فتنبهوا، ثم أردفها بمؤكد آخر هو "أن" التي هي من أخوات "إن" الحرف المشبه بالفعل يفيد التوكيد والمصدرية[4]، فدل توالي هذه المؤكدات على ضرورة العلم وعظم الأمر وخطره، وسرعة اقتحامه من خلال التعبير بلفظ "يوشك"، وقد حسم الراعي في هذا النص الخواطر القلبية في التردد بين الأقدام والأحجام في سلوك ما أو موقف الحياة[5]، فقوله "كراعٍ يرعى": "جملة مستأنفة وردت على سبيل التمثيل للتنبيه بالشاهد على الغائب، والحمى المحمى، أطلق المصدر على اسم المفعول"[6]، بحيث جاء التشبيه التمثيلي جامعاً بين صورة الضأن وهي ترعى حول الحمى وهي مضطربة وبين صورة الحمى من حولها المنذر بالعقوبة والهلاك لمن يقع فيه، والتي من خلالها ندرك عظم المسؤولية التي يحملها الراعي التي يوضحها ويكشفها الطباق الثاني المتمثل في

---

(1) القواعد الفقهية: 34.

(2) ينظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 666.

(3) ينظر: قاموس الإعراب: 13.

(4) المصدر نفسه: 21.

(5) ينظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 363.

(6) فتح الباري: 1/ 161.

"صلاح القلب وفساده" بقولة (ﷺ): الا وهي "القلب" فالقلب هو الراعي على الجوارح والأعضاء في الجسد وإنما اللسان ترجمانه والمرء بأصغريه قلبه ولسانه[1]، وما يفعله الراعي تفعله الرعية تبعاً له وقد قيل: "قلوب الرعية خزائن ملوكها فما أودعتها من شيء فلتعلم أنه فيها"[2].

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي حوت أكثر من طباق واحد، ما رواه البخاري عن أبي موسى عن أبيه، عن النبي (ﷺ): أنه كان يدعوا بهذا الدعاء: "رب اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري كلّه، وما انت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي، وكل ذلك عندي. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، انت المقدم وانت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير"[3].

فقد وقع الطباق بين: "عمدي" و"هزلي" وبين: "قدمت" و"أخرت" وبين: "أسررت" و"أعلنت" وبين: "المقدم" و"المؤخر".

إن الذنوب إما أن تكون عن عمد وإما عن جهل يفضي إلى الهزل، فمعلم البشرية قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ ولكنه يدعو ربه بهذا الدعاء عبادةً لله لأن الدعاء هو مخ العبادة، وتعليماً لأصحابه خاصة ولأمته عامةً كيف يستغفرون لذنوبهم وكيف يحيطون بها من كل جهة، والاستغفار أمره عظيم إذ إن العبد لا ينفك عن ذنب يذنبه أو تقصير يقصره ولهذا "كان المشروع أن يختم جميع الأعمال بالاستغفار"[4]، وهذه الكثرة في الطباق يعكس التذبذب في النفس الإنسانية – عند غيره (ﷺ) إذ هو محفوف بالعصمة – فالالتزام بالمنهج الصحيح ليس بالأمر اليسير؛ فلابد لمن أراد ذلك أن يفهم الفهم الدقيق الجيد لمعاني النهج الصحيح بطول تأمل وتكرار هذه المعاني التي جاءت في المصادر الناقلة للعلوم الشرعية النافعة،

(1) ينظر: التشبيه في الحديث الشريف: 114.
(2) عيون الإخبار: 10.
(3) صحيح البخاري: 1576، رقم الحديث: 6398.
(4) عمدة القارئ: 2/ 154.

ويردفه: تقوى الله التي تنير قلب المسلم وتقوي فيه قوة الإدراك والرؤية فيبصر الحق واضحاً جلياً.. ويكون دائم الالتجاء إلى الله تعالى وعدم مسايرة النفس ومجاراتها وأن يطهر قلبه من جراثيم الرياء تطهيراً كاملاً[1]، فالاستغفار سنة رسول الله (ﷺ) في الصلاة والصيام وسائر العبادات كان يختمها بالاستغفار لجواز التوبة على الأنبياء وهذا مذهب أهل السنة والجماعة والأئمة من سلف هذه الأمة[2].

فالطباق الأول هو طباق معنوي إذ إن "العمد" يتضمن معنى الجد والإصرار – وإن كان صادر عن جهل – فانه ضد "الهزل" فهو طلب من النبي (ﷺ) ودعاء إلى رب الأرض والسماء بان يغفر له ما يستوجب الاستغفار من قول وعمل في العمد والهزل، فان العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه[3]، والأنبياء هم أكثر الناس اجتهاداً بالعبادة لما أعطاهم الله تعالى من العلم به فعلى قدر المعرفة بالله تعالى تكون الخشية والخوف منه، أما الفاجر فهو قليل المعرفة فلذلك قل خوفه من الله فاستهان بالمعصية، وقوله "ما قدمت" أي ما كان من عمل سوء عملته فيما مضى من العمر، فالنفس ناظرة إلى هذا الماضي في حساب وندم يبعث على الضراعة خوفاً من العقاب، وذكر "أخرت" إشفاق على النفس والتوجس من المقبل المغيب، يحمل على الحذر ويبين الضعف الذي يقتضي طلب المعونة والستر، وتلك معان في الرجاء يبين بعضها بعضاً[4].

والطباق بين: "ما أسررت" و"ما أعلنت" يقول الدكتور عز الدين علي السيد: "فذكر الأسرار يقتضي الخجل من المطلع على السرائر، وذكر الإعلان يقتضي شدة الخجل على المجابهة والمجاهرة، فكل الناس معافى إلا المجاهرين، وليس شيء من ذلك ملحوظاً إذا استغنى عن التقابل بذكر "الكل" وقد ناسب هذا التفصيل أن يناجي الله بالاسمين الجليلين على جهة التقابل بين لازمهما: أنت المقدم وأنت

(1) ينظر: اصول الدعوة: 418 – 419.

(2) الرسالة التدمرية: 1/ 137.

(3) ينظر: فتح الباري: 11/ 115.

(4) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية:234، فتح الباري: 11/ 121.

المؤخر، مالك أمورنا، الماضي فينا حكما بهذا أو ذاك، ويغني عن ذكر الاسمين بلاغة أن يقال مثلاً: أنت الله، مع الجزم بصدق اللفظ الجليل على جميع الكمالات، لأن في الاسمين دلالتين تفصيليتين تأتت بهما في العبادة صورة البراءة من حول المتكلم وقوته تقديماً أو تأخيراً تسليماً للقضاء وإنما بالفقر يؤكد الخوف والرجاء الداعيين إلى الضراعة"[1].

ومن الأحاديث النبوية التي جاءت متضمنة أكثر من طباق واحد قوله (ﷺ): **"اشتكت النار إلى ربها، فقالت: ربِّ أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفسٍ في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير"**[2].

فالطباق الأول طباق عقلي بين: "الشتاء" و"الصيف"، فالطبيعة مرتبطة بثنائية الخير والشر فدلت على سبل الهداية، وقد وجد بعض الدارسين أن الطبيعة تكون سلوكاً معيناً تبعاً لماهيتها، "فالجفاف والجدب ووعورة الحياة هي التي حددت القيم الأخلاقية عند العرب بالضعف أمام قوة الطبيعة وقسوتها هو الذي فرض عليهم تقديس القوة والبسالة، وهو الذي جعلهما من مبادئ السيادة عند العربي"[3]، فالطبيعة بهذا الوصف وتلمس شدتها لديهم عبر عنها النبي (ﷺ) بلفظ "أشد" والتي وردت لطلب التصور لحر الصيف وزمهرير الشتاء واللذان يمثلان الطباق الثاني المعنوي في الحديث الشريف إذ إن الزمهرير يحمل معنى البرد والقر، ومنه قوله جل وعلا: (مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) [الإنسان: 13]، فالحديث الشريف يبين معنى الزمهرير بقوله (ﷺ) **"اشد ما تجدون من الحر، واشد ما تجدون من الزمهرير"** وعليه فان ما نقله الزمخشري من أن لفظ "الزمهرير" يعني القمر[4]، ليس إليه سبيل لا في الآية الكريمة ولا في الحديث الشريف إذ إن

---

(1) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 234.
(2) صحيح البخاري: 789، رقم الحديث: 3078.
(3) الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي: 297.
(4) الكشاف: 4/ 197.

الشمس هي الباعث لأشعة الشمس، والله جل وعز يقول: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الإسراء: 12) وقد ثبت علمياً أن القمر كان من الأجرام السماوية المتوهجة لكنها انطفأت منذ زمن بعيد[1]، وعليه فان القمر ليس المقصود بهذا اللفظ وان كان هذا اللفظ بهذا المعنى في لغة فهي ليست مقصود الحديث بهذا اللفظ، والأولى أن يكون تفسير القرآن بالسنة النبوية أولى من التأويل.

ولا يخفى التصوير في الحديث الشريف الذي يصور النار كائن حي يشتكي ويتألم من شدة حر نفسها ومن أكل بعضها بعضاً، وان لها نفس تتنفسه، يزيد من حرارة الجو في الصيف ومن برودته في الشتاء، ونلحظ في النص النقلة من الحوار ومشهده في عالم الغيب إلى تصور الحرارة والبرودة في العالم المشهود، وكون النار خرجت عن ماهيتها وتكيفها مع حيثياتها وأجزائها، يدعو إلى الترهيب، إذ كيف يمكن للعصاة أن يتحملوا عذاب نار وهول لا تتحمله النار ذاتها، فكونها تتكلم يزيد في طاقة إرعابها للإنسان، فهي مدركة واعية لمهمتها إزاء من لم يفهم مهمته في الأرض ولم يعمل بمقتضاها[2].

يقول الحافظ ابن العربي (ت 543 هـ) في شرح حديث مشابه في صفة جهنم[3]: "قدرة الله متسعة لتركيب ما ذكر وجوده بجهنم من السمع والبصر والنطق بالعبارات واللسان، وجهنم أجسام، وكل جسم يحتمل ذلك"[4].

---

(1) ينظر:موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة:308.

(2) ينظر: الصورة الفنية في الحديث الشريف: 470.

(3) الحديث رواه الترمذي، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): "تخرج عنقه من النار يوم القيامة له عينان تبصران، وأذناه تسمعان ولسان ينطق،..."، الترمذي، باب ما جاء في صفة النار، رقم الحديث: 2577.

(4) عارضة الاحوذي بشرح صحيح الترمذي: 10/ 44.

وفي الحديث النبوي الشريف دلالة على قرب جهنم، أو بقرب زمان ومكان عذابها، لان تأثير النفس بهذه الشدة يدل على قرب صاحبه[1]، وفي الحديث من بديع اللف والنشر غير المرتب فقوله- عليه الصلاة والسلام- : **"اشد ما تجدون من الزمهرير"** فهو من النشر الثاني الذي يعود إلى اللف الأول: "نفس في الشتاء" وقوله: **"أشد ما تجدون من الحر"** هو النشر الأول الذي يعود إلى اللف الثاني: "ونفسٍ في الصيف" وهو يدل على عظم قدرة الله تعالى في انه المغير للأحوال وكون هذا التغيير مؤدياً إلى النفع العظيم في تعاقب الحر والبرد وما فيهما من النفع في التفكر والتبصر؛ لأن من رأى شدة الحر والبرد في الصيف والشتاء وعلم أنها من نفس جهنم يعلم بالضرورة هولها وجحيمها وشدتها على من باء بغضب الله.

الأحاديث التي تحتوي على أكثر من طباق

وهذا اللون من الطباق تتقابل فيه كل كلمتين تتنافيان في اللفظ والمعنى تنافياً ضدياً في أصل الوضع اللغوي، كالدنيا والآخرة، والحياة والموت، والخير والشر، وكثير من المفردات، وليس المقصود من ذلك القيام بإحصاءات رياضية للمفردات المتضادة وإنما الغرض معرفة دلالات أنساقها في أطر الأحداث والمواقف التي ترد في الكلام عليها، ورصد طبيعة الطباق اللفظي المباشر في الحديث النبوي الشريف وما تنماز به من خصوصية وما تؤديه من المقاصد ضمن مفاهيم الدائرة التعبيرية للطباق.

وسنعرض لبيان هذا المراد بعض من المتون النبوية الشريفة:

روى البخاري من حديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي (ﷺ) يعوده مع عبد الرحمن بن عوفٍ، وسعد بن أبي وقاصٍ، وعبد الله بن مسعود (رضي الله عنهم) فلما دخل عليه، فوجده في غاشية أهله، فقال: **"قد قضى"**؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي (ﷺ)فلما رأى القوم بكاء

---

(1) ينظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 471.

النبي (ﷺ) بكوا، فقال: "ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا، – وأشار إلى لسانه – أو يرحم، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه"[1].

في هذا الحديث النبوي الشريف: طباق السلب بين: "لا يعذب" و"يعذب" وطباق إيجاب بين: "يعذب" و"يرحم"، يخبر النبي (ﷺ) أن الله تعالى لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب وإنما يعذب بالنياحة وهذر اللسان حينما يصيب الإنسان شيء من مصائب الدنيا، حين يبتلى العبد في صحته بالمرض، وفي ماله بالخسارة، وفي أحبائه بالموت، فإن جادت عيناه وحزن قلبه لم يؤاخذ على ذلك وإنما يؤاخذ إذا سخط اللسان ودعى بدعوى الجاهلية[2].

وقد تشكلت ثورة التضاد بوشيجة التخيير "أو" العاطفة الدالة على التغاير فهو سبحانه إما راحم وإما معذب وإنما الخيار لمتلقي التوجيه النبوي الشريف بين الحزن المشروع والغلو فيه، وجاءت إشارة النبي (ﷺ) إلى لسانه عملية أثرت التوجيه النبوي بغيض من الدلالة لأنها أعانت على الفهم ولفتت النظر، وطردت الشرود، وأشركت في متابعة أكثر من حاسة، فالناظر يرى الإشارة ويسمع العبارة، ويذكر كلاً منهما بالأخرى[3].

والمعادلة في مثل هذا الأمر بسيرة، وعادله فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط من الله – عز وجل –.

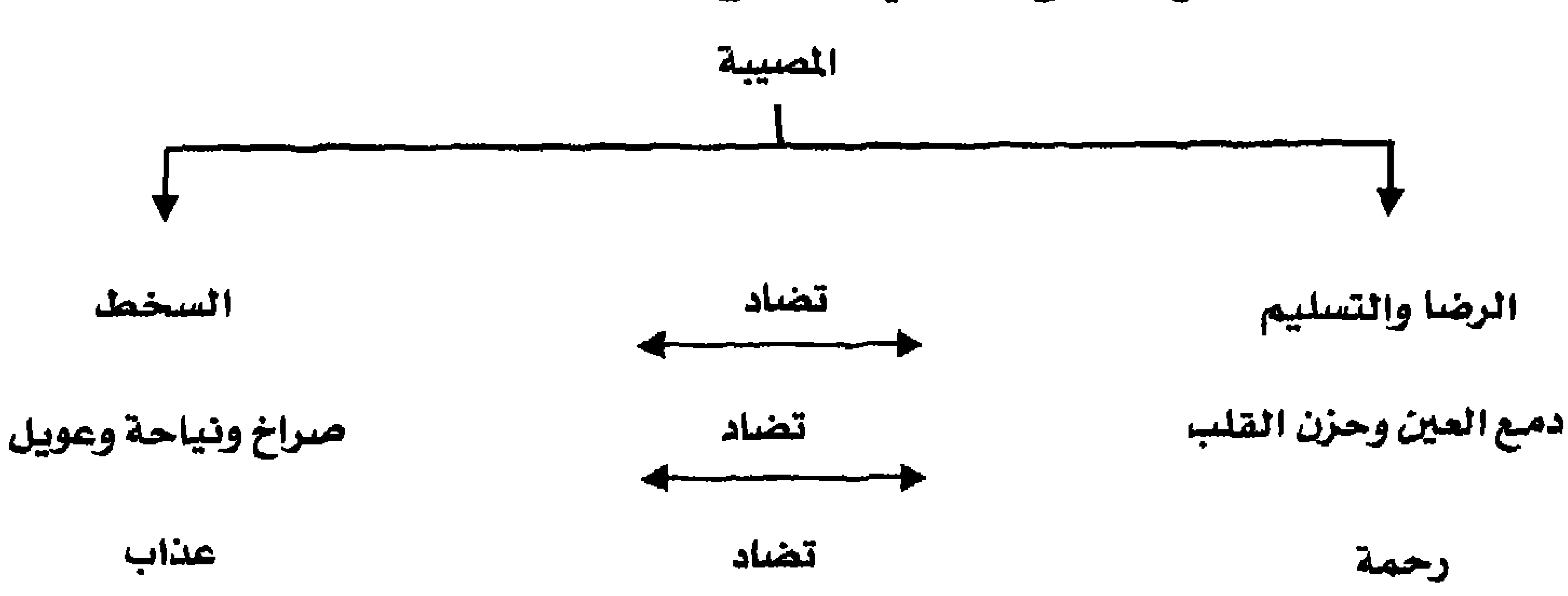
---

(1) صحيح البخاري: 369، رقم الحديث: 1304.

(2) ينظر: تزكية النفس: 128.

(3) ينظر: التقابل في الحديث النبوي: 43.

وهذه الترسيمة توضح التدرج المفضي إلى بلوغ أحد الحالين



أما الحديث الآخر الذي جاء فيه أكثر من طباق واحد "متعدد"، قوله — عليه الصلاة والسلام —: **"لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة"**[1].

فالطباق الأول بين: "لهم" و"لنا" وهي في دلالتها فإنما تدل على التمليك، أي أنهم يمتلكونها في الدنيا ويتباهون بالأكل في صحافها، ويلبسها في سنوات أعمارهم المحدودة في الدنيا، أما في الآخرة فإنها "لنا" وإضافة الشيء إلى نفسه (ﷺ) زيادة في الترغيب في الرفقة معه في الجنة التي أعدها الله للمتقين، يتمتعون فيما لأعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويرغبهم النبي (ﷺ) بالزهادة في الدنيا وزينتها وترفها[2]، وأن يكونوا لما في يد الله أوثق مما في أيديهم، لأنه يعلم — عليه الصلاة والسلام — بأن الله سيفتح عليهم بلاد الدنيا وتأتيهم كنوزها، وسوف يطلعون على حضارات الأمم الأخرى، فيحذرهم من أن يفتنوا بزينة الدنيا تشبهاً بأولئك الذين أترفوا فيها وتنافسوها حتى أهلكتهم، إذ ليس للمؤمن أن يركن إلى ما في الدنيا من الزينة ولا إن يغلب الحرام صبره ولا يشغل الحلال شكره[3]، وهذا ما دل عليه الطباق الثاني "الدنيا" و"الآخرة"، فليس الذم على من أحب الدنيا من

(1) صحيح البخاري: 1388، رقم الحديث: 5426.

(2) ينظر: المائة الثانية من وصايا الرسول (ﷺ)، م2/ 380 – 381.

(3) ينظر: جامع العلوم والحكم: 361 – 163.

وجوهها المباحة – شرعاً – وأدى ما هو مكلف فيه من واجبات، ولكن الذم يكون على من توسع في التمتع بشهوات الدنيا؛ لأنه ينقص من درجاتهم في الآخرة بقدر توسعهم فيها، قال ابن عمر: "لا يصيب عبد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله، وإن كان عليه كريماً"[1]، وهذا الكلام يعضده حديث النبي (ﷺ): **"من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة"**[2].

الأحاديث التي تحتوي على طباق واحد:

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني نقلاً عن الراغب: "الند أحد المتقابلين وهما الشيئان المختلفان اللذان يجتمعان في شيء واحد ففارق الند في المشاركة ووافقه في المعارضة"[3].

وقد جاء الطباق الواحد في أحاديث عدة من صحيح البخاري وسوف نأخذ بعضاً منها لبيان بعض ما تحتويه كنوز الحديث النبوي الشريف، التي سعى من خلالها النبي (ﷺ) إلى مناسبة المقام بأسلوب الكلام، تبليغاً وتعليماً ونهياً وأمراً.

روى البخاري من حديث جابر ابن عبد الله (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ): **"بينا أنا امشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا المَلَك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني، زملوني"** فانزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: 1–5]، **"فحمي الوحي وتتابع"**[4].

(1) المصدر نفسه: 366.
(2) صحيح البخاري: 1469، رقم الحديث: 5834.
(3) فتح الباري: 13/ 601.
(4) صحيح البخاري: 66، رقم الحديث: 4.

فالطباق حاصل بين: "السموات" و"الأرض" وهذا الطباق الكوني الذي يتضمن تقديم لفظ السموات على الأرض؛ لعل من أسباب ذلك كونها من الدلائل المذهلة في عظيم الصفة الخالقية "لسعتها وعظمها وما فيها من الكواكب، وشمسها وقمرها، وبروجها وعلوها واستغنائها عن عمد وثقلها، أو علاقة ترفعها إلى غير ذلك من عجائبها، التي الأرض وما فيها كقطرة إذا ما قيست بسعتها، ولهذا أمر سبحانه أن يرجع الناظر البصر فيها كرة بعد كرة، ويتأمل استوائها، واتساقها وبراءتها من الخلل والفطور"[1]، وهذا الطباق من أنواع الطباق اللفظي الايجابي، وإن لم يكن طباقاً مباشراً وإنما يتكون من خلال ما يفرزانه من مفردات معنوية لكلا الطرفين يتمثل بـ "فوق وتحت" أو "اسفل وأعلى" أو "القصوى والدنيا"[2]، يصور النبي– عليه الصلاة والسلام – موقف من مواقف بدأ البعثة والمشاهد غير المألوفة لديه ولم يعتادها بعد، حيث عني التصوير الحديثي بنقل المشاهد المتحركة والجامدة، ليس نقلاً "فوتوغرافياً" جامداً وإنما جاء ناقداً للمنظر نقلاً تمتزج به العواطف أو المعاني النفسية العميقة بما يحرك الدفين الإنساني، فضلا عن كونه يثير الإعجاب في كونه يتضمن الدقة الحرفية في النقل[3]، وكانت المفاجئة في الحديث النبي الشريف تتجلى في قوله – عليه الصلاة والسلام –: "فإذا" ومعلوم أن "الفاء" حرف يفيد العطف والترتيب، والتي جاءت مقترنة بـ "إذا" الفجائية – وهي زائدة عند بعض النحويين وعاطفة عند آخرين عند مجيئها في مثل هذا السياق[4]، وهذه المفاجئة التي فوجئ بها النبي (ﷺ) بعد فترة الوحي وغيابه لمدة من الزمان[5]، ليذهب عنه الروع الذي كان وجده من رؤيته أول مرة، وليحصل له التشوق إلى العود[6]، فلما حصل ذلك وجاءه جبريل للمرة الثانية – أخذه الذهول حتى هوى

(1) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: 109، وينظر: الطباق في القرآن الكريم: 21.

(2) ينظر: الطباق في القرآن الكريم: 22.

(3) ينظر: الأصول الفنية للأدب: 11.

(4) ينظر: مغني اللبيب عن كتاب الاعاريب: 186، وقاموس الإعراب: 64.

(5) اختلف العلماء في المدة التي فتر فيها الوحي فمنهم من قال بأنها ايام ومنهم من قال ستة اشهر ومنهم من عدها إلى ثلاث سنين.

(6) ينظر: فتح الباري: 9/ 33 – 34.

إلى الأرض – يعبر عنها النبي (ﷺ) بقوله "فرعبت منه" أي سبب هذه الرؤية المفاجئة وهذه الهيئة الغريبة، حتى رجع إلى أهله ترتعد فرائصه، ليبحث عند أهله على الراحة والأمان والدفء بقوله "زملوني زملوني" ولكن الوحي لم يدعه لما أراد، وإنما نزعه من دفئ الفراش بقوله – جلّ وعزّ – (يا أيها المدثر قُمْ فانذر...) لتدفع به هذه الكلمات في الخضم بين الزعازع والأنواء، وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفي واقع الحياة سواء[1].

فقام (ﷺ) وبقي قائماً أكثر من عشرين عاماً، لم يسترح ولم يسكن، ولم يعش لنفسه ولا لأهله، ليحمل على عاتقه العبء الثقيل الباهظ ولا ينوء به، من حمل الأمانة الكبرى وإرساء العقيدة الصحيحة، وإخراج البشرية من الظلمات إلى النور بإذن ربه، فأدى الأمانة وبلغ الرسالة وما من خير إلا دلّ الناس عليه ولا من شرّ إلا حذرهم منه، فجزاه الله عنا وعن البشرية خير الجزاء.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي حوت على طباق واحد بصيغة الإيجاب قول النبي (ﷺ): **"إذا التقى المسلمان بسيفيها فالقاتل والمقتول في النار" فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟! قال: "إنه كان حريصاً على قتل صاحبه"**[2].

وقع الطباق في الحديث النبوي الشريف بين: **"القاتل"** و **"المقتول"**، وفعل القتل من الجرائم التي توجب إقامة الحد في الشريعة الإسلامية وفيها القصاص من الجاني – إذا كان فعله عن عمد؛ لقوله – جل وعلا – (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى) [البقرة: 178]، ويشترط في إقامة الحد شروطاً منها: أن يكون القتل عمداً عدواناً؛ لقوله (ﷺ): **"العمد قود"** وأن يكون القتيل معصوم الدم، وأن يكون مكافئاً للقاتل بمعنى أن القاتل لا يزيد عليه بحرية

(1) ينظر: الرحيق المختوم: 68 – 69.

(2) صحيح البخاري: 78، رقم الحديث: 31.

أو إسلام[1]، وهذا الأمر متعلق بالجزاء في الدنيا، أما في الآخرة فالجزاء الدخول في النار؛ لقوله – جلَّ وعزَّ –: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) [النساء: 93]، والأمر على خلاف بين الأئمة في خلود من تاب وقدم نفسه للعقاب راضياً، وبين من لم يكشف أمره أو لم يقدر عليه[2]، وهذه النصوص يجب أن يتعلمها المسلمون لما فيها من وعد ووعيد وإنذار وتهديد لهم من أن يستحل بعضهم دماء بعض، كما هو الحال في أيامنا هذه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد جاء الحديث النبوي مبتدءاً بقول النبي (ﷺ): "إذا" التي دخلت على الجملة الفعلية "التقى المسلمان" فدلت على غير المفاجئة، فهي ظرف للمستقبل من الزمان متضمنة معنى الشرط[3]، الذي يفسره قول النبي (ﷺ)"فالقاتل والمقتول في النار" الواقع في جواب الشرط، حيث بين النبي (ﷺ) أن من عقد النية على قتل المسلم، كان جزاؤه بمثل جزاء القاتل إن هو قُتل على تلك النية وذلك العزم من الحرص على قتل القاتل، فالأعمال مقيدة بالنوايا؛ فسبب اشتراك القاتل والمقتول – عمداً – هو العزم والنية على فعل القتل، وهذا الاشتراك في العقوبة مع الكفار لا يخرجهم من الملة وإن دلت أحاديث كثيرة على أن قتال المسلم كفر[4]، إلا أن مذهب أهل السنة والجماعة لا يجيز تكفير أحد بذنب، ومنهم البخاري الذي رد على من يكفر بالذنوب كالخوارج، وتابعه في ذلك الكرماني والعسقلاني[5]، وقد استدل الجميع بما حدث من الفتنة والقتال بين أصحاب رسول الله (ﷺ)، فأولئك قد شهد الله لهم بالإيمان بقوله– تعالى: (وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) [الحجرات: من الآية: 9]، وشهد لهم النبي (ﷺ) بالإسلام في قوله: "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به

(1) ينظر: أصول الدعوة: 291.

(2) ينظر: الفقه على المذاهب الأربعة: م4، ج5/ 190 – 192.

(3) ينظر: مغني اللبيب: 113.

(4) على سبيل المثال لا الحصر: قوله (ﷺ): "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" رواه الشيخان، وقوله (عليه الصلاة والسلام): "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" رواه الشيخان، إلا إن البخاري أورده بلفظ "ضلالاً"، وقوله (ﷺ): "من أعان على قتل مؤمن شطر كلمة..."، ينظر: المشكاة: 1/ 1035، رقم الحديث: 3484.

(5) ينظر: فتح الباري: 108.

بين فئتين عظيمتين من المسلمين"[1]، وقد حدث هذا الصلح بين الحسن بن علي (رضي الله عنهما) وبين معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما)، ولكن في هذا الحديث الشريف "إذا التقى المسلمان بسيفيهما" فسماهما مسلمين مع التوعد بالنار، "والمراد هنا إذا كانت المقاتلة بغير تأويل سائغ"[2].

طباق النهيين:

عن أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: **"لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها بغائط أو بول ولكن شرقوا أو غربوا"**[3].

يرى الباحث أن هذا الحديث فيه لون نادر من الطباق وهو طباق النهيين والذي لم أجد له تكراراً كثيراً في الحديث النبوي، والطباق واقع بين: "لا تستقبلوا" و"لا تستدبروها"، إذ دل هذا الحديث النبوي الشريف على أدب من آداب قضاء الحاجة، وهو المنع من استقبال القبلة أو استدبارها في البول أو الغائط، وهذا الاستقبال والاستدبار قد اختلف العلماء في جوازه اختلافاً كثيراً[4]، فذهب بعض الأئمة إلى تحريمه في الفضاء وإباحته في البناء ونحوه، وهو ما ذهب إليه الإمام مالك والإمام الشافعي وهذا المذهب هو الذي تجتمع فيه الأدلة الشرعية الصحيحة الواضحة[5].

والغائط حقيقة هو المطمئن من الأرض، أو هو بطون الأودية التي كانوا ينحدرون بها لقضاء الحاجة تستراً، ثم كثر استعمالهم لهذه الحاجة، فصار يكنى بها عن الخارج المستقذر من الإنسان كراهية تسميته باسمه الخاص[6]، ومعلوم أن

---

(1) صحيح البخاري: 698، رقم الحديث: 2704 و 7109.
(2) فتح الباري: 180.
(3) صحيح البخاري: 172، رقم الحديث: 394.
(4) نيل الاوطار: 1/ 120.
(5) ينظر: عمدة القارئ:4/191.
(6) ينظر: أساليب المجالس في القرآن الكريم: 83، عمدة القارئ: 4/192.

النهي إذا صدر من أعلى إلى أدنى فإنه يفيد معاني مجازية يحددها السياق وقرائن الأحوال، ومنها النصح والإرشاد الذي يذهب إليه الحديث النبوي من النصيحة الخالصة والإرشاد الخالص الذي لا إلزام فيه[1]، ومثله في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ) [البقرة: آية: 282]، وقد ابتدأ الحديث النبوي بـ "لا" الجازمة المسماة بـ "لا" الناهية التي تدخل على الفعل المضارع فتجزمه وتفيد النهي عن القيام بالفعل[2]، كقول المتنبي:

لا تشتر العبد إلا والعصا معه   إن العبيد لأنجاس مناكيد[3]

وحقيقة الأمر أن الأصل في النهي التحريم[4]، إلا أنه متعلق بأهل المدينة الذين لا يستقبلون القبلة إن شرقوا أو غربوا، "قال أبو أيوب: فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض بنيت قبل القبلة فننحرف ونستغفر الله تعالى، وعن الزهري عن عطاء قال: سمعت أبا أيوب عن النبي (ﷺ) مثله"[5]، وهذا يدل على مدى الخلاف الذي كان بين الأئمة في إباحة التوجه في البناء وعدم إباحته.

ويأتي الطباق الثاني بين "شرقوا" أو "غربوا" وهو من طباق الإيجاب، والذي يتضح فيه — كما في غيره — من أنواع الطباق في الحديث النبوي السلاسة وعدم التكلف والتصنع في الكلام، فهو يرد عفواً كالماء الرقراق الذي يسيل على الأشداق، والسنة النبوية هي بيان للقرآن أو زيادة على ذلك، إذ إن الاستقراء يدل على أن في السنة النبوية أشياء كثيرة لم ينص عليها القرآن كتحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع[6]، وهذا الطباق هو من تخصيص العموم، "والعام هو لفظ يستغرق جميع ما يصلح له بوضع واحد، والتخصيص هو صرف الدلالة أو الحكم

(1) ينظر: علم المعاني ودلالات الأمر والنهي في القرآن الكريم:229.
(2) ينظر: قاموس الإعراب: 87.
(3) ديوان المتنبي: بشرح العكبري: 2/ 43.
(4) ينظر: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: 45.
(5) فتح الباري: 626.
(6) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 11.

ت	الحديث	رقم الحديث	نوع الطباق باعتبار مادة الطرفين		
			إسمان	فعلان	مختلفان
.7	"بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن، فشربت حتى إني لأرى الري يخرج من أضفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب".	82		-	
.8	"ما من شيء لم أكن أريته إلا أريته في مقامي هذا، حتى الجنة والنار، وأنه أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من فتنة المسيح الدجال، يقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو المؤمنة، فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى فأجبناه واتبعناه، هو محمد ثلاثاً، فيقال: نم صالحاً، قد علمنا	86	-		

ت	الحديث	رقم الحديث	نوع الطباق باعتبار مادة الطرفين		
			إسمان	فعلان	مختلفان
	إن كنت لموقفاً به، وأما المنافق أو المرتاب – لا أدري أي ذلك قالت أسماء – فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته".				
9-	"دعوة، وهريقوا على بوله سجلاً من ماءٍ – أو ذنوباً من ماءٍ – فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين".	220	-		
.10	فإنما ذلك عرق، وليس بحيضٍ، فإذا اقبلت حيضتك فدعي الصلاة، وإذا ادبرت فاغسلي عنك الدم ثم صلي".	228		-	
.11	"إذا اتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم وجهي	247	-		

ت	الحديث	رقم الحديث	نوع الطباق باعتبار مادة الطرفين		
			إسمان	فعلان	مختلفان
	إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا اليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به".				
12.	"إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاتهِ، فليتحرَ الصواب فليتم عليه، ثم يسلم، ثم يسجد سجدتين".	401		-	

ت	الحديث	رقم الحديث	نوع الطباق باعتبار مادة الطرفين		
			إسمان	فعلان	مختلفان
.13	"فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا".	635		-	
.14	"أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، وكافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كد وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب".	845	-		
.15	"أحب الصلاة إلى الله صلاة داؤد عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داؤد، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً.	1131		-	

ت	الحديث	رقم الحديث	نوع الطباق باعتبار مادة الطرفين		
			إسمان	فعلان	مختلفان
.16	"إن الله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب".	1284		-	
.17	"ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله ورسوله، وأما خالد: فأنكم تظلمون خالداً، قد احتبس أدراعه واعتده في سبيل الله، وأما بعاس بن عبد المطلب: فعم رسول الله (ﷺ) فهي عليه صدقة ومثلها معها".	1468			-

يكتفي البحث بهذه الأمثلة:

وينظـر: ح: 104، 122؛ 144، 162، 304، 335، 349، 447، 472، 536، 540، 554، 555، 582، 583، 595، 608، 660، 744، 806، 832، 843، 844، 876، 927، 1044، 1117، 1120، 1142، 1162، 1295، 1315، 1338، 1362، 1367، 1379، 1386، 1395، 1414، 1419، 1429، 1442، 1472، 1586، 2051، 2059، 2076، 2077، 2079، 2118، 2151، 2311، 2358، 2440، 2441، 2449، 2458، 2493، 2787، 2892، 2957، 2992، 2996، 3117، 3174، 3208، 3240، 3241، 3348، 3435، 3473، 3495، 3522، 3606، 3661، 3783، 3800، 3887، 4135، 4202، 4351، 4485، 4581، 4621، 4634، 4674، 4684، 4701، 4712، 4730، 4745، 4826، 4850، 5059، 5063، 5393، 5426، 5575، 5673، 6018، 6094، 6223، 6231، 6233، 6368، 6399، 6407، 6442، 6469، 6478، 6488، 6491، 6507، 6522، 6548، 6569، 6611، 6624، 6696، 6866، 7046، 7404، 7501، 7510، 7563.

المبحث الثاني

طباق السلب

ذهبت إحدى الباحثات إلى أن الطباق الذي يأتي بطرفين منفيين "فعلين" أو "اسمين" هو من طباق السلب، وهو من الخطأ الذي اردفته بخطأ آخر وذلك باستشهادها بآية من كتاب الله تعالى في غير موضعها، ومدعية بأن هذا ما ذهب إليه الدكتور عبد الفتاح لاشين وهو الخطأ الثالث[1]، والذي أراد البحث التنبيه إليها لتجنب الوقوع فيه؛ لأن طباق السلب إنما ينحصر في دائرة التباين بين النفي والإثبات وقلبهما، والأمر والنهي وقلبهما[2]، وسوف يتناول البحث هذه الألوان من الطباق في المبحث الثاني من هذا البحث بشيء من التفصيل إن شاء الله.

روى البخاري من حديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما): أن رجلاً سأل النبي (ﷺ): أي الإسلام خير؟ قال: **"تطعم الطعام، وتقرأ السلام، على من عرفت، ومن لم تعرف"**[3].

فالطباق في هذا الحديث النبوي بين "عرفت" و"لم تعرف"، أي على المسلم أن لا يخص بالسلام من يعرفه دون من لا يعرفه[4]؛ لان حصر السلام على المعرفة فحسب إنما هو من أفعال أناس آخر الزمان، الذين يفعلون ذلك ويأتون بأفعال أخرى، تدل على عدم تحريهم لمثل هذه الأفعال، التي تدل على حسن الالتزام والسلوك السوي لمن تحراها وعمل بها، قال الإمام النووي فيما نقله عنه الإمام ابن حجر العسقلاني، معنى قوله: "على من عرفت ومن لم تعرف" تسلم على من لقيته ولا تخص ذلك بمن تعرف، وفي ذلك إخلاص العمل لله، واستعمال التواضع،

(1) ينظر: الطباق في القرآن الكريم: 83، البديع في ضوء أساليب القرآن: 26.

(2) بمعنى جعل احدهما مكان الآخر تقديماً وتأخيراً.

(3) صحيح البخاري: 1543، رقم الحديث: 6236.

(4) ينظر: فتح الباري: 11/ 24.

وإفشاء السلام الذي هو شعار هذه الأمة[1]، والعبادة الحقّة هي التطبيق العملي للاعتقاد، وفي النهاية فهي تترجم المشاعر والأحاسيس الأخوية بين المسلمين إلى واقع عملي، فهذا السلام هو عنصر المحبة والتآلف الأول بين المسلمين ودليل المحبة بينهم وهو ما يقرره الطباق في الحديث الشريف من الخيرية الإسلامية للمسلم.

أ. طباق الإثبات والنفي: بألوان مختلفة

وجد الباحث أن الأحاديث النبوية التي تحتوي هذا اللون من ألوان الطباق قليلة إذا ما قيس بغيره من الطباقات – عدا طباق المنفيين – والذي يمثل اقل أنواع الطباق في صحيح البخاري، وسوف يقوم الباحث بشرح حديثين اثنين لكل نوع منها.

قال النبي (ﷺ): "إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحدٌ ترخص لقتال رسول الله (ﷺ) فيها فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما اذن لي فيها ساعة من نهارٍ، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب"[2].

هذا الحديث النبوي الشريف قد احتوى على أكثر من طباق في لونين اثنين هما طباق السلب والذي يتمثل بين "حرمها" و"لم يحرمها" وبين "أذن" و"لم يأذن" أما طباق الإيجاب فهو بين "الشاهد" و"الغائب"، وهذا التعدد يجعله مع الأحاديث التي تحتوي على أكثر من طباق، وإن من الدلائل التي نستخلصها من الحديث أن لبيت الله الحرام حرمة عظيمة في الإسلام؛ لأنها بيت الله في الأرض؛ ومن الله جاء الأمر بالتحريم لها، وللملتجيء فيها، ولصيدها أن يقتل، ولشجرها أن يعضد، فهي مثابة للناس وأمناً، فالتحريم صادر من الله وليس من الناس، فليس لأحد أن يستحل ما حرم الله مهما أتى من حججٍ وأعذار وهذا ما يبينه الطباق

---

(1) المصدر نفسه: 11/ 24.

(2) صحيح البخاري: 101 – 102، رقم الحديث: 104.

الثاني في قوله (ﷺ) "فإن أحد ترخص لقتال رسول (ﷺ) فيها فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم" فالإذن مقصور ضمناً على الرسول (ﷺ) ومن كان معه ساعة الفتح، فلا يجوز لأحد أن يترخص لقتال في مكة لأي سبب، لأن الله تعالى قد أذن لنبيه ولم يأذن لغيره في القتال في مكة المشرفة فلا يجوز لأحد أن يقتل فيها أحدا من المسلمين ولا حتى من الكفار(3)؛ لعظيم حرمتها عند الله سبحانه وتعالى، ولا يكتفي النبي (ﷺ) بأنه اخبر الناس عن ذلك وإنما يأمر بالإبلاغ عنه، لمن لم يشهد الموقف ولم يسمع كلامه – علية الصلاة والسلام – بقوله: "وليبلغ الشاهد الغائب"، وهو من طباق الإيجاب، وهو يدل على تقنية انتشار السنة النبوية الشريفة، "فكان النبي (ﷺ) أول من دعا إلى الرواية باللفظ وكان الدافع إلى هذا النهج شدة الحيطة والحذر من سقوط كلمة، أو حرف، أو حصول تبديل مما يغير المعنى فيتغير الحكم"[1].

ب. طباق الإثبات والنفي

قال النبي (ﷺ): "من يقل عليَّ ما لم اقل فليتبوأ مقعده من النار"[2] تحذير وإنذار من النبي (ﷺ) لمن أدعى أن النبي (ﷺ) قد قال في شأن أو أمرٍ ما ليس كالكذب على غيره، فكلامه تشريع، إذ أن الحديث النبوي هو المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، وهو جزء من السنة النبوية التي بدورها هي من صلب العقيدة الإسلامية التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس؛ حتى تكون يقينا راسخاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك[3].

وقد استفتح النبي (ﷺ) هذا الحديث الشريف باسم الشرط الجازم "من"، الذي يأتي للعاقل، ويجزم فعلين مضارعين[4]، كقول الحطيئة:

(1) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 38.

(2) صحيح البخاري: 102، رقم الحديث: 109.

(3) ينظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح: 18.

(4) ينظر: مغني اللبيب: 341، قاموس الإعراب: 106.

مَن يفعلِ الخيرَ لا يعدم جوازيه   لا يذهبُ العُرفُ بينَ اللهِ والناسِ[1]

فقد ورد الطباق في الحديث الشريف بين "يقل" و"لم يقل" بعد اسم الشرط الجازم، مباشرة فيكون الفعل "يقل" هو فعل الشرط المجزوم، فكوّن الطباق المرتبط مع جواب الشرط بـ "فاء" السببية، كقول المتنبي:

وإن أَسلَم فما أبق ولكن   سَلمتُ من الحِمامِ إلى الحِمام[2]

ولقد فهم الصحابة الكرام كلام النبي (ﷺ)؛ لأنهم تلامذته الذين تعلموا على يديه الدقة الحرفية، والتحري وذلك وفق نهج تطبيقي، ولو استطردنا في الحديث عن هذه الدقة وأفضنا في إيراد الأمثلة عن ذلك لضاق المقام وما اتسع لها، ولكن نأخذ مثالين اثنين لبيان كيف كان يعلمهم النبي التثبت والنقل الحرفي لما يسمعون: فقد روى البراء بن عازب (ﷺ) (ت71 هـ) أن النبي (ﷺ) قال: "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك، فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به، قال (البراء): فرددتها على النبي (ﷺ)، فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت ورسولك الذي أرسلت، قال: لا، ونبيك الذي أرسلت"[3].

فكان هذا التنبيه درساً في الحفظ وعلى لفظ الرواية، وعلى سنة التثبت في الرواية والاستيثاق من المرويات سار الخلفاء الراشدين، فقد كان أبو بكر وعمر

(1) ديوان الحطيئة: 86.

(2) شرح ديوان المتنبي: 4/ 149.

(3) صحيح البخاري: 135، رقم الحديث: 247.

(رضي الله عنهما) يطلبان في بعض المرويات شاهداً آخر مع الراوي، وكان علي بن أبي (كرم الله وجهه) إذا حدثه احد استحلفه فإذا حلف صدقه[1].

وروى أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه): سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **"يخرج في هذه الأمة – ولم يقل منها – قوم تحقرون صلاتكم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم – أو حناجرهم – يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية..."**[2].

فقد انتهى الحرص والتورع براوي الحديث إلى تأكيد حرف الجر، ثم وضع كملة حناجرهم إلى جانب حلوقهم مع إن العبرة في المعنى الكلي وهو عدم قبول القراءة من هؤلاء.

وجاء طباق الإثبات والنفي في الحديث الذي رواه البخاري من حديث انس بن مالك (رضي الله عنه) قال: عطس رجلان عند النبي (ﷺ)، فشمت احدهما، ولم يشمت الآخر، فقيل له، فقال: **"هذا حمد الله، وهذا لم يحمد الله"**[3].

يبين النبي (ﷺ) حقاً من حقوق المسلم على أخيه المسلم، في أن يدعوا له بالرحمة من الله تعالى، ولكن هذا الحق موقوف على شرط حَمدِ العاطس لربه – جل وعلا، وهذا الحكم يبينه سنة الحمد لله تعالى حال فعل العطس، وإيجاب الحق على المسلم في تشميت أخيه إذا أعقب عطاسه بحمد الله، لأنها من الحقوق التي يقررها الحديث النبوي الشريف الذي رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **"حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، وإتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس"**[4]، وهذه الخصال هي من دلائل المحبة بين المسلمين الذين يؤمنون بقوله تعالى (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن

(1) ينظر: الصورة الفنية في الحديث الشريف: 42 – 43.
(2) صحيح البخاري: 1686، رقم الحديث: 6931.
(3) المصدر نفسه: 1539، رقم الحديث: 6221.
(4) المصدر نفسه: 355، رقم الحديث: 1240.

﴿يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7– 8] فلا يتركون اقل القليل من أبواب الخير إلا تسابقوا إليه ليفعلوه، ابتغاءً للأجر والمثوبة من الله.

والحديث الآخر: عن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله (ﷺ) قال: "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي"[1].

ينبغي على العبد المسلم أن يكون على صلة دائمة بالله – جل وعلا – ولا يتحقق ذلك إلا بالدعاء إن عمل صالحاً دعا الله ان يتقبل وإن عمل سوءاً سأل الله المغفرة. وينقسم الدعاء إلى قسمين هما:

1. دعاء المسألة كما في قوله تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) [الأعراف: 55].
2. دعاء ذكر وثناء كما في قوله تعالى: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) [الإسراء: 11] وقوله – جل وعلا –: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف: 180]، وكلا النوعين عبادة مأمور بها، بل جاءت الإشارات في الحديث بان الدعاء هو العبادة كما توحي بذلك الآيات والأحاديث، فعلى العبد المسلم أن لا يقطع هذه الصلة مع ربه، ولا يتعجل الإجابة فان الله تعالى يقول: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: 186].

أي أنه لابد وأن يكون مستجيباً لله تبارك وتعالى ابتداءً، ويكون منفذاً لأوامره ومجتنباً نواهيه.. وأن يكون على ثقة ويقين في ذات الوقت، مؤمناً إيماناً جازماً بان الله تعالى وحده هو القادر على أن يخرجه من جميع المحن والأزمات، وهذا ما يقرره الطباق في هذا الحديث الشريف الحاصل بين: "يستجاب" و"لا يستجاب" لأن الله تعالى لا يعجل بعجلة أحد وإنما العجلة تأتي على صاحبها بالخسران وعدم

(1) المصدر نفسه: 1565، رقم الحديث: 6340.

قبول الدعاء[1]؛ لأنه بذلك يخرج عن آداب يجب أن يتأدب فيها المخلوق مع الخالق، فإن العجلة توحي وكأن العبد يملي على ربه أن يستجيب في زمن محدد، فإن لم تكن الاستجابة بالعجلة التي استعجلها، تذمر وقال: دعوت فلم يستجيب لي، فيكون موقفه هذا سلبياً تجاه الثقة بالله وكرمه، فجاء الطباق على وفق هذا النسق في إثبات الاستجابة لمن لم يعجل وعدمها مع من تعجلها، والقى نفسه في أسباب العطب والضنك واليأس المنافي للإيمان[2]؛ لأنه ﴿لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87]، بل الواجب أن يفهم الراعي أن عليه أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح فالأمور راجعة إلى خالقها، وهو سبحانه القائل: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5– 6]، وقد جاء قول النبي (ﷺ): "لن يغلب عسر يسرين"[3]، مع أن الله– تعالى– ذكر "العسر" مرتين، وذكر "اليسر" مرتين إلا أن العرب عندهم إذا أعيدت المعرفة توحدت؛ لأن اللام الثانية للعهد، وإذا أعيدت النكرة نكرة تعددت، فالعسر ذكر مرتين معرفاً، واليسر ذكر مرتين منكراً فكان العسر واحد واليسر اثنين[4]، وقد قيل: من تعجل الأمر قبل أوانه عوقب بحرمانه.

وحديث النبي (ﷺ) الذي رواه البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) وهو يحذر الناس من الدجال وفتنته فقال: "**إني انذركموه، وما من نبي إلا قد أنذره قومه، لقد انذره نوح قومه، ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه اعور، وأن الله ليس بأعور**"[5].

تحذير وإنذار نبوي يدعو إلى أخذ الحيطة والتحرز، من شر غائب ينتظر، المسيح الدجال الذي سيخرج في آخر الزمان مدعياً (الإلوهية)، وهو من علامات

---

(1) ينظر: المائة الثانية من وصايا الرسول (ﷺ): 141 – 142.

(2) المصدر نفسه: 143.

(3) تفسير القرآن العظيم: 690.

(4) تفسير القرآن العظيم: 90.

(5) صحيح البخاري: 784، رقم الحديث: 3057.

الساعة الكبرى وشر غائب ينتظر – وكان النبي (ﷺ) يستعيذ بالله من فتنتهِ – التي علمها كل الأنبياء وكانوا يحذرون أقوامهم منه ومن فتنته كما يبين الحديث الشريف ذلك، وقد خص النبي (ﷺ) نوح من الأنبياء بالذكر لبعد الزمن بينهما – إلا أنه لم يخرج في الأمم الأخرى ونحن آخر الأمم وهو خارج فينا – كما ورد في أحاديث نبوية أخرى[1]، وسيكون ابتلاء من الله تعالى للعباد، لما يعطيه من قدرات ليست لبقية مخلوقاته، كإحياء لميت يقتله، وإمطار السماء، وإنبات الأرض بأمره، فإنه يكون معه ماء ونار، فأما الذي يرى الناس انه النار فماء بارد وأما الذي يرى الناس انه النار فماء بارد وأما الذي يرى الناس أنه ماء بارد فنار تحرق، فأمر – عليه الصلاة والسلام – من أدركه من المسلمين أن يقع في الذي يرى أنها نار، فإنه عذب بارد[2]، وهذا يستدعي رؤية إيمانية يجب التحلي بها في زمن تلكم الفتنة.

وقد بدأ النبي (ﷺ) توكيد إنذاره للصحابة (رضي الله عنهم) ومن بعدهم من المسلمين، بالحرف المشبه بالفعل لفائدة التأكيد وجلب انتباه السامعين، "إني انذركموه" شأني في ذلك شأن الأنبياء من قبلي الذين أنذروا قومهم، إلا أن إنذاري هذا يزيد على إنذار الأنبياء في أنني سأبين لكم علامة تعرفونه بها فتحذرونه من أن يفتنكم عن دينكم – والرجل الحذر، أي: المتيقظ فهو متحرز ومتأهب لما يخاف أن يفاجأ به من مكروه[3]، فيأتي طباق السلب في هذا الحديث الشريف ليبين صفة دميمة من صفات هذا الدجال – أعاذنا الله من شره وشر فتنته – وهذه الصفة تتمثل في عيب خلقي، وهو دليل على نقصه وكذبه؛ فلو كان كما يدعي من الإلوهية لأتم النقص الذي فيه؛ لأن الإله الحق – سبحانه وتعالى موصوف بالكمال، ولذا بين الحبيب المصطفى للناس بأنه "أعور" وأن الله "ليس بأعور"، فإنها إن تشابهت عليكم الأشياء وذهلتم لما في يديه من الخوارق والسحر العجيب، فان هذه الصفة

(1) المصدر نفسه: 1569، رقم الحديث: 6365، 6375.

(2) اللؤلؤ والمرجان: 2/ 456.

(3) ينظر: لسان العرب: ج5، حرف الراء.

المذمومة في حق الآدميين – فكيف بمن يدعي أنه إله – لا تخفى عليكم وهي ظاهرة لكل أحد.

أما الحديث الآخر من الأحاديث النبوية التي تحتوي طباقاً واحداً، قوله (ﷺ): "**ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داؤد – عليه السلام – كان يأكل من عمل يده**"[1].

وقد جاء طباق السلب بين "**ما أكل**" و "**أكل**"، حيث اتخذ النفي شكل إغلاق الدائرة على المعنى المبتغى، فنحصل على ما يسمى "الاستدارة التشبيعية"[2]، لوجود ظرف الزمان "قط" الذي يأتي لاستغراق ما مضى من الزمن، وهي تختص بالنفي في مثل هذا التعبير، وبهذه الصيغة[3]، كقول الفرزدق:

ما قالَ "لا" قطُّ إلاّ في تَشَهُّدِه   لولا التشهُّد كانت لاءَهُ نَعَمُ[4]

يشجع النبي (ﷺ) أصحابه وأمته على العمل والكسب الحلال، والابتعاد عن التواكل والاتكال على الغير في الإعالة، وإنما الخير في أن يعمل الإنسان ويكد ويأتي أهله بما قسم الله لهم من رزق فإنما الرزق في السعاية والجد وليس بالتواكل وانتظار صدقة الناس وإحسانهم، فالأكل من غير كسب ليس طيباً وإنما يحس الإنسان بقيمة نفسه وعزتها عندما يكون عنصراً منتجاً في المجتمع ليقوي نفسه وأهله وأمته، والأخذ بالأسباب واجب، ففي الحديث القدسي: "**يا بن آدم أمدد يدك إلى باب من العمل افتح لك باباً من الرزق**"[5]، والأحاديث النبوية الشريفة في الحث على العمل والكسب كثيرة، منها قوله (ﷺ): "**لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل**

---

(1) صحيح البخاري: 541، رقم الحديث: 2072.

(2) ينظر: جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي: 100.

(3) ينظر: مغني اللبيب: 194، قاموس الإعراب: 70.

(4) شرح ديوان الفرزدق: 455.

(5) المائة الثانية من وصايا الرسول (ﷺ): 257.

الناس أعطوه أو منعوه"[1]، وكثيراً ما كان النبي (ﷺ) يذكر لأصحابه أن الأنبياء وهم من هم في الدنيا والآخرة كانوا أصحاب مهن وأعمال ومنها هذا الحديث الشريف إذ أكد لهم النبي في جملة خبرية أن نبي الله داؤد كان يعمل ويأكل من كسب يده، كما بين ذلك القرآن في قوله تعالى: (يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [سبأ: 11].

والآيات القرآنية التي توجب الكفاح في طلب الرزق كثيرة مثل قوله – جل وعلا –: (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [الملك: الآية: 15]، وقوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا) [الجمعة: الآية: 10]، وقوله تعالى: (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [المزمل: من الآية: 20]، وهذا شرف عظيم للعاملين أن يقدم الله سعايتهم على الجهاد في سبيل الله؛ لأن المال عصب الحياة، والذي لا يمكن بدونه أن نتدبر أمور حياتنا، وشؤونها، أو نشتري السلاح لمواجهة أعدائنا[2]، فنجد الحديث الشريف قد انطلق من هذا المعنى ليؤصل حب العمل لدى أبناء هذه الأمة، الذي يورث القوة، وعزة النفس للفرد عندما تطيب نفسه لهذا الكسب والذي قوي الإرادة، والعزم؛ لمواجهة الصعوبات والتحديات في شؤون الحياة، وفي منازلة أعداء الله، فالمهان في داخل نفسه يقبل أن يتسلط عليه الأعداء، ويقبل الذلة والصغار، وقد عبر الشاعر خير تعبير عندما جعله في مرتبة الميت الذي لا يستطيع دفع الضر عن نفسه، إذ يقول:

مَن يَهُن يَسهُلِ الهوانُ عَليهِ   مَا لِجرحٍ بميتٍ إيلامِ[3]

(1) صحيح البخاري: 411، رقم الحديث: 1471.

(2) ينظر: المائة الثانية من وصايا الرسول (ﷺ): 2/ 65.

(3) ديوان المتنبي، بشرح العكبري: 4/ 94.

جدول تضمن الأحاديث النبوية التي احتوت طباق السلب

ت	الحديث	رقم الحديث	الطباق باعتبار مادة الطرفين		
			إسمان	فعلان	مختلفان
1.	"لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار".	106		—	
2.	"من يقل علي ما لم اقل فليتبوأ مقعده من النار".	109		—	
3.	"فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها".	3199		—	
4.	"فقدت أمة من بني إسرائيل لا يدري ما فعلت، وإني لا أراها إلا الفأر، إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت".	3305		—	
5.	"إن من أعظم الفرى أن يدعي الرجل الى غير أبيه، أو يري عينه ما لم تره، أو يقول على رسول الله ما لم يقل".	3509		—	
6.	"نغزوهم ولا يغزوننا".	4109		—	
7.	"إذ قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كالسلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا للذي قال: (الحق وهو العلي الكبير) [سبأ: 23] فيسمعها مسترقوا السمع، ومسترقوا السمع هكذا واحد فوق آخر، فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم	4701		—	

ت	الحديث	رقم الحديث	الطباق باعتبار مادة الطرفين		
			إسمان	فعلان	مختلفان
	يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه، إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها إلى الأرض فتلقى على فم الساحر، فيكذب معها مئة كذبة فيصدق فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا، يكون كذا وكذا، فوجدنا حقاً؟ للكلمة التي سمعت من السماء".				
.8	"من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة".	5834			
.9	"ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل، الذي إذا قطعت رحمه وصلها".	5991	—		
.10	"ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب".	7307		—	
.11	"إن الله لا ينزع العلم بعد أن اعطاهموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون برأيهم، فيضلون ويضلون".	2161			—

يكتفي البحث بهذه الأمثلة:

وينظر: ح: 30، 43، 59، 104، 106، 109، 335، 2072، 2887، 2955، 3057، 3158، 3190، 3197، 3199، 3267، 3348، 3436، 3444، 3472، 3783، 4019، 4034، 4109، 4341، 4350، 4373، 4462، 4581، 4701، 4712، 4730، 4814، 5059، 5121، 5195، 5246، 5578، 5671، 5705، 5834، 6221، 6236، 6340، 6407، 6408، 6491، 6549، 6609، 6696، 6704، 6985، 7017، 7042، 7043، 7281، 7383، 7501، 7510.

الأحاديث النبوية التي تضمنت أكثر من طباق:

ومن الأحاديث النبوية التي تضمنت أكثر من طباق بألوان مختلفة قوله (ﷺ): **"أُعطيت خمساً لم يعطهن احد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجلٍ من امتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحدٍ قبلي وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة"**[1].

يبين النبي (ﷺ) نِعم الله التي خصهُ بها وأمته على سائر الأنبياء والأمم؛ لما جمع الله – تعالى – له من الأمور التي لم تجمع لنبي قبله، فقد نصر بالرعب يقذفه الله في قلوب أعداءه ولو كانت المسافة بينه وبينهم على مسيرة شهر، يقول العسقلاني: "فالظاهر اختصاصه به مطلقاً، وإنما جعل الغاية شهراً؛ لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر منه، وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر، وهل هي حاصلة لأمته من بعده؟ فيه احتمال"[2].

وقد جاء الطباق الأول بين: **"أعطيت"** و**"لم يعطهن"** لبيان فضل النبي على الأنبياء، وبيان نعم الله المتواترة التي خصه الله بها وأمته كرامةً له، ومناً من الله في زيادة الفضل والتيسير لهذه الأمة بنبيها، وفي الحديث دلالة على أن الله تعالى قد أعطى أمة محمد ما أعطى النبي من النصرة والتمكين، ومن جعل الأرض كلها – إلا ما تأكد نجاسته – مسجداً طهوراً[3]، وكذلك إحلال الغنائم التي تسلب عنه الغلبة على العدو – والتي لم تحل لأي من الأمم السابقة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، تأكد طباق السلب إثبات ما خص النبي (ﷺ) من الفضل والتكريم ونفي اشتراكه في هذا التكريم مع احد من الأنبياء – عليهم السلام – وهذا ما

(1) صحيح البخاري: 155 – 156، رقم الحديث: 335.

(2) فتح الباري: 1/ 548.

(3) ينظر المصدر نفسه: 1/ 549.

يبينه طباق السلب الثاني بين: "أحلت" و"لم تحل"، فقد كانت الغنائم تجمع وتأتي نار من السماء تحرقها[1].

وروى البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: "تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنان فرسه، في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة، كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع"[2].

صورة مقيتة يرسمها الطباق الأول بين "أعطي" و"لم يعطَ" لسلوك من جعل التكالب على الدنيا همه ومبتغاه، حتى انقلبت عنده الموازين، فجعل ما يسخره الله للإنسان لتحقيق حريته وسعادته وسيادته، فبعد أن كان حراً وسيداً يصبح عبداً للإنسان الباذل ولما يبذل من متاع الدنيا، فمثل ما جاء الطباق سلباً انقلب حال هذا الإنسان من إنسانيته إلى حيوانيته التي تمتلكه فيها الشهوات والمغريات، فمثل هذا تتقلب فيه الموازين والأحوال بالشكل الذي يرسمه الطباق الثاني بين "رضي" و"سخط" فيبقى عبد الدينار وعبد الدرهم والقطيفة والخميصة مذبذب ومتأرجح بين الحالتين تبعاً للإنسان الباذل[3]، فالعبودية هنا أعلى حالات المحبة والتعلق، حتى تكون هذه الأشياء هي التي تملي عليه سلوكه اليومي،" وفي ذكرها تبيان لذل هذا المتعلق بالدنيا حتى ينتهي به الحال إلى عبادة الثوب الذي هو في الأصل ستر وترفع، وفي فعل انتكس استعارة فعلية للضلال الذي يجعله منكوساً على رأسه خلافاً للنواميس، وهي حركة عنيفة ومفاجئة مثيرة للإشفاق"[4].

---

(1) ينظر: المصدر نفسه: 1/ 549.

(2) صحيح البخاري: 745 – 746، رقم الحديث: 2887.

(3) ينظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي: 491.

(4) المصدر نفسه: 214.

وفي الحديث الشريف مجاز في استعمال التعس للهلاك، يقول العسقلاني:

"(تعس): بكسر العين وبفتحها أي: عثر فسقط على وجهه، وقيل: معناه: بعد، وقيل: هلك وألزمه الشر، وقوله: "إذا شيك فلا انتقش": أي إذا أصابته الشوكة فلا أُخرجت منه بالمنقاش"[1].

"إذ إن هذه الألفاظ ترسم حالة التناقض لدى الموصوف الذي تسفل وعاد إلى الوراء، فجعل الرجل القوي الطمع الشديد الجشع، الذي يرضى بإعطاء ما سأل، ويسخط بمنع ما طلب بمنزلة العبد للدينار والدرهم والثوب والعرض؛ لأنه بإعطائه هذه الأشياء يسترق ويملك ويستذل، فجعله – عليه الصلاة والسلام – عبداً لها على المجاز، وهو في الحقيقة عبد لباذلها"[2].

وفي مقابل هذه الصورة لهذه الذلة صورة أخرى مغايرة تمام المغايرة، صورة لمن نذر نفسه وماله في سبيل الله، آخذ بعنان فرسه إن لزم الأمر أن يكون في الساقة، وان لزم الأمر أن يكون في الحراسة، وهي كناية عن شدة الطاعة للأمير، والهمة العالية في تحصيل الأجر والثواب من الله في دار الخلود التي وعد الله عباده المتقين فيها بالنعيم المقيم، غير ملتفت إلى ما أهم الأول من متاع وزينة وترف، حتى عاد أشعث الرأس، مغبر القدمين، في حالة بأنفها المترفون المتنعمون الراكنون إلى زينة الدنيا من متاع الغرور، وهذه الحالة يرسمها الطباق بين "إن استأذن" و "لم يؤذن له" وبين: "إن استأذن" و"لم يؤذن له"، بسبب الرثاثة والشعث والغبرة التي لحقته من القتال في سبيل الله[3].

فمثل هذه الصفات وهذه الأفعال مادامت في سبيل الله استحقت الدعاء لصاحبها من سيد الخلق وخاتم النبيين – عليه الصلاة والسلام – بقوله: "طوبى"

---

(1) من هدي الساري – (هذا الكتاب هامش على كتاب صحيح البخاري): 745.

(2) المجازات النبوية، 297، الصورة الفنية في الحديث الشريف، 215، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، 216.

(3) ينظر من وصايا الرسول (ﷺ)، 2/ 597 – 599.

التي هي – على ما ذكره العلماء والمفسرون – إحبابة الخير على الكناية[1]، وقيل: (طوبى) فعلى: من الطيب، قلبوا الياء واواً للضمة قبلها"[2].

وذهب العسقلاني إلى أن المراد بها الدعاء له بالجنة؛ لأن طوبى أشهر شجر الجنة وأطيبه، فدعا له أن ينالها لأنه عمل ما يوجب الرحمة من الله التي يتغمد بها عباده المؤمنين، ويقبل منهم سعيهم ويزيدهم من فضله فيدخلهم الجنة، ودخول الجنة ملزوم نيل هذه الشجرة فيها[3]، وهذا الحديث المتضمن لهذه الطباقات، كان من الوعيد الشديد لعبيد الأموال والكراسي والزينة، وفيه الوعد الأكيد بالثواب، لتقدر النفس قيمة الفعل فتفر منه هرباً، أو تندفع إليه طلباً.

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله (ﷺ) قال: يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: "إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني استخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فانك تقدر ولا اقدر، وتعلم ولا أعلم، وانت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي، في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله، فاقدر لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي، في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: في عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني، قال: ويسمي حاجته"[4].

من المعلوم أنه إذا اجتمع أكثر من ضد وضد في الكلام فان الطباق يسمى حينئذٍ "طباق مقابلة"، وفي هذه الأحاديث النبوية الشريفة يتمثل ذلك، ففي الطباق الأول بين: "تقدر" و"لا اقدر"، والطباق الثاني بين: "تعلم" و"لا اعلم"، هما من

---

(1) ينظر الكاشف عن حقائق السنن: 2/ 536.

(2) مختار الصحاح، مادة (طيب): 402، وينظر: هدى الساري: 745، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بمصر: 396.

(3) ينظر: فتح الباري: 6/ 105، من وصايا الرسول (ﷺ)2/ 597.

(4) صحيح البخاري: 335، رقم الحديث: 1162.

طباق السلب – الإثبات والنفي – إثبات القدرة والعلم لله تعالى، ونفيه عن العبد لأنه من علم الغيب وفي قدرة الله جل وعلا – فحسب، والنبي (ﷺ) يبين بهذه الألفاظ آداب الدعاء وكيفية الابتداء بالثناء على الله – تعالى – بما هو أهله، ورد الأمور إليه، فقدرة الله لا تعجز عن شيء فقوله: "إن كنت تعلم" ليس من باب الشك؛ لأنه اثبت العلم لله وحده مقدماً، ولكن المعنى: إن كان علمك تعلق بأن هذا الأمر خير، فإن الشك في كون علمه تعلق بكون هذا الأمر خيراً لا في نفي العلم، وللمتكلم أن يستبدل "إن" الشرطية – التي تأتي بعدم الجزم بوقوع الشرط مكان "إذا" التي تأتي بالجزم بوقوعه؛ لغرض نكته بلاغية[1]، أي إنزال المقطوع بحدوثه منزلة محتمل الحدوث إرادة للاحتمال دون القطع رغبة في حصوله[2]، وقد قدم الدين على المعاش لأنه الأهم فإنه إذ سلم الدين فالخير حاصل تعب صاحبه أو لم يتعب، وإذا اختل الدين فلا خير بعده[3]، فالقلب إذا اطمأن للحق اتجه نحو المثل الأعلى، وأخذ سبيله إليه، دون أن تلفته عنه نوازع الهوى ولا دوافع الشهوة، ومن ثم عظم أمر الذكر، وجل خطره في حياة الإنسان، ومن غير المعقول أن تتحقق النتائج المرجوة منه بمجرد لفظ يلفظه اللسان، فإن حركة اللسان قليلة الجدوى ما لم تكن موطئة للقلب، وموافقة له، وقد ارشد الله– تعالى – إلى الأدب الذي ينبغي أن يكون عليه المرء أثناء الذكر؛ فقال: (وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ) [الأعراف: 205]– تأكد وينبغي أن يكون العبد دائماً على صلة بالله – تبارك وتعالى – عن طريق ذكره لان الله تعالى يقول: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) [البقرة: 152] اي: اذكروني بخدمتي أذكركم بالمحبة أذكركم بنعمتي.. اذكروني بالتوحيد أذكركم بالتأييد.. اذكروني بالشكر أذكركم بالمزيد.. أذكروني بالمحبة أذكركم بالقربة.. أذكروني بالخوف أذكركم بالأمان.. أذكروني بالرجاء أذكركم بتحقيق الآمال.. "فالمؤمن" إذا امتدت يده إلى شيء ذكر الله فكف يده

(1) ينظر: شرح مختصر صحيح البخاري: 130.

(2) ينظر: البلاغة فنونها وافنانها: 334، عمدة القارئ: 2/ 277.

(3) البلاغة فنونها وافنانها: 349.

عما نهى الله عنه وإذا سعت قدمه إلى شيء ذكر الله فكف عن السعي إلا فيما يرضي الله، وإذا طمحت عينه إلى شيء ذكر الله تعالى فغض بصره عن محارم الله، وكذلك السمع واللسان والجوارح مصونة بمراقبة الله تعالى ومراقبة أوامره والحياء من نظر الله إليه، فوض الأمور كلها إليه بلا تواكل[1].

ويستمر سياق الحديث النبوي الشريف فتتواتر صيغ أخرى من الطباق بين: "خير لي" و"شر لي" وكذلك بين "عاجل أمري" و "آجله" وهما من طباق الإيجاب، حيث اجتمعا في استحضارٍ واحد بينهما تضاد الرغبة والرهبة – الرغبة في الخير والرهبة من الشر – في الدنيا والآخرة، ليزيد من قوة عامل الاختيار بينهما فيختار الأمن بالخير على الخوف من شر الأمر وسوء عاقبته مما يورث الطمأنينة والرشاد. لذا قال العيني فيما نقله عنه الإمام ابن حجر العسقلاني: "والحكمة في التعبير بالمضارع دون الماضي الإشارة إلى انه لم يقع له علم ذلك ولا يقع لأنه إذا امتنع في المستقبل كان ممتنعاً فيما مضى"[2] فيطمع في الخير القريب فجعل له حثيثاً، وكلما كان المطلوب قريباً زاد نشاط الإنسان إليه، مع الطباق الناشئ بين الشر والخير، ليظل مترقباً متوجساً بينهما، وذلك لو كان الأمر فيه الخير والنفع، فأقدره لي، ويسره لي ثم بارك لي فيه، وهو راجع إلى إشعار المستخير بقوة تحقق المطلوب،سواء كان ترغيباً في خير آجل، أو ترهيباً وتنفيراً عن شرٍ اجل[3].

ويأتي الطباق الآخر بين الحرفين "لي" و"عني" إذ أن الحرف الأول يشعر بالملكية المؤذنة بالانتفاع و"عني" تشعر بالضرر فصار تقابلهما كتقابل الشر والخير، والنفع والضر وهما ضدان[4].

---

(1) ينظر: المائة الثانية من وصايا الرسول (ﷺ): 2/ 93 – 94.

(2) فتح الباري: 11/ 339.

(3) ينظر: الالتفات في الحديث النبوي: 76.

(4) ينظر: شرح مواهب الفتاح: 2/ 472.

ج. طباق الأمر والنهي

النهي لغة:

"(النهي) خلاف الأمر، (نهاه ينهاه نهياً) فـ (انتهى وتناهى): كف"[1]، ويقول الرازي: "(ن هـ ى) – النهي ضد الأمر و(نهاه) عن كذا ينهاه (نهياً) و(انتهى) عنه و(تناهى) أي كف، و(تناهوا) عن المنكر أي نهى بعضهم بعضاً، ويقال: إنه لأمور بالمعروف (نهو) عن المنكر على فعول[2].

النهي اصطلاحاً:

"إذا كان الأمر طلب فعل الشيء على وجه الاستعلاء، فإن النهي يشركه هذا الحد، إلا أنهما يختلفان في نوع الطلب، فالنهي: هو طلب الكف عن الشيء وتركه على وجه الاستعلاء[3].

وهذا القول مأخوذ مما اصطلح عليه النحاة والبلاغيون الأوائل الذين قد اتفقوا عليه وقالوا: بأن للنهي حرف واحد هو "لا" الجازمة، فالنفي والأمر سيان في شأن الاستعلاء، فيشمل التحريم والكراهة، وقيد التشبيه بالأمر بالاستعلاء، ليفيد أنه ليس فيه ما قيل في الأمر بالنسبة إلى الفور وتكرار الكف...[4]

وقد يسأل سائل عن سبب الاهتمام بهذين الأسلوبين من أساليب الإنشاء الطلبي (الأمر والنهي) وإيراد مدلولتيهما اللغوية والاصطلاحية، فإن الإجابة عن هذا يعود لسببين وهما:

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة (نهي).

(2) مختار الصحاح، الرازي، مادة (نهي)، 683.

(3) علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم، 43، وينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، 465.

(4) ينظر: شرح مواهب الفتاح: 1/ 539– 540.

الأول: أنهما يؤثران تأثيراً مباشراً في تحديد نوع الطباق اللفظي (الإيجاب والسلب).

الثاني: يعود إلى التداخل بين علمي أصول الفقه وعلم المعاني، إذ أن كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، ومسائل الأخبار، والعموم، والخصوص، والإطلاق والتقييد والإجمال والتفصيل، والتراجيح، كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني،[1] فهما علة التمييز.

والأمر في الوضع اللغوي، هو نقيض النهي[2]، وهو يحمل رغبة الآمر في استجابة المأمور لشيء ما سواء أكان فعلاً أم قولاً، فيقال: أمرت فلاناً أمره بما ينبغي له من الخير، وأمر أمرٌ، أي: عجب، وأتمرت بما أمرتني به: امتثلت، وفلان مؤتمر: مستبد، يقال فلان لا يأتمر رشداً، أي: لا يأتي برشد من تلقاء نفسه، ومرني بمعنى أشر علي[3]، "والأمر بالمعروف: هو الإرشاد إلى المراشد المنجية"[4].

الأمر اصطلاحاً:

"ينتقل الأمر من المعنى الوضعي إلى المعنى الاصطلاحي مرتبطاً بدلالاته المختلفة في طرق الكلام وتأثيراته في مقامات الخطاب بمناحٍ بخصوصه"[5].

يقول السكاكي (626 هـ): "والأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها اعني استعمال نحو: لينزل وانزل، ونزال، وصه على سبيل الاستعلاء، وأما أن هذه الصور، والتي هي من قبيلها، هل هي موضوعة لتستعمل على سبيل الاستعلاء أم لا ؟ فالأظهر أنها موضوعة لذلك، وهي حقيقة فيه، لتبادر الفهم عند استماع نحو: قم

(1) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: 84.

(2) ينظر: لسان العرب: مادة (امر).

(3) ينظر: أساس البلاغة: 36.

(4) القاموس المحيط: فصل الهمزة — باب الراء.

(5) علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم: 216.

وليقم زيد، إلى جانب الأمر وتوقف ما سواه من الدعاء والالتماس، والندب، والإباحة والتهديد، على اعتبار القرائن"[1].

والأمر عند القزويني هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام[2]، وعليه يمكن القول بان الأمر هو طلب إيجاد الفعل على أية صيغة جاء.

وسنتناول بعضا من الأحاديث التي تضمنت الأمر والنهي بالشرح والتحليل:

عن عدي بن حاتم (ﷺ) قال: سألت النبي (ﷺ) عن صيد المعراض، قال: "**ما أصاب بحدة فكله، وما أصاب بعرضه فهو وقيذ**" وسألته عن صيد الكلب، فقال: "**ما أمسك عليك فكل، فإن أخذ الكلب ذكاة، وإن وجدت مع كلبك أو كلابك كلباً غيره، فخشيت أن يكون أخذه معه وقد قتله فلا تأكل، فإنما ذكرت اسم الله على كلبك ولم تذكره على غيره**"[3].

إن من عاش بالبادية كان على الأغلب ممن يصطادون لأنها من عاداتهم لما في الصيد من المتعة والرياضة والفروسية واكتساب المعاش بالنسبة للفقراء، وهذا الحديث الشريف يبين حرص الصحابة – رضوان الله عليهم – على أن يتعلموا ويعلموا أدق التفاصيل في حياتهم ليتبصروا أمر دينهم ولا يأتون بعمل لا يرضي الله ورسوله (ﷺ)، الذي اصطفاه الله من خلقه يدعو إلى الله على بصيرة من ربه – جل وعلا – معصوماً من الزلل، ليكون للناس الإمام والأسوة الحسنة فكان مثلاً أعلى لأمته[4]، فلم يترك من خير إلا ودل الناس عليه ولم يعلم من شر إلا وحذر الناس منه، وما الأذكار النبوية الشريفة إلا مثال من الأمثلة على ذلك، فكان مربياً بالقول والعمل، وقد جاء الطباق بين "كل" و"لا تأكل"، وهو يعلم السائل ومن خلاله الأمة كلها ما يباح أكله وما لا يباح من الصيد بالرمي أو بالكلب المعلم –

(1) مفتاح العلوم: 428.

(2) ينظر: التلخيص في علوم البلاغة: 169.

(3) صحيح البخاري: 1398، رقم الحديث: 5475.

(4) الدعوة إلى الإسلام وأركانها: 126.

وهو الكلب الذي إذا أغراه صاحبه بالصيد أجابه وإن نهاه انزجر وإذا أخذ الصيد حبسه على صاحبه – وهذا ينصرف على كل ما استعمل للصيد من الكلاب والطيور – بشرط الذكاة وعدم أكل هذه الجوارح منه خشية أن يكون امسك على نفسه[1].

إذ إن أخذ الكلب المعلم ذكاة؛ لذا أمر النبي (ﷺ) عدياً(رضي الله عنه) بأن يأكل، ولكنه إذا وجد مع كلبه كلاباً أخرى، فانه قد نهى النبي (ﷺ) عن أكله؛ لأنه لا يدري أي الكلبين قد صاد[2]، وأنه ذكر اسم الله على كلبه ولم يذكره على غيره، وقد ابتدأ النبي (ﷺ) بذكر المباح "كل" امتناناً وتأنيساً للمسلمين عامة، لتطمئن نفوسهم في استقبال التشريع، وجاء الطباق بين الأمر والنهي، لإنشاء دلالتين شرعيتين لا تجتمعان وهما – الحل والحرمة – لأن الأمر بالشيء وإن كان متضمناً النهي عن نقيضه فالاهتمام بحكم الضد يقتضي النهي تخصيصه والاهتمام ببيانه، وزيادة في التوكيد على بيان الأمر والإحاطة به من جوانبه المختلفة[3]، فجاءت "لا الناهية" حقيقة في التحريم؛ لأنه صادر عن جهة تشريعية تمثل السنة النبوية[4].

ويرى البحث أن الحديث الشريف يستوفي المقارنة التي أوردها الدكتور: أحمد مطلوب بين الأمر والنهي[5]، فقد استوفى كل منهما دلالته على الاستعلاء، وأنهما قد تعلقا بالغير وهو الصحابي الجليل عدي بن حاتم، فلم يكن هو الأمر لنفسه أو ناهياً لها وإنما رجع إلى جهة أعلى وأنه قد أراد فعلاً مريداً لهما، وأن كل واحد منهما قد اختص بصيغته **"كل"** و**"لا تأكل"** وهذا الاختصاص هو الذي أنتج الطباق بينهما، وأن الأمر قد دل على طلب القيام بالفعل، والنهي قد دل على منعه،

---

(1) ينظر: فتح الباري، 9/ 603 – 604.

(2) ينظر: المصدر نفسه، 9/605.

(3) ينظر: التقابل في الحديث النبوي الشريف، (اطروحة دكتوراه): 144.

(4) معترك الإقران: 1/ 443.

(5) ينظر: اساليب بلاغية، 116 – 117.

وأن كل منهما قد استوفى شروطه من الإرادة والكراهية – أي علة طلب الفعل وعلة طلب الكف.

وكذلك ورد هذا اللون من الطباق في الحديث الذي رواه انس (رضي الله عنه) قال: قال النبي (ﷺ): "يسّروا ولا تعسّروا، وسكّنوا ولا تنفّروا"[1].

فالطباق بين: "يسروا" و"لا تعسروا" وبين: "سكنوا" و"لا تنفروا"، قد جاء في سياق توجيه نبوي لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل حينما أرسلهما إلى اليمن للدعوة، فجاء توجيهه لقاء بين نهيين متقابلين، وبين الأمر والنهي متقابلين (تقابل تضاد)، والنتيجة: إن من يعرف مفهوم الأمر "يسرا" لا يصعب عليه معرفة نقيضة: "تعسرا" المسبوق بـ "لا" الناهية وهذا التعقيب في تكرار الأمر والنهي إنما جاء طلباً للكف الدائم عن النقيض؛ لأن المطلوب تأليف القلوب من قرب إسلامه بترك التشديد عليه منذ البدء، وكذلك الزجر عن المعاصي فهو يستلزم أن يكون وقعه على المرء بتلطف ليقبله، ومثله تعلم العلم بالتدرج، لان الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه أن يتلقاه بإنبساط وتكون عاقبته غالباً الازدياد منه بخلاف ضده[2]، لذا فقد أمر بالتيسير والمراد به الأخذ بالتسكين تارة ، وبالتيسير تارة أخرى؛ لأن التنفير يصاحب المشقة غالباً وهو ضد التسكين، والتبشير يصاحب التسكين غالباً وهو ضد التعسير، فهو(ﷺ) لم يدع مناسبة من المناسبات إلا هو يوجه إلى الرفق واللين والرحمة ومنه قوله(ﷺ): "فإنما بعثتم ميسيرين ولم تبعثوا معسرين"[3]، فلو اقتصر على قوله: يسروا وهو نكره لصدق ذلك على من يسر مرة وعسر في معظم الحالات فإذا قال ولا تعسروا انتفى التعسير في جميع الوجوه وكذلك الجواب عن قوله ولا تنفروا لا يقال كان ينبغي أن يقتصر على قول ولا تعسرو ولا تنفروا لعموم النكرة في سياق النفي لأنه لا يلزم من عدم التعسير ثبوت

---

(1) صحيح البخاري: 1520، رقم الحديث: 6125.

(2) ينظر: فتح الباري: 10/ 613، وينظر: التقابل في الحديث النبوي الشريف: 151.

(3) صحيح البخاري: 129، رقم حديث: 220.

التيسير ولا من عدم التنفير ثبوت التسكين فجمع بين هذه الألفاظ لثبوت هذه المعاني؛ لأن هذه المحل يقتضي الإسهاب وكثرة الألفاظ[1].

روى البخاري من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج في صومعته، كان يصلي جاءته أمه فدعته، فقال أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين، وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه – قال أبو هريرة: كأني انظر إلى النبي (ﷺ) يمص أصبعه – ثم مر بأمة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لم ذاك؟ فقال الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون: سرقت، زنيت، ولم تفعل"[2].

يبدأ الحديث النبوي الشريف بحصر عدد الذين تكلموا في المهد بثلاثة من الأولاد، وهذا الحصر مقيد بكون هؤلاء الغلمة قد تكلموا في المهد – وقد ذكر القرطبي أن هذا الحصر فيه نظر إلا أن يحمل على إنه (ﷺ) قال ذلك قبل أن يعلم الزيادة على ذلك، وفيه بعد، ويحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورين مقيداً بالمهد وكلام غيرهم من الأطفال بغير المهد[3]، إلا أن الذي يعنينا بيانه في هذا المقام هو موضع الشاهد من الحديث وهو طباق الأمر والنهي الواقع بين: "اللهم اجعل ابني مثله" "اللهم لا تجعلني مثله".

(1) ينظر: عمدة القارئ: 2/ 45.

(2) صحيح البخاري: 883، رقم الحديث: 3436.

(3) ينظر: فتح الباري: 6/ 596.

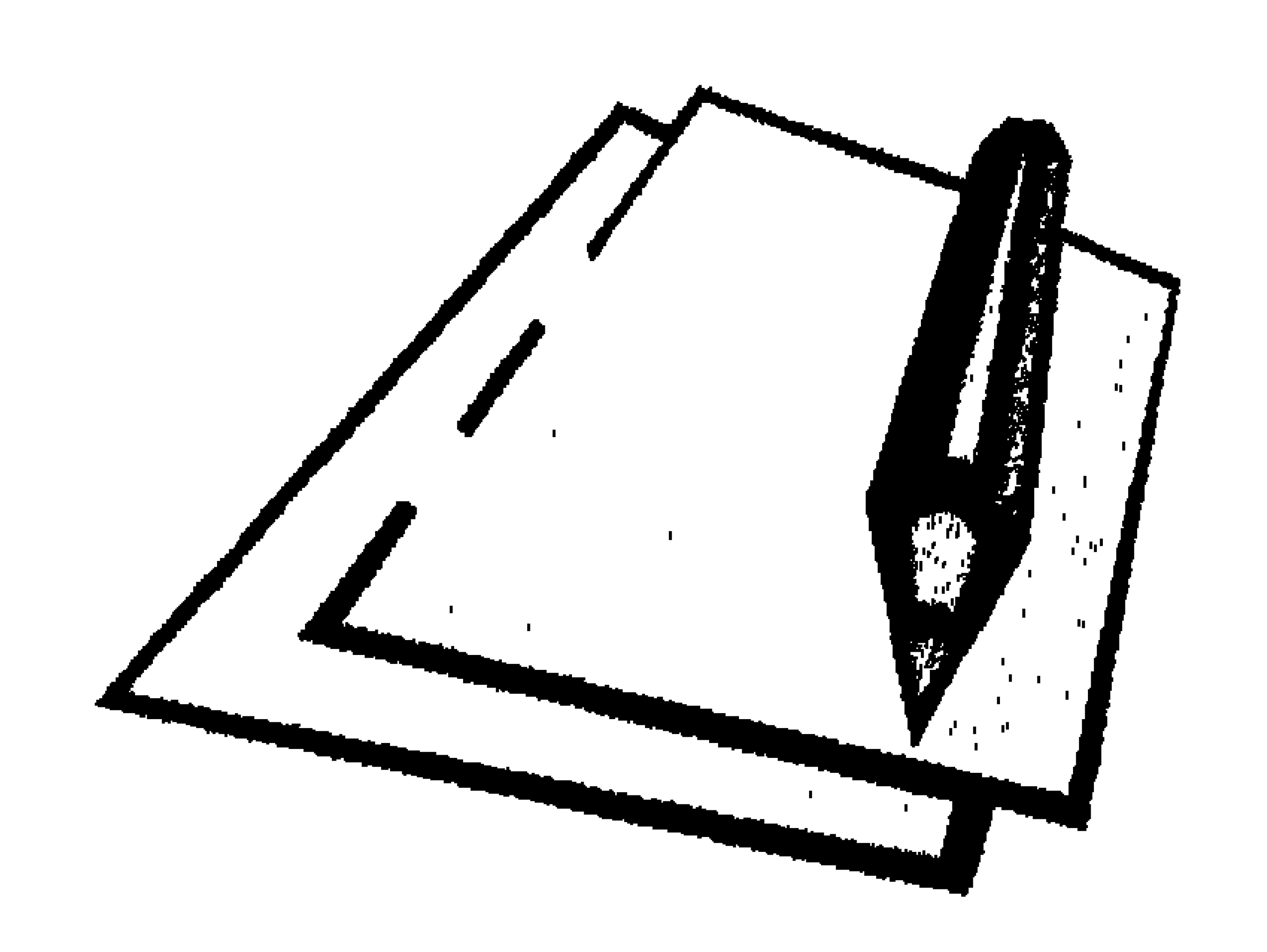
إذا كانت صيغ الأمر تحدد في حقيقتها طلب فعل الشيء على وجه الاستعلاء فإن هذا التحديد يعد تحديداً أصلياً لطبيعة الأمر، فإنه في هذا الحديث النبوي قد خرج عن هذا التحديد إلى دلالات بلاغية أخرى وهي دلالة التضرع عن طريق الدعاء[1]، لأنه من الأدنى إلى الأعلى، ولإستعضام لفظ الأمر والنهي في مثل هذا المقام[2]، فالدعاء: "هو الطلب على وجه التضرع والخضوع وذلك نحو قولك: "رَبِّ اغْفِرْلِي" [الأعراف: آية: 151] ويكون من الأدنى إلى الأعلى، فلو قال عبد لسيده – على وجه الغلظة: اعتقني، كان أمراً، ولذلك يعد الأمر من العبد سوء أدب؛ لان الأمر لا يكون مع استعلاء كما تقدم – ولكن أورد على اشتراط الاستعلاء في مسمى الأمر: قوله تعالى – حكاية عن فرعون– (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) [الشعراء: 35] فقد استعمل الأمر في طلب ليس فيه استعلاء؛ لان فرعون لا يرى استعلاء في الطلب المتعلق به من غيره لادعائه الألوهية[3].

(1) ينظر: علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم: 225.

(2) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: 207.

(3) شرح: مواهب الفتاح: 1/ 536.

الفصل الثالث



* المبحث الأول.

* المبحث الثاني.

المبحث الأول

الطباق الحقيقي والطباق المجازي

الحقيقة لغة:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ): "الحق نقيض الباطل"، يعني أن الحق هو الثابت، والباطل هو المعدوم الذي لا ثبات له، وقال: "وحق الشيء أي: وجب وجوبا، وبلغت حقيقة هذا: أي يقين شأنه"[1].

وقال ابن فارس (ت 359هـ): "الحاء والقاف أصل واحد وهو يدل على أحكام الشيء وصحته فالحق نقيض الباطل، ويقال ثوب محقق، إذا كان محكم النسيج"[2].

وقال ابن منظور (ت 711هـ): "حق الأمر يحق ويحق حقوقا: صار حقا وثبت، وفي التنزيل: (قال الذين حق عليهم القول) [القصص: 63] أي ثبت، وقوله تعالى: (وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) [الزمر: 71] أي وجبت وثبتت، ويقال أحققت الأمر إحقاقا: إذا أحكمته وصححته[3].

الحقيقة اصطلاحاً:

قال السكاكي (ت 626هـ): "الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة، كاستعمال الأسد في الهيكل المخصوص"[4].

---

(1) ينظر كتاب العين، مادة (الحق).
(2) مقاييس اللغة، مادة (الحق).
(3) ينظر لسان العرب، مادة (الحق).
(4) ينظر مفتاح العلوم: 170.

وعرفها القزويني: "الحقيقة": الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب فقولنا: "المستعملة" احتراز عما لم يستعمل، فإن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى حقيقة.

وقولنا، فيما وضعت له، احتراز عن شيئين، احدهما ما استعملت في غير ما وضعت له غلطا، كما إذا أردت أن تقول لصاحبك: خذ هذا الكتاب مشيرا إلى كتاب بين يديك فغلطت، فقالت خذ هذا الفرس، والثاني: أحد قسمي المجاز وهو استعمال فيما لم يكن موضوعا له لا في اصطلاح التخاطب ولا في غيره كلفظ "الأسد" في الرجل الشجاع وقولنا: اصطلاح به التخاطب، احتراز عن القسم الآخر من المجاز، وهو ما استعمل في ما وضع له لا في اصطلاح التخاطب كلفظ "الصلاة" يستعمله المتكلم بعرف الشرع في الدعاء مجازا[1]، ونلحظ أن تعريفات العلماء تكاد تجمع على أن وصف الكلمة بأنها حقيقة عندما تستعمل مثبته في معناها الأصلي الذي وضعت له أولا، بحيث لا يتبادر إلى الذهن معنى غير معنى الموضوع له إصرارا. وان اختلف التعبير عند العلماء في تعريفاتهم.[2]

المجاز لغة:

قال الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175هـ): "جزت الطريق جوازاً وجؤوزاً، وجاوزته جوازاً: في المعنى جزته، والمجاز: المصدر والموضع والمجازة أيضا".[3]

وقال ابن فارس (ت 395هـ): "وأما المجاز فمأخوذ من جاز يجوز إذا استن ماضيا، تقول: "جاز بنا فلان، وجاز علينا فارس، هذا هو الأصل" [4].

(1) ينظر: الإيضاح: 2/ 359، وينظر التبيان: 218
(2) ينظر: التبيان في البيان: 96، أساليب المجاز في القران الكريم: 13.
(3) ينظر: كتاب العين، مادة (جوز).
(4) ينظر: مقاييس اللغة، مادة (جوز).

وجاء في لسان العرب: "جزت الطريق، وجاز الموضع جوزاً وجؤوزاً ومجازاً وجاز به وجاوزه جوازا وأجاز غيره، وجازه: سار فيه وسلكه، وأجازه: خلفه وقطعه، وأجازه: أنفذه"[1].

ويمكن أن نلحظ أن اللغويين يكادون يجمعون على أن المادة اللغوية للجيم والواو والزاي تفيد معنى الحركة والانتقال، وأن صيغة "مجاز" في "مفعل" وبناء مفعل وصف للزمان والمكان والمصدر وقد نقلت هذه الصيغة إلى اللفظ تجوزا، فوصف بها الكلمة التي أجازت موضعها الأصلي وتعدته لتفيد معنى آخر غير المعنى الذي وضعت له أولا[2].

المجاز اصطلاحاً:

يمكن إجمال ما ذهب إليه البلاغيون: إن القول إذا صرح به، يجب أن يجري على حقيقته إلا إذا منع مانع فيجري على المجاز"[3].

وقد ذهب قوم إلى أن الكلام كله حقيقة لا مجاز فيه، وذهب آخرون إلى انه كله مجاز لا حقيقة فيه، وكلا هذين المذهبين فاسد حسب رأي ابن الأثير الذي يتابع القول: "واعلم أنه إذا ورد عليك كلام يجوز أن يحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه، فانظر فإن كان يجوز أن يحمل معناه على طريق المجاز فلا ينبغي أن يحمل إلا على طريق الحقيقة، لأنها هي الأصل، والمجاز هو الفرع، ولا يعدل عن الأصل إلى الفرع إلا لفائدة" [4].

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (جوز– جيز).

(2) ينظر أسرار البلاغة: 342، المثل السائر: 105/1، أساليب المجاز في القران الكريم: 27.

(3) ينظر: دراسات في البيان النبوي: 203. 1937/6، وينظر: أساليب المجاز في القرآن الكريم: 27– 46.

(4) ينظر: المثل السائر: 85/1 و89.

وقد أوجز الجرجاني ما ذهب إليه البلاغيون من تعريفات بتعريف مقتضب يعد أول من تكلم عن هذا المصطلح بمنهجية إذ يقول: "المجاز كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول"[1].

وقد قسم الجرجاني المجاز إلى قسمين اثنين إذ يقول: "إن المجاز على ضربين مجاز من طريق اللغة ومجاز من طريق المعنى المعقول"[2]، ولسنا بصدد هذه التقسيمات وإنما جاء ذلك من باب الإشارة والتنوية فحسب، ولما كان المجاز أسلوباً من أساليب التعبير غير المباشر، فقد ورد في القران الكريم وفي الحديث النبوي الشريف وفي كلام العرب شعراً ونثراً، ومن هذه الأحاديث النبوية قوله (ﷺ): "**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة: فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه**"[3].

قال الطيبي: الإسناد في قوله: "والفرج يصدق ذلك ويكذبه" مجازي، لأن الحقيقي هو أن يسند إلى الإنسان، فاسند إلى الفرج، لأنه مصدر العمل والسبب القوي"[4]، ومنه أيضاً قوله (ﷺ): "**إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامةً يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة**"[5].

وهذا الحديث النبوي يشتمل في نصه على استعارة أسمية غدت تشخيصا للمجردات أضفى على المجرادات طابعاً حسياً وغوص في ملامح النفس البشرية، وفي النص استعارتان أسميتان في حال تضاد (طباق) فيختم به البناء الكلي للنص: المرضعة، الفاطمة، نعم، بئست[6].

---

(1) اسرار البلاغة: 304.
(2) المصدر نفسه: 355.
(3) صحيح البخاري، 1618، رقم الحديث: 6612.
(4) ينظر الكاشف: 540/2.
(5) صحيح بخاري، 1734، رقم الحديث: 7148.
(6) ينظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 21.

يقول العسقلاني في قوله عليه الصلاة والسلام: (فنعم المرضعة) و(بئست الفاطمة) "قال الداودي: نعم المرضعة أي في الدنيا وبئست الفاطمة أي بعد الموت، لأنه يصير إلى المحاسبة على ذلك، فهو كالذي يفطم قبل أن يستغني فيكون في ذلك هلاكه، وقال غيره: نعم المرضعة لما فيها من حصول الجاه والمال ونفاذ الكلمة وتحصيل اللذات الحسية والوهمية حال حصولها، وبئست الفاطمة عند الانفصال عنها بموت أو غيره وما يترتب عليها من التبعات في الآخرة"[1].

وقد ألحقت التاء في "بئست" دون نعم، والحكم فيهما إذا كان فاعلهما مؤنثاً جواز الإلحاق وتركه، فوقع التفنن في هذا الحديث بحسب ذلك، وقال الطيبي فيما نقله العسقلاني: "إنما لم يلقها بنعم لأن المرضعة مستعارة للإمارة، وثانيتها غير حقيقي فترك إلحاق التاء بها وإلحاقها بئس نظراً إلى كون الإمارة حينئذ داهية دهياء، قال وإنما أتى بالتاء في الفاطمة والمرضعة إشارة إلى تصوير تينك الحالتين المتجددتين في الإرضاع والفطام"[2].

"فالحرص على ملذة الإمارة وسدة الحكم، يشخص ليكون مرضعه، أو أن الدنيا تغدو مرضعة، ونتصور هنا اللجوء الكبير من الحريص على الدنيا إلى الرضاعة، فكأنها أمه يرضع منها الحليب والخلق، فالدنيا ستنبت في أعضائه ويتربى عليها، والإمارة غذاء بدني في هذا التصوير، فضلاً عن إيحاء الرضاعة الخلقية التي هي حركة في الذهن، وهي رضاعة خلقية عند الكبير، فالعاقبة ليست كلية مطلقة على الخلق بل هي على أداء حق هذه المسؤولية، فكم من أمير حق أن يسمى أمير المؤمنين، فيكون الحرص منه جهاداً لرفع شأن الإسلام"[3].

---

(1) فتح الباري: 151/13.

(2) المصدر نفسه: 151/13.

(3) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 211.

وفي الحديث النبوي تصوير بالغ رسمه التضاد بين بداية الإرضاع والنهاية في الانفطام، إذ يشترك في هذا التصوير الإحساس والحواس بعد اشتراك الذهن بل إن الاستعارة جاءت ركناً منبهاً وفجأة صارمة يعلو معها التوتر النفسي بعد الهدوء، دالة على أن النبي الكريم (ﷺ) متملكا للفكرة ولا تتملكه هي، وتبعاً لهذا تبدو الفكرة واضحة سلفاً[1].

وقوله (ﷺ): "يتبع الميت ثلاثة، فيرجع إثنان، ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله"[2].

الطيبي قوله: "قال المظهر: أراد بعض ماله، وهو مماليكه"[3].

ومتابعة الأهل على الحقيقة، وإتباع المال والعمل فعلى الاتساع فإن المال حينئذٍ له أنواع تعلق بالميت من التجهيز والتكفين ومؤونة الغسل والحمل والدفن، فإذا دفن انقطع تعلقه بالكلية"[4].

ومن المعلوم أن العلماء الأوائل كانوا يستخدمون كلمة اتساع التي هي من مرادفات كلمة "المجاز" وليس من الضروري أن نجد اللفظ عند شرح الحديث من العلماء، فقد يكون الحديث قائما والمصطلح لم ينشأ بعد، أو لم تستخدمه طائفة، أو استقر في بيئة ولم يستقر في أخرى، فمنهم من سماه توسعاً ومنهم من سماه اتساعاً ومنهم من سماه مجازاً[5].

والصواب: أن استعمال لفظة (وماله) هي المجاز إذ هي كناية عن موصوف، فالمقصود بـ (المال): العبيد وما يملكه أيضاً من الحيوانات التي تحمل عليها جنازته (السيارات الآن مثلاً).

(1) ينظر: المصدر نفسه: 222.
(2) صحيح البخاري، 1599، رقم الحديث: 6541، ينظر المشكاة:3/ 1429، رقم الحديث: 5167.
(3) ينظر: مرقاة المفاتيح: 356/9.
(4) دراسات في البيان النبوي، 211.
(5) ينظر: العمدة: 190/1، وينظر: دلائل الإعجاز 227.

أو أن تعدها مجاز مرسل علاقته الكلية (ذكر الكل= المال) وأراد الجزء منه وهو العبيد وبعض ما يملك مما يمكن أن يلحقه إلى القبر كالحيوان وبعض المستلزمات التي يحفر بها القبر؛ لان المال المذكور ليس المقصود به (ما يملكه من الدنانير والفضة والذهب)[1].

ومما جاء في صيغة المجاز المرسل– الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو واقف على المنبر وذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: **"اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة"** [2].

وقد جاء الطباق بين **"العليا"** و **"السفلى"**، فاليد العليا هي المنفقة، واليد السفلى هي السائلة ويقول الدكتور عز الدين علي السيد، في بيانه وشرحه لهذا الحديث: "الرسول عليه الصلاة والسلام يريد من المؤمن أن يكون عزيز النفس، أبي القلب كاسباً، ولا يريده فارغاً عالة يسأل الناس أعطوه وامنعوه، والشريعة الإسلامية عادلة سمحة، ترى من الناس من يحرم الكسب لِعلّه تمنعه، فأباحت لهم الصدقة ما داموا عاجزين، وعينهم القرآن الكريم في أنواع من الناس" أما الآخرين فإنهم مأمورون بان يسعوا ويكدوا في طلب الزرق، قال تعالى: (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [الملك: 15]، وحرم الكتاب كما حرمت السنة الصدقة على غيرهم، فقال عليه الصلاة السلام: **"لا تحل الصدقة لغني"**[3]، وقال: **"من سأل الناس تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل أو يستكثر"**[4].

(1) ينظر: أساليب المجاز في القرآن الكريم: 027

(2) صحيح البخاري:400، رقم الحديث:1429

(3) لم أجد تخريجه، نقلاً عن كتاب الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 188.

(4) صحيح مسلم: 132/4، رقم الحديث: 1041.

وقال: "والذي نفسي بيده، لان يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه"[1]... ثم يضيف الدكتور عز الدين علي "وبعد هذا الاستطراد، فإنه لا معنى لمدح يد وذم أخرى وإنما الممدوح والمذموم هو صاحب اليد، فالقصيد من الحديث جعل الشخصين في منزلتين عليا وسفلى وتقرير فضل الأولى على الثانية في الخير، وعلى ذلك فيكون التعبير باليد– وهي الجزء– وإرادة صاحبها– وهو الكل– فالعلاقة بينهما الجزئية والكلية"[2].

ونجد الطباق المجازي في قوله (ﷺ): "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"[3].

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: (آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة: من الآية: 153] والصيام من الصبر وهو نصف الصبر، "وترك الطعام والشراب بعض ما يوجبه الصوم على الصائم ولكنه أظهرها، لما يتألم به من لذع الجوع والضمأ من الزم لوازم الصوم، لذلك عبر به النبي(ﷺ)، بدل أن يقول: فليس لله حاجة في صومه، تعبيراً مجازياً بإطلاق الجزء وإرادة الكل، والأجزاء كما تكون حقيقة تكون اعتبارية أو بإطلاق اللازم وإرادة الملزوم وفضل التعبير المجازي على الحقيقي ظاهر، لأن ترك بقية المفطرات أسهل شأناً، فإذا لم يكن ترك الأشد على النفس مقبولاً فما أهون ما دونه"[4].

فالصبر إنما يجب أن يكون لله، وبه الاستعانة، وأن يكون الباعث له على الصبر محبة الله وإرادة وجهه والتقرب إليه، لقوله تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزمر: 10].

---

(1) صحيح البخاري، 411، رقم الحديث: 1470.
(2) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 188.
(3) صحيح بخاري، 503، رقم الحديث: 1903.
(4) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 197.

يقول الدكتور يوسف المرعشلي: "والصبر على ثلاثة معانٍ: صبر عن المعصية، كمن يصبر عن النظر الحرام، والمال الحرام، والزنا، والسرقة والكذب والغش، وصبر على الطاعة، كمن يصبر على الجوع والعطش في الصوم، وطول القيام في الصلاة، والمداومة عليها، والصبر على مشقة السفر إلى الحج... وصبر على المصائب، حين يبتلى العبد في صحته بالمرض، وفي ماله بالخسارة، وفي أحبابه بالموت"[1].

وقوله (ﷺ): "فليس لله حاجة..." بين حكمة الصيام، وأنه شرع لتطهير المؤمن وإعلاء روحه، فقد عبر عن غضب الله تعالى على من لم يفارق ذنوبه من الكبائر، فيتركها كما ترك الطعام والشراب، فالتعبير عن ذلك بالكناية، لصحة إرادة المعنى الحقيقي مع المعنى المراد، وكأنه (ﷺ) يقول: "فالله غاضب عليه وراد عمله؛ لأنه ليس بحاجة إلى عمل كامل من العبد فضلاً عن كونه معيباً ناقصاً"[2].

وجاء في قوله (ﷺ) **"يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً، ويلجمهم حتى يبلغ أذانهم"**[3].

مشهد من مشاهد اليوم الآخر يصف العرق المنصب من أجساد الناس قبيل الحساب يوم القيامة، لا يصرح به عن شدة الحر ووهج الشمس التي تدنوا من الخلائق حتى تكون قدر ميل من رؤوس الخلائق، فهناك من شدة الحر ما لا يمكن وصفه فهي فوق التصور، كما يتبين ذلك لدكتور أحمد ياسوف بقوله: "ولا يشار بصراحة إلى العنصر المنبه الحسي وهو الشمس، بل يسلط النظر إلى نتائج قرب الشمس من الأجسام، وكأنما هول الموقف يشغل المرء عن السبب، ومشهد العرق هذا الشكل غير المعهود يومئ إلى ارتفاعٍ حتى موقع الأذان، فيشكل أمام البصر طبقة ثانية بالنظر البعيد حتى تشبه الأضلاع المكون من الماء الحار، وهي متحركة

(1) تزكية النفس: 128.
(2) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 197.
(3) صحيح بخاري، 1603، رقم الحديث: 6532.

بالنظر القريب لمعاينة حركة الأشخاص فيها، فتراقب العين الجمال الفني في تصوير هذه الصورة العرضية التي تستجلب البصر وتفسح المجال لرؤيتها بسهولة النظر العرضي، والمشهد غير محدد لأنه يقول: الناس أي أعداد هائلة تشغل كل مكان يمتد إليه البصر"[1].

ويكاد يحتوي الطباق المشهد بكامله بنزول العرق وغوصه في أعماق الأرض سبعون ذراعاً والذراع يعد من طرف المرفق إلى طرف الأصابع الوسطى من الإنسان، وهو غير ثابت، وذلك لاختلاف طول الاذرعة من إنسان إلى آخر[2]، ومن ثم الارتفاع على كل الأرض المنبسطة التي يحشر الناس جميعاً بل وجميع الخلائق عليها والله تعالى اعلم– حتى يبلغ هذا العرق الآذان فيلجمهم– يقول العيني: "ويلجمهم" يضم الياء من ألجاماً إذا بلغ فاه، وسبب كثرة العرق تراكم الأهوال وشدة الازدحام ودنو الشمس"[3].

ونقل عن الكرماني قوله: "الجماعة إذا وقفوا في الأرض المعتدلة أخذهم الماء أخذاً واحداً بحيث يكون بالنسبة إلى الكل إلى الآذان على اختلاف قاماتهم طولاً وقصراً، وأجاب بأنه خلاف المعتاد، أولا يكون في القامات حيينئذ اختلاف"[4].

أما الإمام بن حجر العسقلاني من خلال كثرة ما نقل من تعدد الآراء التي تناول فيها العلماء هذا الحديث النبوي، فانه يميل إليها كلها، لأن لكل منها دليل ولا اختلاف بينهما ولا تباين بل إن بعضها يقوي البعض، لذا لم يرجح أي منها، وإنما ختم القول في هذا الحديث بكلام الشيخ أبي محمد بن أبي جمرة: "ظاهرة الحديث تعميم الناس بذلك، ولكن دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر، ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله، فأشدهم في العرق

---

(1) الصور الفنية في الحديث النبوي الشريف: 534.
(2) المصدر نفسه: 688.
(3) عمدة القارئ: 171/23.
(4) المصدر نفسه: 171/23.

المنافقون والكفار، ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم، والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار كما تقدم تقريره في حديث بعث النار، قال: والظاهر أن المراد بالذراع في الحديث المتعارف، وقيل: هو الذراع الملكي، ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها، وذلك أن النار تحف بأرض الموقف وتدنو الشمس من الرؤوس قدر ميل، فكيف تكون حرارة تلك الأرض وماذا يرويها من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعاً مع أن كل واحد لا يجد إلا قدر موضع قدمه، فكيف تكون حالة هؤلاء في عروقهم مع تنوعهم فيه، إن في هذا ما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة، ويقتضي الإيمان بأمور الآخرة، وأن ليس للعقل فيها مجال، ولا يعترض عليها بعقل ولا قياس ولا عادة، وإنما يؤخذ بالقبول ويدخل تحت الإيمان بالغيب، ومن توقف في ذلك دل على خسرانه وحرمانه"[1].

ونقل الدكتور احمد ياسوف قول الشريف الرضي في شرحه لهذا الحديث بقوله: "وقال الشريف الرضي: وفي هذا اللفظ مجاز، وله وجهان: أحدهما أن يكون المراد أن العرق يزيد بهم يومئذ حتى يضعفوا عن الكلام فلا يحيروا جواباً، ولا يبتدئوا مقالاً ... فشبه عليه الصلاة والسلام- إضعاف العرق لهم وبلوغه إلى أن يملك عليهم نطقهم باللجم التي تملئ أفواه الخيل، فتمنعها من تحريك ألسنتها تمطقاً بالمشرب، أو تلمظاً بالطعم، والوجه الأخر أن يكون المراد أن العرق يكثر منهم حتى يخوضوا فيه، فيبلغ إلى أن يدخل أفواههم فيكون بمكان اللجم لهم"[2].

(1) فتح الباري، 441/11.
(2) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، 535.

جدول بالأحاديث التي تضمنت طباق المجاز في الحديث النبوي الشريف

ت	الحديث	رقم الحديث	الطباق باعتبار مادة الطرفين		
			اسمان	فعلان	مختلفان
.1	"إذا **طلع** حاجب الشمس، فأخروا الصلاة حتى ترتفع وإذا **غاب** حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى تغيب".	258		/	
.2	"تعس عبد الدينار وعبد الدرهم، وعبد الخصيمة، إن **أعطي** رضي وإن **لم يعط** سخط، تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش".	2730		/	
.3	"والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى **تؤمنوا**، ولا **تؤمنوا** حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء ما تحابون به افشوا السلام بينكم".			/	
.4	"يدخل أهل **الجنة الجنة**، ويدخل أهل **النار النار**، ثم يقول الله تعالى: انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان	22	/		

ت	الحديث	رقم الحديث	الطباق باعتبار مادة الطرفين		
			اسمان	فعلان	مختلفان
	فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحيا أو الحياة– شك مالك– فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ألم ترا أنها تخرج صفراء ملتوية".				
.5	"تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون **خير الناس** في هذا الشأن أشدهم له كراهية، وتجدون **شر الناس** ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه".	2204	/		
.6	"مه عليكم بما تطيقون فان الله **لا يمل** حتى **تملوا**".	43		/	
.7	"ايقضوا صواحب الحجرات، فرب **كاسية** في الدنيا عارية في الآخرة".	115	/		

ت	الحديث	رقم الحديث	الطباق باعتبار مادة الطرفين		
			اسمان	فعلان	مختلفان
.8	"من **أحيا** أرضاً **ميتةً** فهي له وليس لعرق ظالم حق".	483			/
.9	"إن الله **لا ينزع** العلم بعد أن أعطاهموه **انتزاعاً**، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال، يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون".	7307			/
.10	"من أخذ أموال الناس **يريد أداءها** أدى الله عنه، ومن أخذ **يريد إتلافها** أتلفه الله".	2387	/		
.11	"نحن **الآخرون السابقون** يوم القيامة".	2956	/		
.12	"اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت حق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، **والجنة حق، والنار حق**،	1120	/		

ت	الحديث	رقم الحديث	الطباق باعتبار مادة الطرفين		
			اسمان	فعلان	مختلفان
	والنبيــون حــق، ومحمــد (صلى الله عليه وسلم) حق، والساعة حق".				

يكتفي البحث بهذه الأمثلة:

وينظــر:ح: 2872، 2887، 3194، 3263، 3268، 3329، 3435، 3606، 3612، 3729، 3730، 4406، 4634، 4674، 3684، 4830، 5260،5026.، 5353، 5687، 5774، 5855، 5988، 5991،6243، 6308، 6407، 6408، 6416، 6611، 6622، 7055، 7148، 7307، 6563.

بلاغة الطباق المجازي وجمالياته :

إن سر بلاغة الطباق إنما هي توارد المعاني، فالضد يجلب إلى الذهن ضده أو مقابله.. فإذا كتب الأديب أو نطق أحد المتساندين وقع في ذهن المتلقي حينما يقرؤه أو يسمعه وبهذا يتحول الملتقي إلى المرسل له [1].

ومن بلاغة الحديث النبوي الشريف كما يشير إليها أحد الباحثين:" أنه دال على أعظم المعاني وأحسنها بأجمل الألفاظ وأعذبها، فالفصاحة في لفظه، والبلاغة في عينه ونوعه وجنسه"[2].

إن جماليات الطباق المجازي تظهر وكأنها كالشجرة المورقة في روائها ونضرتها وإيحاءاتها من الطبيعة يحل كل أسباب الحياة، فقد بلغ جميع المحاسن

(1) ينظر: من روائع البديع في القرآن الكريم: 233.

(2) الجناس وتطبيقاته في صحيح البخاري: 19.

كلها في ألفاظه ومعانيه من خلال وصوله إلى المعاني البديعية بالألفاظ الحسنة، كما عبر عن ذلك "العلوي" بقوله: "إعلم أنه لا خلاف بين أهل التحقيق من علماء البيان أن الكلام لا يوصف بكونه بليغاً إلا إذا حاز جزالة المعنى وفصاحة الألفاظ"[1]، وهل يعلو على ألفاظ الحديث النبوي الشريف في جودة ألفاظه وفصاحتها— وهي آتية من أفصح العرب— وفي جزالة معناه— وهو لا ينطبق عن الهوى— فهل يعلو عليه ويفوقه إلا القرآن الكريم؟.

إن بلاغة الطباق المجازي تتجلى في الغوص في ملامح النفس الإنسانية في حرصها على الإمارة وتصويرها بالمرأة "المرضعة" التي ستفطم بعد الرضاعة— فغدا تشخيصا للمجرد نقله إلى صورة المحسوس، بما جلب للتعبير عن المعنى من استعادة "المرضعة" للإمارة التي ستنقلب إلى داهية دهياء بعد الموت.

وقد أكتسب المجاز من الطباق جملا يعلو به عن المتعارف في قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "خير المال عين ساهرة لعين نائمة"، يقول الدكتور عز الدين علي السيد" وإنما الذي نريد بقية الحديث، لإسناده ما في معنى الفعل وهو الوصف بالنوم انطباق الجفنين، بل هو أمر يختص بالجهاز العصبي وقوة الإدراك، والمجاز وإن كان قريباً لإشتهاره اكتسب من الطباق جمالاً يعلو به عن المتعارف، كما اكتسب من المجاز المرسل—في إطلاق العين وإرادة الصاحب وهو الكل— توجيهاً آخر يجعله من الصور الروائع أية ذهب"[2].

وتظهر جماليات الطباق المجازي في المفردات الموحية المقتبسة من ألفاظ القرآن الكريم في قول النبي (ﷺ): "...ألا في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[3].

---

(1) الطراز: 63.

(2) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 218.

(3) صحيح البخاري: 84– 85جزء من حديث رقم: 52.

إن القلب هو محل نظر الخالق سبحانه وتعالى من العبد، فهو لا ينظر إلى الجسد ولا إلى الوجه ولا إلى المال ولكن ينظر إلى القلب فأن صلح فمنه الصلاح وأن فسد دبَّ الفساد إلى سائر أعضاء الجسد يقول ابن قيم الجوزية: "فإن القلوب يخالطها بغلبات الطبائع، وميل النفوس، وحكم العادة، وتزيين الشياطين، واستيلاء الغفلة ما يضاد ما أودع فيها من الإيمان والإسلام والبر والتقوى... فاقتضت حكمة العزيز أن قيَّض لها من المحن والبلايا ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء إن يتداركه طبيبه بإزالته وتنقيته من جسده، وإلا خيف عليه منه الفساد والهلاك"[1].

وتبرز بلاغة الطباق المجازي في عمق الصورة الفنية ودقتها في التبصر والتفكر ومن ذلك ما جاء في الحديث النبوي الذي يصور لنا من يتبع الجنازة ومن "يرجع" ومن "يبقى" معه ملازماً له في قبره وبعد حشره، وهو العمل الذي كان أزهد شيء عنده في الدنيا نظراً إليه وحباً به، أما الأهل والمال– اللذين أفنى عمره لأجلهما، في الجمع والتكاثر، فإنهما له مفارقان وراجعان مع من يرجع من الناس، وفي ذلك ابلغ العظمات لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد [2]، "ولاشك أن ما يبقى بعد سمك الفكرة ثم تصويرها، أمور حسية ذات تأثير نفسي يتعامل مع الحواس والذهن، وهي الثواب الذي يدخل به المعنى إلى النفس، ويستقر بها... وتلك في اللغة الجمالية التي لا غنى عنها في تحديد ماهيته"[3].

بلاغة طباق السلب وجمالياته:

إن القدرة في التوفيق بين الألفاظ المتضادة والمعاني المتضادة، توفر من الجمال ما يؤثر في الذوق والعقل والحس جميعاً؛ وذلك كائن من أنها توجد من اللغة نظام علاقات وثيقاً وذلك بالتعرض للقوتين النظام والفوضى ليس باستبعاد احدهما وإنما بإيجاد توازن سريع[4].

---

(1) زاد المعاد: 518.

(2) اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة: ق: 37].

(3) الصورة الفنية في الحديث الشريف: 125.

(4) ظاهرة الطباق دلالة نفسية في شعر المتنبي، مجلة المورد: 52– 53.

ومن هنا فإنه يمكن القول: أن للطباق الفظي جمالياته التعبيرية، وإيحاءاته النفسية ودلالاته الشرعية ذات الأثر الكبير في تأكيد الأحكام الفقهية ونبذ وتفنيد سفاهات الجاهلية وما تأصل منها على أنه من شرع الله كما كان أئمة الكفر يزعمون.

"ولعل بلاغة هذا النوع من الطباق تكمن في تصوير الفكر الديني الذي ينطوي عليه طرفا الطباق المثبت والمنفي أو المأمور به والمنهي عنه"[1].

وقد نقل الزركشي عن الشافعي قوله: "جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن، وجميع القرآن شرح لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا— قال الزركشي: زاد غيره، وجميع الأسماء الحسنى شرح لاسمه الأعظم"[2].

ويوضح الدكتور محمد محمد أبو موسى هذا الكلام قائلا: "وهذا يعني أن كل علوم الأمة بما في ذلك الطب وعلوم الضائع راجع ذلك كله إلى السنة لأن السنة ما تركت شيئا يصلح به حال الأمة إلا حثت عليه وما تركت شيئاً يضر الأمة إلا نهت عنه"[3].

فالأمر والنهي هما أحد طرفي الطباق السلب وعن طريقهما يكون الإصلاح من السنة النبوية بالإضافة إلى الإثبات والنفي، فهذا التقابل التراكبي بين: (الأمر والنهي) و(الإثبات والنفي) يتكون طباق السلب، ومنهما جميعاً يأتي بيان أحكام الفقه الإسلامي— سواء في القرآن الكريم أو في السنة النبوية— في بيان الحلال من الحرام[4]، وهو موضوع في قوله تعالى: (مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) الحشر:7، ويوضح ذلك قول النبي(ﷺ): "دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان

(1) الطباق في القران الكريم (دراسة بلاغية): 97.

(2) البرهان:6/1.

(3) مراجعات في أصول الدرس البلاغي: 272.

(4) ينظر: أصول التشريع الإسلامي: 257.

قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"[1].

فالأمر و والنهي كلاهما يشتركان في كونهما "طلب" ويأتي هذا الطلب على وجه الاستعلاء ويفترقان في دلالة الطلب على الكف عن الفعل أو إيجاده[2]، هذه الأوامر والنواهي تمتزج بالترغيب والترهيب، "إذ من شأن الإنسان السوي أن يجذبه الترغيب ويزجره الترهيب، فذلك مما يتوافق مع فطرته ويلبي فيه صبغته التي صبغه الله تعالى عليها فيكون ذلك حافزاً على الامتثال"[3]، فالإبداع في سياق النص يكون في الدلالة، إذ إن عناصر الجملة تتفاعل في داخل النص لتنتج دلالات متنوعة ومتباينة[4]، فالطباق في الحديث النبوي الشريف ظاهرة دلالية- طبيعية وغير متكلفة- ولا يكاد باب من أبواب كتاب صحيح البخاري يخلو منها- فجاء الطباق في" أخفه روحاً، واقله كلفة، وأرسخه في السمع، وأعلقه في القلب"[5]، وأي شيء لا يحسن إذا كان يلمسه ويتحسسه المواتي الذي يقذف به سهواً رهواً في حالات الصفاء والتسامي وكون الخاطر مستعداً لتلقي النفحات العلوية من الوحي البياني[6]، وكان الرأي في ما مر من أحاديث حوت طباق السلب والذي تكمن بلاغته فيما أصل من تشريع، وفيما احتواه من توجيه تربوي يقضي إلى الالتزام بمحاسن الأخلاق والتنفير عن الانجراف نحو مساوئها، فوجه إلى خيريه الإسلام في إطعام الطعام وإقراء السلام على من "عرفت" ومن "لم تعرف"، وبين حرمة محارم الله وعظمتها عنده- سبحانه- في كونها محرمة من الخالق جل وعلا- وليست من تحريم الناس فليس لأحد أن يحل ما حرمه الله، وبين أن الإذن في ذلك إنما هو

---

(1) صحيح بخاري: 1764، رقم الحديث: 7288.

(2) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: 83، 465، علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم: 43، 216.

(3) الجوانب التربوية في علم أصول الفقه: 267.

(4) الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم (دراسة وتطبيق): 27.

(5) العمدة: 2/ 11.

(6) ينظر: الجناس وتطبيقاته في صحيح البخاري: 14.

مقصور على من أمر بتحريم مكة– "إن مكة حرمها الله" و"لم يحرمها الناس" وهو من الطباق التركيبي، ومن الاستطراد في الإيضاح لمن احتج القتالِ فيها راجع إلى– قيام النبي (ﷺ) بالقتال فيها يوم الفتح– فالعلة هنا توقيفية مبينة على الإذن الذي بينه الطباق الثاني في هذا الحديث بين "إن الله قد أذن لنبيه" و"لم يأذن لكم" فقد جاءت الألفاظ فيها على قدر المعاني، فالألفاظ هي خدم المعاني وهي توابع لها وهي في الوقت نفسه كما عبر عنها الدكتور محمد عبد المطلب: "مادة المعنى وأداة التعبير"[1]، بل هي "كالوعاء المحتوي للشيء"[2].

وبرزت بلاغة طباق السلب كذلك في إثبات من يستحق الترحم له ومن لا يتوجب له ذلك، بإظهار شرط الترحم وهو حمد العاطس إذا عطس بأن يقول: (الحمد لله)، وكون الدعوة له بالرحمة هي من الواجبات وهي من الخمس التي من واجبات المسلم تجاه أخيه المسلم[3]، التي يرجو أن يناله الأجر والثواب إذا ما أداها رجاء ثوابها.

ومن بلاغة طباق السلب تقرير واجبات العبد تجاه ربه والآداب التي يتأدب بها في عبادته المختلفة ومنها الدعاء، فجاء الطباق بين الاستجابة وعدمها متعلقةً بفعل العبد وأدبه مع الخالق سبحانه وتعالى وعدم التعجل بردة فعل تكون مانعة من استجابة الدعاء في قوله– "دعوت ربي فلم يستجب لي"[4]، وكذلك تأتي بلاغة طباق السلب في الإنذار من الدجال.

ذو غيره من الفتن الكبرى التي تنتظر البشرية وبيان أشراط الساعة والتحذير من الوقوع في هذه الفتن التي هي كقطع الليل المظلم والتي تموج موج البحر حتى تدع الحليم حيران لا يعلم ما يفعل ولا أي المسالك يسلك، لما يرى من

(1) البلاغة العربية قراءة اخرى: 138.

(2) نقد الشعر: 185.

(3) اقتباس من قول النبي(ﷺ): "حق المسلم على المسلم خمس..." وقد سبق تخريجه: ص84.

(4) جزء من حديث "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل..."، وقد تقدم تخريجه: ص84.

الفتن الخداعة التي تكون مع الدجال الأعور، قال الطيبي "أن تكون بحيث لا يرى منها مخرج، ولا يوجد منها مستغاث، أو أن يقع الناس من غير بصيرة، فيعمون فيها ويعمون عن تأمل الحق واستماع المصح"[1]، ولذا بين النبي (ﷺ) لهم صفة وعلامة بينة لا شية فيها، وهذه الصفة يحملها طباق السلب بين "إنه أعور" و"إن الله ليس باعور" ويعضدها الحديث الشريف: "تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت"[2]، يحذر الناس من أن يفتنوا بفتنة الدجال.

وتتجلى بلاغة طباق السلب في بيان ما فضل به النبي (ﷺ) وأمنه على سائر الأنبياء والأمم في قوله "أعطيت" و"لم يعطهن" و"أحلت" و"لم تحل لأحد من قبلي" وهذا الحديث كما مر هو من الأحاديث النبوية التي تضمنت ألوان مختلفة من الطباق وكذلك في بيان فضل الجهاد في سبيل الله وذم أهل الهوى والسلطان لدينار والدرهم وبيان سخطهم لأجل الأعطيات وسخطهم إذا حرموا منها أو منعوا من هذه الأعطيات والتي جلاها الطباق في قوله (ﷺ) اغبر إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع، بسبب ما لحقه من الرثاثة في القتال والجهاد في سبيل الله[3].

والحقيقة أن لطباق السلب باباً واسعاً وأفق رحب في الحديث النبوي الشريف، نجد من خلاله أن سيدنا المصطفى (ﷺ) كان السيد في مجال البلاغة والفصاحة، فكان السامع يطرب لحسن موعظته، وهو من أوتي جوامع الكلم، وهذه الصفات يوضحها لنا القاضي عياض[4] (رحمه الله) فيقول "وأما فصاحة اللسان، وبلاغة القول فقد كان (ﷺ) من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، يخاطب

---

(1) نقلا عن كتاب: دراسات في البيان النبوي: 27.

(2) من حديث عبد الله بن عمر وهو تكملة الحديث: "إني أنذركموه.." صحيح مسلم بشرح النووي: 18م/42، بالرقم:2931.

(3) من وصايا الرسول (صلى الله عليه وسلم): 1/598.

(4) القاضي عياض: هو أبي الفضل عياض موسى بن عياض اليحصبي (ت 544 هـ).

كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله"[1].

وإذا ما تناولنا ألفاظ الحديث النبوي- في طباق السلب وغيره- مفرداً مفرداً لا نجد بينهما تنافرا، فلا ينكر بعض حروفه بعضاً فلا ثقل على اللسان في لفظ، ولا تعثر وثقل بالنطق في كلمة، فهي مأنوسة الاستعمال فلاغرابة، جارية على مألوف الموازين الصرفية التي عرفت اللغة... رخيمة الجرس واضحة الدلالة، جارية على القياس، وهذا كله ينسحب على الجمال في تجاورها وأدائها للمعنى فلا تجد عبارة خير منها[2].

ويمكن أن ينسحب ما ذكره الدكتور عز الدين علي السيد على المظاهر العامة للتقرير على الطباق السلب بل وعلى عموم الطباق في الحديث النبوي الشريف وهي:

1. صفاء اللفظ ووفاؤه إفراداً وتركيباً.
2. وضوح المعنى وظهور المغزى.

وسائل التشويق والإيقاظ بعثاً للنشاط، وإجابة للداعي، منها القولي ومنها الحسي[3].

وقد جاء من الأمثلة في هذا اللون من الطباق ما فيه الغنى عن ذكر أمثلة أخرى، فقد دلت على أعظم المعاني وأحسنها بأجمل الألفاظ وأعذبها، فإنما هي من نور الوحي الإلهي الذي تكلم به من لا ينطق عن الهوى، فكانت في كل مثل منها كأنها القمر ليلة البدر المنير.

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: 1/95- 96.

(2) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 61-62.

(3) المصدر السابق: 60.

بلاغة طباق التدبيج وجماليته:

تنبع بلاغة طباق التدبيج من معناه الغوي الذي يعني "التزيين"[1]، الذي يحمل معه أساليب البيان التي تزيد الكلام بهجة ورونقاً ومن ثم الارتفاع والارتقاء بهذا الفن البلاغي جمالاً وبلاغة، فالكلام الجيد هو ما دلت مصادره على منابعه، وكشف أوله عن آخره[2].

وهذه الصفة تسحب على الطباق بعامة، إذ إنه بمجرد ذكر الضد الأول يرد مباشرة إلى الذهن ضده، فهو باعث على التفكير وجلب اهتمام المتلقي، وهي من الأهمية بمكان في مجال التعلم والتعليم، وهذا التفاعل بين المعلم (صلى الله عليه وسلم) وبين أبناء الأمة بعامة والصحابة الكرام بخاصة هي الفاعل الأساس في تهذيب النفوس وتزكيتها مصدقاً لقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [الجمعة: 1]،حتى كأن الله – جل وعز– محّص اللسان العربي وألقى زبدته على لسان نبيه (ﷺ) فتجد في الحديث النبوي سنام بلاغة العرب[3]، إذ بقواعده وضوابطه تعرف الأحكام وما كان من واجب على كل مسلم، "فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان عبثاً، ولم يتركه سدى، بل فضل على سائر خلقه بالتكليف، وتوجه إليه بالأمر والنهي، وطلب الفعل والترك، وجعل لكل فعل من أفعاله، أو تصرف من تصرفاته حكماً شرعياً، يلزمه– وهو البالغ العاقل– أن يعمل بمقتضاه، ويقف عند حدوده ومنتهاه، ويجب عليه امتثاله، سواء أكان هذا الحكم تكليفاً– حسب اصطلاح الأصوليين– كالإيجاب: بمعنى أن الفعل المطلوب مع عدم المنع من الترك، والتحريم لأن الطلب هو الكف عن الفعل مع المنع من فعله، والكراهة: لأن الطلب هو الكف مع عدم المنع من الفعل، والإباحة، لأن الشارع خير بين الفعل والترك، أم وضعياً– كما هو عند

(1) لسان العرب: 2|262.

(2) ينظر علم البديع، فيود: 138.

(3) ينظر: روح المعاني في تفسير القران والسبع المثاني: 11|119.

الكثيرين منهم– كجعل الشيء سبباً في غيره، أو شرطاً له، أو مانعاً منه، يترتب على الفعل أثره، وتتبعه، ويحكم عليه بالصحة أو الفساد"[1].

وإذا كان "المنفلوطي" يقرر أن الجمال هو التناسب بين الأجزاء الداخلة في تكوين شيء ما[2]، فان الحديث النبوي يفوق هذا التعريف شكلا منسجما وبلاغة معبرة فهو الكلام المحفوف بالعصمة من الزلل والخلل من أي الجوانب أتيته، ويقرر "كانت" الصلة بين الجمال والخلق،فيما ذكره عنه الدكتور عمر الطالب: "وأن الحكم بأن الشيء الجميل صادر عن الذوق وفيه إرضاء للشيء الجمالي بان ذلك الشيء الجميل مصدر متعة جمالية، ويتطلب الجمال أسمى آداب المعرفة، ويكون بهذا رمزاً للخلق، إذ يصير المرء على وعي ببعض آيات النبل والسمو التي تفوق الشعور باللذة الصادرة عن الحس، وليست غاية الجمال مجرد الدلالة على الكمال الحسي أو الجسمي في الشيء الجميل وإنما يتغير بتغير الأحوال والأجناس البشرية"[3].

إن الأساليب البيانية التي يذكر الطباق معها تزيده بهجة ورونقاً وبهاء ويرتفع جمالها من ناحية وببلاغتها من ناحية أخرى[4]، تشكل متعة كبرى، فالكتابة ضرب من الغموض الفني الذي تحصل بعد كشفه هذه المتعة والعدول فيها إلى الإشارة والتلميح أكثر تسامياً وترفعاً وأكثر أثراً، لاحتوائها على المضاهر الحسية، ففيها برهة من الزمن يغيب خلالها المتلقي عن الدلالة المباشرة، يقول الشيخ عبد القادر الجرجاني: "ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجلّ وألطف، وكانت به أضن وأشغف"[5].

---

(1) الجوانب التربوية في علم اصول الفقه: 5.

(2) ينظر: النظرات: 1/165.

(3) المذاهب النقدية: 56.

(4) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع: 298.

(5) أسرار البلاغة:139.

وفي الحديث النبوي نجد الفائدة والمتعة، إذ يتلاءم الخير بالجمال في الشكل الحسي للكناية، وهذا التلاحم من طبع الدين القويم، كما يتلاحمان بالمعنى الذي يكمن وراء الألفاظ المصورة، فهو السمو الحقيقي في الأداء والإيحاء، ونستشهد هنا بحديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ): "**إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن ما ينبت الربيع يقتل أو يلم إلا آكله الخضراء**"[1]، وغير خافٍ موضع الطباق في هذا الحديث النبوي الشريف بين "الخير" و"الشر"، "فالكثرة من الأكل تقتل أو تكاد، ولكن أكلة الخضراء هذه لا تنبهر بالمطعوم، بل تقتصد في الأكل، لتكون مثلاً سفلياً يوجه سلوك البشر، وفي هذا عبرة خفية، إذ يحض النص على التوسط لدى الطعام في شكله الحسي لدى الحيوان، ويومىء إلى التوسط لدى الإنسان، ثم يرقى بهذا إلى مقصد آخر من وراء هذه الحسيات، إذ يقصد أن الاشتغال الكلي بالمال مما يقضي على الدين"[2].

فقد نهل الحديث الشريف من الطبيعة المحيطة في سبيل نقل الأفكار الدينية والحرص على التأثير الحسي في المتلقين، فاثبت أنه يعايش الموجودات، ويعاينها بخبرة دقيقة، ولم يقف حتماً عند الطبيعة، ليجعلها له المقصود الأساسي والغاية الكلية، بل كانت الطبيعة هي أحد العناصر المشكلة فهناك المبدع "المشروع" والنص، والمتلقي، والبيئة المحيطة بهؤلاء، والأسلوب الرابط بين العناصر المختلفة بالإضافة إلى المناسبة التي قيل فيها الحديث النبوي لأنها تحمل الغاية من التشريع[3].

ومن الطباق الذي جاء بألفاظ الكناية حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ): "**تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية، وتجدون شر الناس ذا**

(1) صحيح البخاري، 409، رقم الحديث: 1465.

(2) الصور الفنية في الحديث النبوي الشريف: 250.

(3) ينظر المصدر نفسه: 276– 277.

الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه"[1]، فالطباق في هذا الحديث النبوي على نوعين:

طباق الإيجاب بين "الخير" و "الشر" وطباق معنوي يحمله صاحب الوجهين الذي أتى على الكناية إذ إن وجود رجل ذي وجهين من المجاز الذي يوضحه التكرار، والذي يعني له حالتان فليس ثمة رجل ذو وجهين في الحياة، ولكن هناك رجل يمتلك الأخلاق الرخيصة والطويَّة الفاسدة، فيظهر شيئاً، ويبطن شيئاً آخر كما عبر عن مثل هؤلاء في القران الكريم في الآية الكريمة في قوله تعالى: (مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ)، وهم المنافقون الذي وصفهم الله تعالى بأنهم هم أعداء الذين يجب الحذر منهم لأنهم متغلغلين بين الصفوف لا يظهرون طويتهم وإنما الوجه يكون في المقدمة ومن خلفه تكون الطوية التي تحمل الشرور والأحقاد[2].

وفي الحديث الآخر:

عن عبد الله قال: كنا مع النبي (ﷺ) في قبة، فقال: "أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟"، فقلنا نعم، قال: "أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟، قلنا: نعم، قال: "أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟" قلنا نعم، قال: "والذي نفس محمد بيده، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر"[3].

إن إدخال اللون في الصورة يحتاج إلى براعة فائقة، ولم يجد الباحث أن الضدية ما بين اللفظين المتطابقين قد أتت بلوني الأبيض والأسود مجموعة في

---

(1) صحيح البخاري، 895– 896، رقم الحديث: 3493 و3494.

(2) ينظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، 245.

(3) صحيح بخاري، 1602، رقم الحديث: 6528.

حديث واحد غير حديثين اثنين من صحيح البخاري[1]، إلا أن ثنائية البياض والسواد تكثر في الحديث النبوي بشكل عام، ولكنها تكون ضمنية تحمله دلالات الخير والشر والليل والنهار، والظلمات والنور، وفي هذا اقتداء بمنهج القرآن الكريم إذ كثير ما يستعار فيه النور للإيمان، والظلام للكفر، مثل قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) [الحديد:9].

ومنه تبيان المصير من خلال ألوان الوجه: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[آل عمران: 106–107].

يأتي التعارض (التضاد) بين اللونين "الأسود" و"الأبيض" في الحديث النبوي الشريف، والذي يفرز نتيجة نحصل من خلالها على شدة في البياض وشدة في السواد، والذي يستفاد منه هنا قلّة عدد المسلمين بالنسبة للأمم الأخرى والكفار، إن استخدام اللون الأبيض هو تشريف لهذه الأمة وهو كناية عن الطهر والنقاء، فيقول العلوي متحدثاً عن التدبيج: "ومعناه أن تذكر في الكلام ألواناً من الأصباغ تدل على المدح والذم، واشتقاقه من الديباج، وهو نوع من الحرير، وله في البلاغة موقع عظيم، وهو يكسب الكلام بلاغة ويزيده حلاوة، ويرد على وجهين الوجه الأول أن يكون وارداً في المدح... والوجه الثاني أن يكون وارداً في الذم"[2].

وقد تضمن الحديث النبوي الشريف كلا الوجهين، من ذم الأمم على كثرتها لكون هذه الكثرة لم تحقق التوحيد والإيمان، قال تعالى: (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) [يوسف:103].

(1) الحديث الآخر هو حديث عدي ابن حاتم (رضي الله عنه)، 1112، رقم الحديث: 4510.

(2) الطراز: 437.

فالكناية في هذا الحديث لها دلالتان دلالة اللفظ على معناه الذي وضع بازاءه ودلالة هذا المعنى على مقصود المتكلم من العبارة– التي دلت على الموازنة في نسبة عدد أفراد هذه الأمة بالمقارنة مع عدد أفراد الأمم السالفة، يقول الدكتور محمد محمد أبو موسى: "والعبارة في طريق الحقيقة لها دلالة واحدة هي دلالة اللفظ على معناه، ومن غير شك أن التقاط المعنى من اللفظ ليس فيه مشقة ذهنية ما دام السامع يعرف معاني الكلمات ودلالاتها المرتبطة بها ارتباطاً لصيقاً، وإنما تكون المشقة في التقاط المعنى من المعنى، لأن هذا محتاج إلى نظر في سياق الكلام وتأمل في أعطائه، ثم هو إلى إدراك المعنى المرتبط بالمعنى، وهذا غير أدراك المعنى المرتبط باللفظ، لأنه خفي ولأنه ليس محدداً"[1].

ومن خلال النص النبوي الذي حمل الألوان الثلاثة فإن الطرف الأعلى في الظهور "البياض" والطرف الأسفل في الخفاء "السواد" ويكون "الأحمر" بينهما على حكم وضع الألوان في التراكيب، وهي مسوقة لبيان النوع مع العدد، فحصل التدبيج فيها، وصحة التقسيم[2]، في إبراز شأن الأمة ورفعتها وزرع الثقة في النفوس المؤمنة وأن لا يغتروا برؤية الكثرة من الناس على غير شرع الله، لأن العاقبة للمتقين وأن الفوز إنما يكون بدخول الجنة، وما أعده الله لهم من النعيم المقيم، وجاء القسم في أثناء هذا الحديث النبوي لتفخيم ما يخبر به، وتعظيمه، والمبالغة في صحته وصفته وأثره[3].

بلاغة طباق الترشيح وجمالياته:

إن من الجماليات البلاغية أن يرد الطباق متواشجاً مع ألوان أخرى من فنون البديع يزيده جمالاً إلى جماله وبهجة إلى بهجته ورونقاً إلى رونقه، "فهي البلاغة النبوية، تعرف الحقيقة فيها كأنها فكر صريح من أفكار الخليقة، وتجيء

---

(1) التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان: 446.

(2) ينظر: الطباق في القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، 184.

(3) ينظر: الرسول المعلم وأساليبه في التعليم: 166.

بالمجاز الغريب فترى من غرابته أنه مجاز في حقيقة وهي من البيان في إيجاز تردد فيه "عين" البليغ فتعرفه مع إيجاز القرآن فرعين، من رآه غير قريب من ذلك الإعجاز فليعلم أنه لم يلحق به هذه "العين"-أي فليعلم هذا الناظر أنه غير بليغ- على انه سواء في سهولة إطماعه؛ وفي صعوبة امتناعه، إن أخذ أبلغ الناس في ناحيته لم يأخذ بناصيته، وإن أقدم على غير نظر فيه رجع مبصراً، وإن جرى في معارضته انتهى مقصراً"[1].

وإذا كان الإنسان ينزع إلى رؤية الأشياء التي عهدها في مجتمعه كاملة لا نقص فيها[2]، فإن المطلع على الحديث النبوي لا يحتاج لأن تميل نفسه إلى تكميل شيء منه، لأن فيه ومنه ينبع الكمال.

ومن الأحاديث النبوية التي تواشج فيها الطباق مع فنون البديع الأخرى ما جاء في قوله (ﷺ) "إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً"[3].

والطباق في هذا الحديث النبوي الشريف بين "مرض" و"صحيحاً" وكذلك بين "سافر" و"مقيماً" ويقول العسقلاني في شرحه لهذا الحديث: "هو من باب اللف والنشر المقلوب، فالإقامة في مقابل السفر والصحة في مقابل المرض، وهو في حق من كان يعمل طاعته فمنع منها وكانت نيّته لولا المنع أن يدوم عليها"[4]، والنبي (ﷺ) قد لف بين القولين ثقة بان السامع يرد كل شيء إلى موضعه سواء تقدم أو تأخر، وهذا النوع كان يعبر عنه صاحب الكشاف بأنه "لطيف المسلك"[5]، ويعطي الكلام جماليته وعذوبه تستجلب الأذهان وتشد الملتقي للتبصر في الكلام المنطوق المكتوب، أليس ذلك مما زاد التعبير جمالاً وكمالاً في البهاء والعذوبة؟ ومن الترشيح

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: 215.
(2) اصول علم النفس: 126.
(3) صحيح البخاري، 769، رقم الحديث: 2996.
(4) فتح الباري: 6|168.
(5) الكشاف: 1|122.

الجميل ما كان من المقابلة اللطيفة في قوله (ﷺ): "آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار"[1].

لقد بين النبي (ﷺ) في هذا الحديث من خلال الطباق الذي كان فصلاً بين "الإيمان" و"النفاق" من خلال علامة "حب الأنصار"، والذي علق عليه العسقلاني بقوله "يحتمل أن يقال أن اللفظ خرج على معنى التحذير فلا يراد ظاهره ومن ثم لم يقابل الإيمان بالكفر الذي هو ضده بل قابله بالنفاق إشارة إلى أن الترغيب والترهيب إنما خوطب به من يظهر الإيمان أما من يظهر الكفر فلا؛ لأنه مرتكب ما هو اشد من ذلك"[2]، والحقيقة أن العسقلاني في هذا الكلام كانت التفاتته بديعة حسنة إذ بين سبب عدول النبي (ﷺ) عن مقابلة الإيمان بالكفر إلى مقابلته بالنفاق وهذا ما يسمى بـ"الطباق المعنوي" إذ إن النفاق في معناه إبطان الكفر وبه يكون عليه الحكم الشرعي يوم القيامة.

ونجد كذلك أحاديث نبوية شريفة تواشجت مع أكثر من لون من فنون البديع ومن ذلك قول النبي (ﷺ): "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنو أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً"[3].

يقول العسقلاني: "هذا الكلام من البلاغة يلقب باللف، وأصله يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد، ولا نفساً لم تكسب خيراً قبل ما تكسبه من الخير بعد، فلف الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً إيجازا"[4]، ولا يخفى ما في الحديث من الاقتباس من القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي

(1) صحيح البخاري، 74، رقم الحديث: 17.

(2) فتح الباري: 1|6.

(3) صحيح البخاري، 1598، رقم الحديث:6506.

(4) فتح الباري، 11|433.

بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرًا) [الأنعام: 185]

وهو ما ذكر في الحديث النبوي بتعدده على الإجمال[1].

يقول الطيبي: "واعلم أن الكلام متى وقع في فني البلاغة والفصاحة موقعه استهش الأنفس وآنق الإسماع ونشط الأذهان، وربما نقل السامع من خلقه الطبيعي حتى انه ليسمح به البخيل ويشجع به الجبان ويحلم به الطائش"[2]، وهو السحر الحلال الذي عبر عنه النبي (ﷺ) بقوله: "إن من البيان لسحراً، أو بعض البيان لسحر"[3].

(1) ينظر: الإيضاح: 2|356.

(2) التبيان: 259.

(3) صحيح البخاري، 1457، رقم الحديث: 5767.

المبحث الثاني

الطباق في قصص الحديث النبوي:

القصة لغة:

قال الخليل: "والقاصُّ يقص القِصص قصاً والقِصَّة معروفة: ويقال: في رأسه قِصَّة أي جملة من الكلام ونحوه"[1].

ويقول الفيروزآبادي: "أصل هذا الفظ (قص) – كما جاء في القاموس– مأخوذ من أثره قصاً وقصيصاً: تتبعه، والخبر أعلمه، (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) [الكهف: آية: 64] أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر، (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) [يوسف::3] نبين لك أحسن البيان"[2].

القصة اصطلاحا:

عرفها ابن الأثير الجزري بقوله: "الإخبار عن أحداث حقيقية سابقة بكلام حسن الألفاظ، صيغ بأسلوب بديع مشوق جذاب وقد احتوى على العبر والحكم والعجائب، يهدي السامع بسحره إلى الدين، ويرشد إلى الخير وفضائل الأعمال"[3].

ولما كانت القصة التي نحن بصدد البحث فيها هي القصة النبوية فان هذا التعريف ينطبق تماماً على كل جزئية منها فهي إخبار من النبي (ﷺ) عن أحداث ووقائع حصلت فيما مضى، وقد صاغها النبي (ﷺ) صياغة رائعة وتحمل كل قصة في طياتها عبراً وحكمة، وهناك نوع آخر من القصة في الحديث النبوي وهي القصة

(1) العين: حرف القاف، مادة (قص)، 791.

(2) القاموس المحيط، مادة: قصص، 809.

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر، 4\70.

الواقعة في زمنه على شخصه(ﷺ) أو على أصحابه والتي أمكن لنا أن نسميها القصة "الحالية" ونوع ثالث في الحديث النبوي الشريف تتحدث عن أحداث مستقبلية غيبية يمكن أن نصطلح على تسميتها "بالقصة المستقبلية"، حسب ما تحمله من دلالات، ومن الجدير بالذكر أن هذه الأنواع الثلاثة ليست من نسج الخيال، بل هي تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة، كما تختلف فيما بينها الواحدة عن الأخرى[1]، إذ إن الشخصية تعد محوراً تدور حوله الأحداث فتؤثر فيها وتتأثر بها[2]، "لا شك أن وجود الشخصيات لا يجدي نفعاً في إبراز ملامح القصة من غير أن تكون هناك أحداث ووقائع بسببها أفراد الحيوية على مسرح القصة"[3].

أما العنصر الثالث فهو التعبير الفني، وهو الطريقة التي يتم من خلالها عرض القصة، عرضاً يتسم بجاذبيته لقلوب السامعين أو القارئين لها وذلك يكون بترتيب الحوادث كل في موضعه، وجعل الشخصيات في مجالها بحيث يشعر القارئ أو السامع أن هذه حياة حقيقية تجري وحوادث حقيقية تقع وشخصيات حقيقية عاشت فعلاً في تلك اللحظات[4].

ويكمن العنصر الرابع في القصة النبوية فهو "القيمة الشعورية" ويقصد به ما ترمي إليه القصة من غايات ومصائر، وهي التي يمكن التعبير عنها بمواطن العبر، والتي أشار إليها ابن الجوزي– رحمه الله– بقوله: "إن في إيراد أخبار السالفين عبر المعتبر، وعظة لمزدجر وإقتداء بصواب المتبع"[5]– وهذا الكلام مأخوذ من معنى قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ) عِبْرَةٌ جوانب تربوية وأخلاقية وهي أسلوب فقال من

(1) ينظر فن القصة:9، وينظر: "كتاب" في الأدب الإسلامي المعاصر: 201– 202.

(2) ينظر: بحوث في قصص القران: 52.

(3) القصة في الحديث النبوي وأثرها في التربية (رسالة ماجستير): 12.

(4) المصدر نفسه: 13.

(5) نقلا عن المصدر السابق: 159– 160.

أساليب الدعوة لذا تواتر ذكرها في القران الكريم والسنة النبوية، وسوف يتناول الباحث بعضاً من هذه القصص بحسب التصنيف الذي مر آنفاً.

أولاً: الطباق في قصص الأمم السابقة:

عن أبي هريرة (ﷺ) أنه سمع النبي (ﷺ) يقول: "**إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع، وأعمى، أراد الله ان يبتليهم**[1]**، فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال لون حسنٌ، وجلد حسنٌ، قد قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه، وأعطي لوناً حسناً.**

فقال: فأي المال أحب اليك؟ فقال: الإبل، فأعطي ناقة عشراء[2]**، فقال: بارك الله لك فيها، فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسنٌ، ويذهب عني هذا فقد قذرني الناس، فمسحه فذهب، وأعطي شعراً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملاً، وقال: يبارك لك فيها.**

فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يردُّ الله إلي بصري فأبصر الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي الملا حب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاةً والداً[3]**، فأنتج هذان**[4]**، وولد هذا**[5]**، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.**

---

(1) جاء في كتاب صحيح قصص الرسول (ﷺ):429/2، يبتليهم: اي يختبرهم.

(2) الناقة العشراء: أي الحامل القريبة الولادة، من هدي الساري، هامش على صحيح البخاري:887.

(3) جاء في كتاب هدي الساري وهو هامش على كتاب صحيح البخاري: 888 ما يأتي: شاة والداً: اي ذات ولد ويقال: حامل.

(4) جاء في كتاب صحيح قصص الرسول(ﷺ):429/2– 430 فأنتج هذان: اي صاحب والإبل والبقر، وكذلك جاءت معاني الهوامش الآتية:

(5) وولد هذا: اي صاحب الشاة.

ثم إنه أتى الأبرص في صورته[1]، وهيئته، فقال: رجل مسكين، فقد تقطعت بي الحبال في سفري[2]، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيراً أتبلغ به[3]، في سفري.

فقال إن الحقوق كثيرةٌ، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيراً فأعطاك؟ فقال: إنما ورثت هذا المال لكابر عن كابر[4]!! فقال إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد هذا، فقال إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين، وابن سبيل تقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري؟ فقال قد كنت أعمى فرد الله بصري، وفقيرا فأغناني، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله[5].

فقال: امسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك"[6]، لقد تعدد الطباق في هذا الحديث النبوي الشريف وتعددت أنواعه فالطباق الأول هو من بين "أتى" و"يذهب"وهو طباق معنوي، طباق الإيجاب بين "أعمى" و"أبصر"، وهناك طباق خفي بين "أسألك" و"أمسك" ثم من بعد ذلك يأتي الطباق الأخير بين "رضي" و"سخط".

(1) اي: في الصورة التي اتاهم بها أول مرة؛ ليكون ذلك ابلغ في إقامة الحجة.

(2) جمع حبل وهي كناية عن انقطاع الأسباب والسبل في طلب الرزق.

(3) من البلغة وهي الكفاية في تحصيل المراد.

(4) اي يشمازون من رؤيتك.

(5) اي كبير عن كبير في العز والشرف.

(6) صحيح البخاري، 888، رقم الحديث: 3464.

يقول الدكتور عز الدين علي السيد: "إنها قصة القدر الإلهي السابق وقصة النفس البشرية القلقة، الحائرة بين الشكر والجحود، المقدمة تبين الهدف وهو ابتلاء الله تعالى عباده، يولد فيها أبطالها الثلاثة الأول النطق، توجز في أقل من السطر، يتعادل فيها الإيجاز مع الإطناب، في إبهام العدد، والإيضاح بصفات المعدود، والتشويق بالجملة الجامعة إلى ما يفصلها من أنواع الابتلاء.. والعرض يتردد بين الحكاية والحوار، أما الحوار فقد أتى موجزاً دالا مصوراً يمثل العقدة، وأما الحكاية فكانت تصويراً للتحول الخارق السريع، الذي يمثل المفاجئة في نوع من الحل المؤقت"[1].

إن هذه القصة يدور موضوعها على "شؤم البخل على صاحبه"[2]، و"بركة الإنفاق على المنفق" والتي يجسدها الطباق في نتيجة "السخط" على البخيلين، "والرضا" على بطل القصة الثالث الذي كان أعمى البصر فأصبح ذا بصر وبصيرة، علم من خلالها أن الأجل معلوم، والنعمة لا تدوم، وأن لله حقوقاً في ما أودعه من مال يجب أن لا تضيع ولا يبخل بها، فان البخل ومنع الحقوق إنما هو من باب "كفر النعم" وقد قص القران الكريم من قصص هذا النوع من الكفر في قصة أصحاب الجنة[3]، الذين عزموا على الحرد يوم أرادوا جني ثمارهم وأن لا يدخلها في ذلك اليوم عليها مسكين، قال تعالى: (فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ) [القلم: 23–26]، وقال تعالى في شأن صاحب الجنتين بعدما كفر نعمة الله عليه وتعالى على الناس وافتخر بماله وولده: (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا)، [الكهف: 42]، فهناك فرق كبير بين هؤلاء وأمثالهم وبين من يقول ساعة النعمة (هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)

(1) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 457.

(2) القصة في الحديث النبوي وأثرها في التربية (رسالة ماجستير): 80.

(3) الحرد: على انفراد عن المساكين ومنعهم كما جاء في تفسير الجلالين: 759.

[النمل: 40]، وهذا ما ذهب إليه الأعمى دون صاحبيه، وذا ما أنعمنا النظر في الحوار الذي دار بين الملك وبين أبطال القصة الثلاثة، نلمس تلهف الأبرص والأقرع إلى الشفاء مما يرون أن هذه العاهات سبب في بعد الناس عنهم حتى رسمت في متخيلاتهم أن الناس يقدرونهم، "وذلك أشد ما يمض النفس ويعكر الصفو، ويهيج الحقد والحسد على الأبرياء، ويحرك الخاطر لاتهام القضاء، فإذا انضم إلى ذلك الفقر كان الغاية في زيادة الحقد"[1]، بينما ليس الأمر كذلك بالنسبة للأعمى فان عاهته ليست منفرة، فكان الواجب على الأبرص والأقرع أن يكونا أولى بالصدق والشكر؛ لخطورة المرض الذي أبعدهم عن الناس، فالجحود منهما اشد نكارة وابلغ أثراً[2]، إذ إن القصة النبوية كما مر من قولٍ لابن الجوزي أنها العظة والعبرة والاقتداء، فالنبي (ﷺ) يحث الصاحبة (رضي الله عنهم) وأمته بأن يركنوا إلى الرضا وشكر النعمة؛ لان "الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا ومستراح العابدين"[3].

عن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج، كان يصلي جاءته أمه فدعته، فقال أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تمته حتى تربة وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فاتت راعياً فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وانزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام، قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين، وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت: اللهم تجعل ابني مثله، فترك ثديها، واقبل على الراكب، فقال: فقال اللهم لا تجعلني مثله، ثم اقبل على ثديها يمصه– قال أبو هريرة: كأني انظر إلى النبي (ﷺ) يمص إصبعه– ثم مر بأمة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني

---

(1) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 458.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 459.

(3) صحيح قصص الرسول(ﷺ): 431.

مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لم ذلك؟ الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون: سرقت، زنيت، ولم تفعل"[1].

فالطباق في هذا الحديث النبوي واقع بين: (العابد) و(المرأة) وبين (أبى) و(أمكنته) وهو طباق خفي أو ما يسمى "إيهام التضاد" وبين: (كسروا) و(نبني) وبين (اجعل) و(لا تجعلني) وبين (سرقت، وزنيت) و(لم تفعل) وهو طباق معنوي.

ليمحصهم وليميز الصالح منهم من الطالح وهذا واضح من كيد المرأة البغي بعابد اعتزل الناس في صومعته، وأنها أرادت أن توقعه في فاحشة الزنا، ويقال القرية[2]، وكل ما حصل لهذا العابد كان بسبب عدم إجابته دعوة أمه، قال الإمام النووي رحمة الله–في شرحه لحديث جريج: "فيه قصة جريج (رضي الله عنه) وأنه آثر الصلاة على إجابتها، فدعت عليه: فاستجاب الله لها، قال العلماء: هذا دليل على أنه كان الصواب في حقه إجابتها لأنه كان في صلاة نفل والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابته الأم وبرها واجب، وعقوقها حرام، وكان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها ثم يعود لصلاته، لعله خشي أنها تدعوه إلى مفارقة صومعته والعودة إلى الدنيا ومتعلقاتها وحظوظها، وتضعف عزمه فيما نواه وعاهد عليه"[3].

وقال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث "فيه قوة يقين جريج وصحة رجائه لأنه استنطق المولود مع كون العادة أنه لا ينطق، ولولا صحة رجائه ما استنطقه"[4]، ثقة عظيمة بنصر الله وتأييده ودلالة على نصرة الله تعالى لأوليائه كثيرة في القرآن الكريم قال تعالى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

(1) صحيح البخاري، 883، رقم الحديث: 3436.

(2) فتح الباري: 6|554.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي: 16|82.

(4) فتح الباري: 6|556.

ٱلْأَشْهَادُ) [غافر: آية: 51] وقوله تعالى: (أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)[يونس: 62-63].

ولكن الذي يؤخذ على جريج أنه نسي أن رضا الله في رضا الوالدين وأن دعوتهما مستجابة على أولادهما أو لأولادهما.

وهناك حوار بين الرضيع وأمه، حيث سألته أمه عن سبب دعائه ربه مخالفاً لما دعت هي به، فاعلمها بإعلام الله له، أن الأول: كان طاغية جباراً، وأما الثانية: فكانت امرأة صالحة، وقد اتهموها بما اتهموها به كذباً وبهتاناً وزوراً[1].

وتتجلى في هذا الحوار أحوال أهل الدنيا في كل زمان ومكان وهم يتعلقون بالأشياء الظاهرة وهذا ما حدث للناس من بني إسرائيل من تمنيهم حينما رأوا "قارون" يتبختر في زينته، وحوله خدمه وحشمه فقالوا: (يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) [القصص: 79] أما طلاب الدار الآخر فإنهم لا تغرهم المظاهر الخداعة والزيف من ترف الدنيا لأنهم يعلمون أن المال لله ومن عند الله من شاء اعزه ومن شاء أذله– وإنما الدنيا دار بلاء وامتحان للمؤمنين.

فالإنسان لا يوزن عند الله بأمواله وإنما يوزن بتقواه وأعماله، قال تعالى: (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) [التوبة: 55]، ولا يوزن بضخامة بدنه وسمنه، قال النبي (ﷺ): "انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، فلا يزن عند الله جناح بعوضة"[2].

إن هذه القصة النبوية ترمي إلى إصلاح النفس ظاهراً وباطناً من أدران الذنوب والمعاصي، والارتقاء بالروح إلى مقام العزة والرفعة، من خلال التعبد لله

---

(1) ينظر: صحيح القصص النبوي: 199.

(2) صحيح البخاري، 1191، رقم الحديث: 4729.

تعالى، ومن خلال الزهد في متاع الحياة الدنيا وملذاتها وشهواتها وذلك عن طريق الإنابة إليه والاستعانة به في الفتن والمصائب التي تأتي من جراء ذنب ولو كان غير مقصود، يقول الدكتور عز الدين علي السيد: "القصص النبوي قصص قصير هادف، ينبع من الواقع التأريخي، ويمثل الصراع بين قوى الخير والشر في النفوس، يزكي جانب الخير ويحض عليه عن طريق غير مباشر، وهو بيان جزاء البطل.

يعتمد على المقدمات القصيرة الخاطفة أحياناً، وقد تبدو العقدة في المقدمة ويتخذ من تصعيد العقدة وتتابع المفاجآت وظهور الخوارق إلهاباً وتهييجاً للسامع والقارئ يجعله متدفق النشاط والانفعال إلى النهاية"[1].

عن أبي سعيد الخدري (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: "**كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعةً وتسعين إنسانا، ثم خرج يسأل، فأتى راهباً فسأله فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحي الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وقال قيسوا بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له**"[2].

فالطباق في هذه القصة بين "**ملائكة الرحمة**" و"**ملائكة العذاب**"، وبين "**تقربي**" و"**تباعدي**".

تركز هذه القصة النبوية على وجوب التوبة وإن بلغ العبد الذروة وإسراف في المعصية لا تحجير لسعة رحمة الله، وهي مضمونها تدور حول قول النبي (ﷺ): "**بشروا ولا تنفروا**"، يقول احد الباحثين في حديثه عن ضرورة التخلق بالتبشير دون التنفير: "فلا يخفى ما في التبشير من سكون روحي لدى سماع الفرد له، ولو رجعنا إلى قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، لأدركنا أنه كان يبغى من يبشره

(1) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 462.

(2) صحيح البخاري: 891، رقم الحديث: 347.

برحمة الله في إمكان قبول توبته، فبانطلاقه إلى الراهب وسؤاله له: "هل من توبة"؟ أجاب الراهب بكلمة حطمت ما كان يتأمله في نيل رحمة الله "لا" فما كان منه إلا بطش بالراهب فكمل به مائه، فتحمل إذ ذاك إثم قتل مائة نفس، ولكن وجد هذا الرجل بغيته في جواب العالم "نعم" ولذا ينبغي على الفرد المسلم أن يقتدي بتوجيه النبي في التبشير وعدم التنفير وما أحسنه من منهج"[1].

وقد استخرج العسقلاني من هذه القصة النبوية أموراً فقهية من بينها: "مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل الأنفس، ويحمل على أن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضى خصمه"[2].

وأن المفتي قد يجيب بالخطأ، وهذا يدل على فضل العالم على العابد في فهم النصوص في التشريع الإلهي، وفيه أيضا: إن الملائكة الموكلين ببني آدم يختلف اجتهادهم في حقهم بالنسبة إلى من يكتبونه مطيعاً أو عاصياً، وأنهم يختصون في ذلك حتى يقضي الله بينهم[3].

وقد جاء في الحديث النبوي تنبيهاً إلى قوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[الزمر:53] وقد جلى الطباق في هذه القصة من خلال الحوار الذي دار بين العابد الأول والقاتل من جهة وبين العالم والقاتل من جهة أخرى الحبكة في هذه القصة والذي أثر في تصاعد الحدث ومن ثم النزول إلى الحل بتخاصم الملائكة الموكلين والذي تجلت رحمة الله بسعتها في فض هذه الخصومة وأمره إلى الأرض من جهة قومه بالتباعد والأرض المقصودة بالتقارب لينتهي الحكم له بالغفران والرحمة.

(1) القصة في الحديث النبوي وأثرها في التربية (رسالة ماجستير)، 64.
(2) فتح الباري، 641/6.
(3) المصدر نفسه، 641/6.

ثانيا: الطباق في القصص التي حدثت في زمن البعثة النبوية:

قصة بداية الوحي:

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: {أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد– الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: "ما أنا بقارئ قال: "فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني"، فقال: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) [العلق:1–3]، فيرجع بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرجف بها فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) فقال "زملوني زملوني" فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة واخبرها الخبر: "لقد خشيت على نفسي".

فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، انك لتصل الرّحِم، وتحمل الكَلَّ، وتُكسب المعدوم، وتُقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق...}[1].

هذه القصة النبوية التي تتحدث عن بدأ الوحي اشتملت على ثلاثة طباقات الأول: بين "يخلو" و"يرجع" وهو إيهام التضاد إذ إن الخلوة لا تضاد بينها وبين "الرجوع" إلا أن الخلوة لا تأتي إلا بالبعد عن الناس والابتعاد عنهم ومن ثم الرجوع والعودة إليهم.

(1) صحيح بخاري، 66، رقم الحديث:3.

أما الطباق الثاني فهو من الطباق المعنوي بين "أخذني" و"أرسلني" فالأخذ بمعنى الضم والإرسال بمعنى الإطلاق[1]، أما الطباق الثالث فهو من طباق السلب بين "اقرأ" و "ما أنا بقارئ" لقد عمّت الدنيا قبل بعثة محمد (ﷺ) حيرة وبؤس، ناءت بها الكواهل فشاء الله- تعالى- أن ينتشل البشرية برحمة من عنده وليسوقن هدايته الكبرى إلى الأنام فأرسل إلى العالمين نبيه محمداً، فكان أول ما أوتي من بشارات النبوة الرؤيا الصالحة، وهكذا حال الأنبياء، يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني ناقلاً قول علقمة بن قيس- صاحب ابن مسعود-: "إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد في اليقظة"[2].

وبعد مرور المقام الأول بالنبي (ﷺ) حبب إليه الخلوة فكان يخلو بغار حراء - وهو جبل معروف بمكة وفي يوم سعيد وبينما هو في الغار، اتصلت السماء بالأرض، وهبط عليه أمين الوحي جبريل بأول آيات القرآن: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) فكانت هذه اللحظات التي مدت بهذه الأرض في تأريخ البشرية جميعاً، اللحظة التي تكرم الله- جل جلاله- على هذه الخليقة القابعة في ركن من أركان هذا الكون لا يكاد يمثل شيئاً منه- إلا أنه كله مسخر لهذا الإنسان- فاختار منها رسولاً يكون ملتقى النور الإلهي ومستودع حكمته، ومهبط وحيه وممثل قدره الذي يريده الله تعالى بهذه الخليقة[3].

إن المحاورة التي جرت بين النبي (ﷺ) وبين جبريل (عليه السلام) والتي تكرر فيها الطباق من خلال الأمر بالقراءة ونفي النبي أن يكون قارئاً يحسن القراءة، يأتي بعدها كلام الله تعالى للحكم فيها بقوله (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)، "أي لا تقرؤه بقوتك ولا

(1) صحيح قصص الرسول (صلى الله عليه وسلم)، 54/1.

(2) فتح الباري: 9/1.

(3) ينظر: صحيح قصص الرسول (ﷺ): 59.

يمعرفتك، ولكن بحول ربك وإعانته فهو يعلمك، كما خلقك، وكما نزع عنك علق الدم وغمز الشيطان في الصغر، وعلم أمتك بعد أن كانت أمية"[1].

أما شخصيات القصة فهي النبي (ﷺ) وجبريل (عليه السلام) وخديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) وورقة بن نوفل، وهذه القصة كما غيرها من القصص النبوي لا تقوم على الخيال، بل "هي خبر صادق يردف صدق الخبر القرآني، فلا جنوح إلى خيال شارد، ولا تلوين كاذب للوقائع"[2] وهذه الشخصيات من الواقع المحسوس فاعلة في الحدث الذي نقل نقلاً أميناً من أمين في أهل الأرض وأهل السماء، بأسلوب يواكب الدعوة الإسلامية وترسيخ المبادئ العقائدية والفقهية فكان بحق معلم البشرية الأول، "فنظرة يسيرة إلى ما كانت عليه البشرية قبل بعثته وما أصبحت عليه بعد رسالته، تعطينا أوضح شاهد ودليل على ذلك"[3]، أليس هو القائل (ﷺ): "**إن الله لم يبعثني متعنتا[4]، ولكن بعثني معلماً ميسراً**"[5].

وهذا الحديث الذي انطوى تحته قصة بدء الوحي، "وهو الأساس الذي يترتب عليه جميع حقائق الدين وتشريعاته، وفهمه، واليقين به، هما المدخل الذي لا بد منه إلى اليقين بسائر ما جاء به النبي (ﷺ) من أخبار غيبية، وأوامر تشريعية، ذلك لأن حقيقة (الوحي) هي الفيصل الوحيد بين الإنسان الذي يفكر من عنده، ويشرع برأيه وعقله، وبين الإنسان الذي يبلغ عن ربه دون أن يغير أو ينقص أو يزيد"[6].

---

(1) فتح الباري: 29/1.

(2) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 729.

(3) الرسول المعلم (صلى الله عليه وسلم) وأساليبه في التعليم: 13.

(4) العنت: وهو المشقة، والأذى، ينظر:كتاب العين:685

(5) صحيح مسلم بشرح النووي: 81/10.

(6) فقه السيرة النبوية: 63.

فهذه القصة تمثل الدرس الأول الذي بدأ تعلميه للخليقة، من هذه اللحظة يبدأ منبع يقين للمسلمين وإيمانهم بما جاء به محمد (ﷺ) من عند الله تعالى[1].

تكرر الطباق في هذين الحديثين الشريفين الذين عرضا في هذا البحث؛ لاشتمال أحدهما على ما لا يشتمل عليه الآخر، حيث استفتح بذكر الطباق الأول في مقدمة الحديث، وهو متمثل بين "نزل" و"عرج" وبين "ففرج صدري" و"أطبقه" حيث حدثت هذه الأمور في بيت النبي (ﷺ) قبل بداية المسير في العروج إلى السماء، فالنبي (ﷺ) يصف لنا بداية هذه الرحلة فيستعرض المواقف والقيم والشخصيات وجميع الأمور التي ينضج بها الحدث بكل أبعاده ومراحله المختلفة فتأتي كل مرحلة بدورها المطلوب بشكل كامل وصولاً إلى الحدث العام[2]، هذا الحدث الذي يتمثل في الرحلة إلى السماء على دابة "فوق" الحمار "دون" البغل، يضع حافز عند منتهى طرفه.. حتى إذا ما وصلا السماء الدنيا وسألهم خازنها عن المستفتح فأجابه بأنه جبريل معه محمد (ﷺ) سأله "أأرسل إليه"؟ وهو دليل على أن أهل السماء كانوا على علم باسمه ورسالته إلا أنهم لم يكونوا يعلمون بزمان بعثته قبل وصوله إلى السماء وهذا الحال في السموات السبع جميعها[3].

ثم يأتي وصف لقاءه (ﷺ) بالأنبياء (عليهم السلام) وبيان مراتبهم في العلو، فهو (ﷺ) يلتقي بأبي البشر "آدم" عليه السلام الذي تلقى النبي بالتحية "مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح" يقول العسقلاني: "قيل اقتصر الأنبياء على وصفه بهذه الصفة وتواردوا عليها؛ لأن الصلاح صفة تشتمل خلال الخير، ولذلك كررها كل منهم عن كل صفة، والصالح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق

(1) ينظر:فقه السيرة النبوية: 63..

(2) ينظر: الوصف في القصة القرآنية: 101.

(3) ينظر: فتح الباري: 250/7.

العباد، فمن ثم كانت كلمة جامعة لمعاني الخير، وفي قول آدم "بالابن الصالح" إشارة إلى افتخاره بأبوة النبي (ﷺ)"[1].

ويأتي الطباق الآخر الذي يبين أمر غيبي وهو حال نبي الله وأبو البشر "آدم" عليه السلام الذي تكتنفه حالة العطف والحنان الأبوي الذي يتمثل "بالضحك" تارة وبـ"البكاء"تارة أخرى، لعلمه بما يؤول إليه مصير أبناءه الذين عن "شماله""فيبكي" حزناً على ما فرطوا في جنب الله حتى استحقوا "النار"، وإذا نظر عن "يمينه" "يضحك" فرحاً بنجاة هؤلاء الأولاد من ما آل إليه مصير أولئك الأشقياء، وبما نالوا من الرحمة والرضوان من عند الله فكانوا من أصحاب اليمين، قال تعالى: (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ) [الواقعة: 35–40]، وقال تعالى: (وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) [الواقعة: 89–91]، أما أصحاب الشمال فقد وصف القرآن الكريم حالهم في قوله تعالى: (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ) [الواقعة: 41–44].

فمن علم من حال ولده هذين النزلين حق له أن يفرح لهؤلاء الذين سكنوا في عليين وأن يحزن على أولئك الذين أرواحهم في سجين[2]، والتي عبر عنها النبي (ﷺ) بـ "النسم" والتي تعني: "نفس الروح [يقال]: ما بها ذو نسم، أي: ذو روح"[3].

وقد يستشكل على البعض وجود الأنبياء الذين لقيهم النبي (ﷺ) في السموات مع أن أجسادهم في الأرض، فقد أجاب سيد قطب– رحمة الله– عن هذا التساؤل بقوله: "والذين يدركون شيئاً من طبيعة القدرة الإلهية تتساوى جميع

(1) المصدر نفسه: 7/251.

(2) اقتباس من قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) وقوله تعالى: (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ) [المطففين: 7، 18].

(3) العين: حروف(النون)، باب (نسم)، 958.

الأعمال التي تبدو في نظر الإنسان وبالقياس إلى قدرته وإلى تصوره متفاوتة السهولة والصعوبة، حسب ما اعتاده وما رآه والمعتاد المرئي في عالم البشر ليس هو الحكم في تقدير الأمور بالقياس إلى قدرة الله.

أما طبيعة النبوة فهي اتصال بالملأ الأعلى- على غير قياس أو عادة لبقية البشر- وهذه التجلية لمكان بعيد أو عالم بعيد والوصول إليه بوسيلة معلومة أو مجهولة ليست أغرب من الاتصال بالملأ الأعلى والتلقي عنه، وقد وصدق أبو بكر (رضي الله عنه) وهو يرد المسألة المستغربة عند القوم إلى بساطتها فيقول: إني لأصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء"[1].

هذه الأخبار من السماء التي يسوقها الحديث النبوي الشريف تبين دقة الملاحظة وتمام التدقيق في كل ما يواجهه ليروى بتفاصيله بدقة عالية حتى أنه (ﷺ) ليصف "نبق"[2]، سدرة المنتهى وأوراقها وتستمر هذه الدقة في الاستكشاف الذي يبينه الطباق بين طبيعة الأنهار في الجنة "نهران ظاهران" و"نهران باطنان"، ولا يترك هذه المشاهد تمر دون أن يعلم ما هذان، ومن هذا، في سلوك المتعلم المحقق، فلم يشغل نفسه بالحفاوة والتكريم في هذه الرحلة- وإن كانت من نعم الله تعالى عليه- التي تستحق الشكر والامتنان، إلا أن ذلك لم يشغله بقدر ما شغله موضوع التعلم، لأنه يعلم أن مسؤوليته تحتم عليه أن يعلم أمة ليس لها معلم من بعده من بني جنسهم- ولكن يبقى تعليم الله للناس على مر العصور لقوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) [البقرة: 282] فكان علمه في هذه الرحلة إلى العالم الأعلى، والذي علمه لأصحابه بأسلوب الحوار والمسائلة؛ لأن المحاورة تفتح انقفال الذهن[3].

---

(1) في ظلال القرآن الكريم: 2211/4.

(2) قال القسطلاني في قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "وإذا نبقها أي: ثمرتها والنبق ثمرة السدر، واحدها نبقة بالفتح وبالكسر أيضا ويسكن"، من هدي الساري، شرح صحيح البخاري، وهو هامش على كتاب صحيح البخاري، 997.

(3) ينظر: الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، 92.

- جاء في هدي الساري: 997،" قوله: (شوك السعدان) هو نبت ذو شوك من أحسن مراعي الإبل.
- (قوله امتحشوا) بضم المثناة وكسر الحاء على ما لم يسم فاعله وضبطه الأصلي بفتحها، يقال: محشته النهار، أي: حرقته والمحش: احتراق الجلد وظهور العظم.
- قوله (حميل السيل) هو ما يجئ به السيل من طين وغيره.
- قول (قشبني ريحها)؛ أي: ملأ خياشيمي، والقشب الشم ويطلق على الإصابة بكل مكروه".

وجل الله تعالى القائل: (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) [النجم: 5–18].

ثالثا: الطباق في القصة المستقبلية (الغيبية)

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن الناس سألوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال "هل تمارون في القمر ليلة البدر، ليس دون سحابٌ" قالوا: لا يا رسول الله، قال: "فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب"؟ قالوا: لا، قال: "فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتهم الله، فيقول: انا ربكم، فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: إنا ربكم،فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب، مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان"؟ قالوا: نعم، قال: "فإنها مثل شوك السعدان، غير انه لا يعلم قدره عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من اهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار ان تأكل اثار السجود، فيخرجون من النار، قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة، مقبل بوجهه قبل النار، فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار، وقد ريحها واحرقني ذكاؤها، فيقول: هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟

فيقول: لا وعزتك، فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل، به على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة، فيقول الله: أليس قد أعطيت العهود والميثاق ان لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول: يا رب لا أكون اشقى خلقك، فيقول فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره؟ فيقول: لا، وعزتك، لا أسال غير ذلك، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابيها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أ، يسكت، فيقول: يا رب أدخلني الجنة، فيقول الله، ويحك يا ابن آدم، ما أغدرك، أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت، فيقول: يا رب لا تجعلني اشقى خلقك، فيضحك الله عز وجل منه، ثم يأذن له في دخول الجنة فيقول: تمن، فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله عز وجل: زد من كذ أو كذا، اقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأماني، قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه"[1].

يتركز الطباق في هذه القصة النبوية بين الأفعال "يتبع" و"يبقى" وبين الاسمين "الجنة" و"النار" ثم يأتي الطباق بين الأفعال من جديد، بين "تسأل" و"لا أسأل" وبين: "يتمن" و"انقطعت أمنيته".

هذه القصة النبوية تصور بعض من مشاهد يوم القيامة، بداء النبي (ﷺ) بالإجابة على سؤال سأله الناس– "هل نرى ربنا يوم القيامة"؟ فلم يكن الجواب مباشراً بأن يكون "نعم" ويسكت وإنما جاء الجواب بطريقة تستجلب الانتباه، وهي عينها التي أوردها الناس في طرح السؤال– وهي طريقة "الاستجواب" والتي ضمنها ضرب المثل الذي يأتي لتقريب الفهم[2]، إذ إنه (ﷺ) لما رأى منهم الاستعداد النفسي والذهني للتعلم بدأ حديثه بالحوار والمسائلة، لتقريب الصورة إليهم من خلال

(1) صحيح بخاري، 257، رقم الحديث: 806

- جاء في هدي الساري: 257، قوله (بهجتها): اي: حسنها.

- وقوله (ويحك): ويح: هي كلمة تقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقها، قال الحسن: ويح كلمة رحمة.

(2) ينظر: الرسول المعلم وأساليبه في التعليم: هامش: 144.

استفهامه منهم "هل تمارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب"، "هل تمارون في رؤية القمر بدراً ليس دونه سحاب"، والجواب عن السؤالين حتما هو "لا" فهذه الأشياء محسوسة مدركة بالمشاهدة من الشمس في كل يوم ومن القمر في كل شهر في أيام عدة، فأتى التمثيل هو أنكم كما لا تمارون في رؤية هذه الأشياء المحسوسة في الدنيا فإنه لا مراء من أن تروا ربكم يوم القيامة بعد أن تموتوا.

ولما كان الأمر متعلق بيوم القيامة والناس في إقبال على طلب العلم ومعرفة الكيفية التي يكونون فيها ساعة يأتيهم ربهم– فيبدأ الوصف الممهد للحدث "الذي يستفيد من مختلف معطيات الحواس وأشكاله بغية تهيئة شعور القارئ بوقوع الأحداث وتقبلها بشكل لا يفاجئ– القارئ أو السامع مفاجئة غير متوقعة، بعد أن تهيئ طبيعة اللحظة الموالية، أو طبيعة الحدث القادم"[1].

هذا الحدث الذي يبرز فيه دور الطباق من خلال إبراز المتناقضات التي تفعّل الحدث وتقوّيه في رسم الصورة الكلية تسلسل الأحداث في هذه القصة النبوية التي تصور هذا المشهد من الحشر يوم القيامة وكيف تتبع كل أمة بأمر ربها ما كانت تعبد في الدنيا، فمن عبد الشمس تبعها ومن عبد القمر تبعه ومن عبد الطواغيت[2] "تبعهم" و"تبقى" هذه الأمة– فيها منافقيها– وهو من الاستطراد[3] – حيث انتقل من معنى آخر متصل به لمناسبة[4]، ومن ثم عاد إلى المعنى الأول وهو بقاء هذه الأمة منتظر في مكانها ليأتها ربها أول مرة فيستعيذون منه لأنه أتاهم في غير الهوية التي يعرفون[5]، ونقل العسقلاني قول القرطبي "هو مقام هائل يمتحن الله به عباده ليميز الخبيث من الطيب، وذلك أنه لما بقي المنافقون مختلطين بالمؤمنين زاعمين أنهم منهم ظانين أن ذلك يجوز في ذلك الوقت كما جاز في الدنيا امتحنهم الله بان

(1) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم: 93.

(2) وظيفة الوصف في الرواية:39.

(3) الطواغيت: جمع طاغوت، جاء في كتاب العين: (الطاغوت) الكاهن، والشيطان، وكل رأس في الضلال: حرف الطاء، مادة طغا: 393.

(4) ينظر: علم البديع، فيود: 220.

(5) ورد هذا المعنى في الحديث رقم: 6573 من صحيح البخاري.

أتاهم بصورة هائلة قالت للجميع أنا ربكم، فأجابه المؤمنون بإنكار ذلك لما سبق لهم من معرفته سبحانه وأنه منزه عن صفات هذه الصورة، فلهذا قالوا نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً، حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب فيوافق المنافقين.

قال: وهؤلاء طائفة لم يكن لهم رسوخ بين العلماء ولعلهم الذين اعتقدوا الحق وحوموا حوله من غير بصيرة، قال: ثم يقال بعد ذلك للمؤمنين هل بينكم وبينه علامة؟ قلت – يعني العسقلاني– وهذه زيادة في حديث أبي سعيد ولفظه "آية تعرفونها فيقولون الساق، فيكشف عن ساقه؛ فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيصير ظهره طبقاً واحداً، أي يستوي فقار ظهره فلا ينثني للسجود"[1].

ثم ينصب الصراط بين ظهراني جهنم– وهو جسر على متن جهنم–جاء في وصفه على لسان الفضيل بن عياض، على ما نقل العسقلاني قوله "بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر آلاف سنة: خمسة آلاف صعوداً وخمسة آلاف هبوطاً وخمسة آلاف مستوى أدق من الشعرة واحد من السيف على متن جهنم، لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله"[2].

فيكون النبي (ﷺ) أول من يمضي على الصراط ويقطعه، "ولا يتكلم" يومئذ احد من الناس (وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) [طه: من الآية: 108] إلا الرسل "وكلام" الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم، يقول احد الباحثين: "في الجملة محذوف تقديره "أنت" (سلم أنت سلم أنت سلم أنت) فالجملة دعاء والأمر يفيد الوجوب والإلزام إذا صدر من أعلى إلى أدنى أما في مثل هذه الجملة فانه يفيد الدعاء كونه صادر من أدنى إلى أعلى[3]، وكأنه (ﷺ) يبين في هذه الجملة من التوكيد اللفظي– أن الرسل ليس لديهم إلا الدعاء إلى الله بأن يسلم عباده من

(1) فتح الباري؛11/501.

(2) فتح الباري؛ 11/504.

(3) التوكيد اللفظي في صحيح البخاري (رسالة ماجستير)؛ 40، وينظر: البلاغة الاصطلاحية؛ 155.

هذه الأهوال التي يلاقون، ومن بين هذه الأهوال- زيادة عن الظلمة ودقة الصراط، ومزحلقاته وطوله- الكلاليب التي يصفها النبي بقوله: "كلاليب مثل شوك السعدان" ليزداد تفاعلهم مع القصة وليوضح لهم عن طريق التكرار أشكال هذه الكلاليب- تقريب الصورة من المعقول إلى المحسوس، يقول احد الباحثين: "أن انس النفوس موقف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما لا يعلم بالاضطرار والطبع؛ لأن، العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع على حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام"[1].

وهذه من بلاغة التشبيه في الحديث النبوي الشريف إذ مثّل هذه الكلاليب بشوك السعدان، والذي كان يكثر في أرضهم ترعي عليه الإبل حتى أن المبرد أورد للفضل بن جعفر أبياتا في ذكر هذه الأشواك، فقال:[2]

يا وزراء السلطان	انتم وآل خاقان
كبعض ما روينا	في سالفات الأزمان
ماء ولا كصدى	مرعى ولا كالسعدان

فقول النبي (ﷺ): "أما رأيتم شوك السعدان"، "هو استفهام تقريري لاستحضار الصورة المذكورة"[3].

قال العسقلاني: "ولابن المبارك عن مرسل عبيد بن عمير: "إن الصراط مثل السيف ويجنبه كلاليب، إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر"[4]، إلا

(1) التشبيه في الحديث النبوي الشريف (رسالة ماجستير): 33.
(2) الكامل في اللغة والأدب: 58.
(3) فتح الباري: 504.
(4) المصدر نفسه: 504.

أن تعبير النبي (ﷺ) لا يتقدم عليه قول- فانه لا يعلم عظم هذه الكلاليب إلا الله، حتى وإن وصف عظمها من وصف، هذه الكلاليب هي التي تأخذ الناس فتوقعهم في جهنم بأعمالهم التي كانوا يعملون في الدنيا، إن هذه القصة النبوية يندرج تحت مضمونها أحاديث نبوية كثيرة جاءت متفرقة في كتب الحديث في أبواب كثيرة، والتي تبين هول يوم القيامة ومن ثم هول جهنم وما فيها من ألوان العذاب لمن حاد الله ورسوله ومن ظلم نفسه بشرك وتعدٍّ لحدود رب العالمين من غير أن يتوب منها قبل الموت، وهؤلاء حتماً هم الذين أشار إليهم النبي (ﷺ): "**فمنهم من يوبق**[1] **بعمله، ومنهم من يخردل ومنهم من ينجو بلا خدش**"، ونقل العسقلاني عن أبي جمرة: "ويؤخذ منه أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف: ناج بلا خدش، وهالك من أول وهلة، ومتوسط بينهما يصاب ثم ينجو، وكل قسم منهم ينقسم أقساما تعرف بقوله "بقدر أعمالهم"[2]، وهنا يقرر الطباق المعنوي بين المختلفين في الاسمية والفعلية، الفصل بين الفريقين "الموبق" و"ينجو"، يوم أن يسلب الله المنافقين نورهم فيقولوا للمؤمنين (انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ) [الحديد: من آية: 13] فيأتيهم النداء: (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) [الحديد: من آية 13] فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور بينهم فلا يجدون شيئاً، فيضرب بينهم بسور.

والواضح في جمال هذه القصة النبوية أن جزئياته مرتبط بأسلوب التعاقب والقص، هذا التعاقب يبدو جليا في ابتداءات النبي (ﷺ) في بداية الحديث وفي وسطه بـ"هل" وكذلك بدلالة الابتداء على الانتقال إلى مشهد آخر من مشاهد القصة، ليبين لنا مشهد من مشاهد رحمة الله ولطفه بعباده بعد هذه الأهوال، وذلك بقوله "**حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة السجود وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر**

(1) الموبق ويوبق بمعنى الهلاك: ينظر: فتح الباري: 505/11.

(2) فتح الباري: 505/11.

السجود فيخرجونهم قد امتجشوا فيصب عليهم ماء يقال له: ماء الحياة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل..".

فقد استخدم النبي (ﷺ) أسلوب التجسيم في هذه العبارات الغيبية؛ لأجل تقريبها من المدارك البشرية، ويرى سيد قطب أن اللغة الأدبية التي تستخدم التجسيم تتسم بزيادة في الفعالية في موضوعها، لأنها تستحوذ على الإنسان من منافذ متعددة، وتدخل عليه من أبواب عريضة، يقول مفرقاً بين اللغة التقريبية والانحرافية: "إن المعاني في الطريقة الأولى تخاطب الذهن والوعي وتصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة، وفي الطريقة الثانية تخاطب الحس والوجدان وتصل إلى النفس من منافذ شتى: من الحواس بالتخيل والإيقاع، ومن الحس عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأضواء والأصداء، ويكون الذهن منفذاً واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس، لا منفذها المنفرد الوحيد"[1].

هذه اللغة التصويرية الموحية التي تدعم صدق الخبر والمخبر، في إبراز قواعد الدين في تشريعه وفقهه[2]، والتي ندرج تحتها الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، التي ترغب في عمل الخير وترهب من عاقبة الإضاعة والتفريط في ما أمر الله به ورسوله، فعن انس (رضي الله عنه) قال: (ما خطبنا رسول الله (ﷺ) إلا قال:" **لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له**"[3].

فمن ضيع ايمانه وعهده فقد ضيع نفسه في هذا اليوم والمشهد العظيمين، ومن أبطأ به عمله في ذلك الموقف في العبور على الصراط لم يسرع به نسبه، قال تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) [التحريم: 10]، وكذا حال

(1) النقد الأدبي: 134.

(2) ينظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 415.

(3) سند الإمام احمد: 135/3.

الكثير ممن لم ينفعه قربه ونسبه من الصالحين، حتى إن البعض من الذين يحبون على الصراط في ترنح ويطئ فيقول: "يا رب لما ابطأت بي؟ فيقول: ابطأ بك عملك"[1].

وأما الخروج من النار فإنما يكون برحمة الله ولذلك عبر النبي (ﷺ) عن ذلك بقوله: {"وأراد أن يخرج من النار من أراد، فيأمر الله تعالى الملائكة بإخراجهم"، ودليلهم في معرفتهم هو مواضع السجود،" فيخرجونهم وقد "امتحشوا" أي "احترقوا"}[2]، وفيه طباق خفي بينه وبين "ينبتون" إذ إن هذا الاحتراق الذي في جهنم فلا يقضي عليهم فيموتوا، هو في دلالته أصعب وأقسى واقع من أن يقع عليه فعل الموت- إلا أنهم لم يموتوا الموت المعروف الذي يفقد الجسم إحساسه لأجل أن يذوقوا العذاب، لذا عبر النبي (ﷺ) عن حالهم بأنهم امتحشوا ولم يقل ماتوا فالحياة بمعنى الإحساس لا تزال فيهم فهي حال متأرجحة بين الحياة والموت: قال تعالى: (ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا) [الأعلى: 13]، ولذا قال النبي (ﷺ) عندما وصف صب الماء عليهم فقال "فينبتون" أي تنبت منهم الأجساد التي احترقت من جديد ولا يستلزم ذلك أن يبعثوا من القبور في أول النشور وإنما ذلك إعادة بناء الأجساد فقط لوجود الأرواح فيه والله تعالى أعلم.

يقول الدكتور احمد ياسوف: "والقصة النبوية وسيلة تصوير يغلب أن تكون محافظة على التسلسل الزماني والمكاني، كما يكون في فن الخيالة "السينما" فنجد الافتتاحية والعقدة والحل، ويتخلل هذه النقاط مشاهد توازي فن الرسم، وتتجاوز بذاتها بإبراز الأفكار، وهي لوحة لأنها أقوى ما تكون من التماسك، فلا يستغني عن عنصر فيها، بل الانتباه مستفز مثار من أولها إلى آخرها، شأن التصوير، والفن

---

(1) فتح الباري: 503/11.

(2) ينظر المصدر نفسه: 508/11.

النبوي كله، فالتفاعل فيها بين العناصر ضروري حتى تتم اللذة، ويتوج بها النص في الخاتمة"[1].

وهذا التصوير المحافظ على التسلسل الزماني والمكاني هو ما يجده الدارس لهذا الحديث الشريف من خلال ملاحظته كيفية الانتقال من مشهد إلى آخر في نسق مشوق وتسلسل مريح يحافظ على الانتقال في هدوء، وعلى توالي الأحداث بنسق يستفز الانتباه، ومن هذه المشاهد مشهد آخر رجل يخرج من النار- كما عبر عن ذلك الحديث الشريف: "ويبقى رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة مقبل بوجهه قبل النار" ليبدأ الحوار بينه وبين رب العالمين، هذا الحوار الذي يقوم على التلطف من قبل الحق- جل وعلا- وبين الطمع في كشف الضر ونيل السعادة الأبدية بعد هذا العذاب الطويل لهذا الرجل، حيث وظف الطباق في المقارنة بين هول "النار" والتوق إلى نيل نعيم "الجنة" فأول دعاء دعاه هذا الرجل وهو أن "يصرف" الله وجهه عن النار بعد أن كان "مقبلاً" بوجهه قبلها وهو من الطباق المعنوي إذ إن صرف الوجه عن النار يحمل معنى "الأدبار" الذي هو ضد "الإقبال"، إذ إنه وإن كان قد خرج من قعر النار إلا أنه لا يزال مشركاً مع من في داخلها في العذاب مع الفارق في الشدة[2]- وهو ما عبر عنه بقوله "فقد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤها"[3]، وهو كناية عن شدة اتقادها ولهيبها وشررها، فتكون أقصى أمنيته أن يصرف وجهه عن النار، ثم ترتفع له شجرة فيقول ربي أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها، فقول الله تعالى لعلي إن أعطيتك تسألني غيرها فيقول: لا يا رب ويعاهد أن لا يسأل غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا أصبر له عليه[4].

---

(1) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 733.

(2) ينظر فتح الباري: 11/ 510.

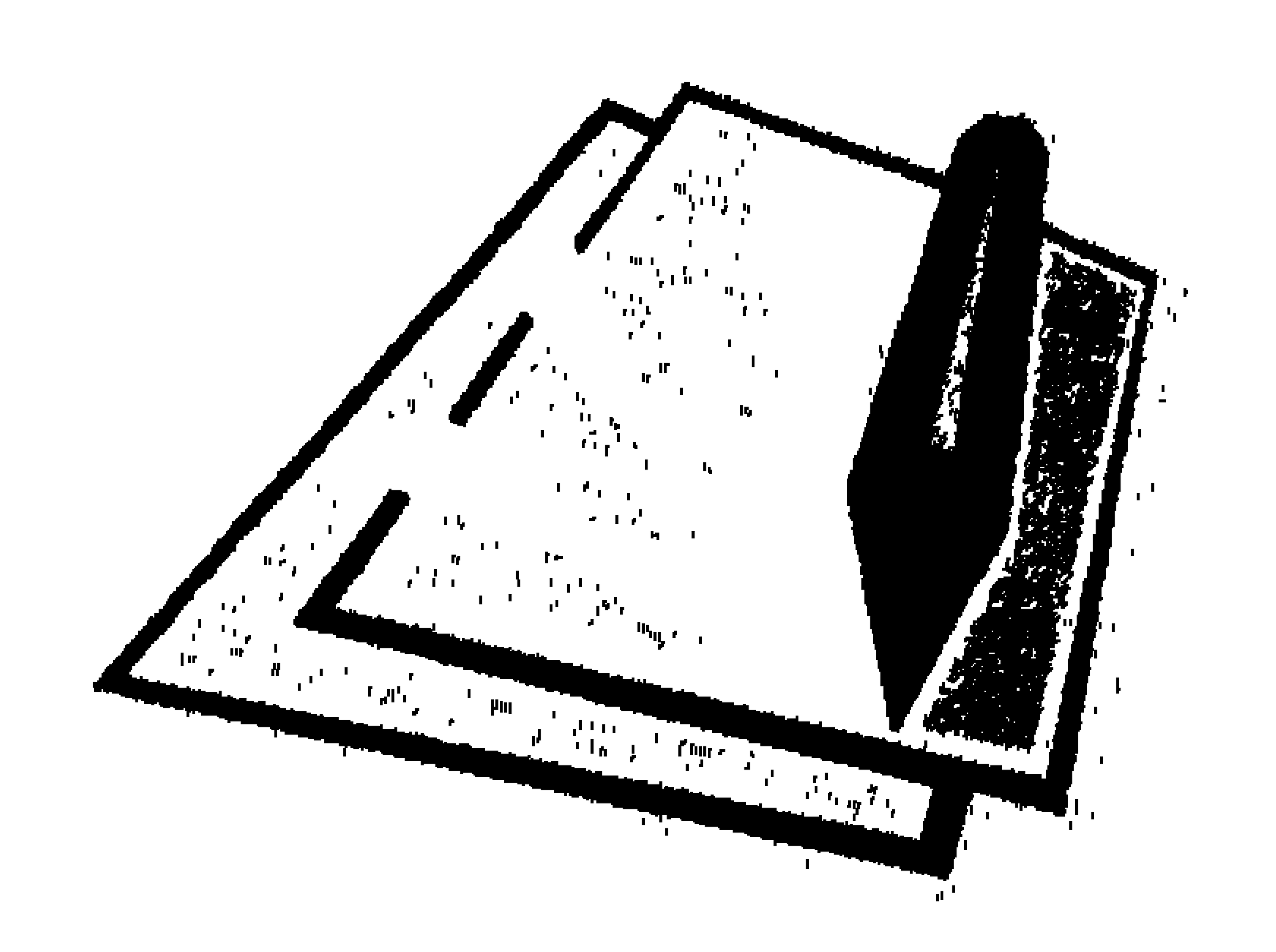
(3) جاء في كتاب العين: حرف (القاف) مادة قشب: 789، إن القشب: خلط السم بالطعام/ أما ذكاؤها فهو بمعنى الاتقاد بمعنى أذكيت الحرب: أو قدرتها، العين، حرف "الذال" مادة "ذكو": 320.

(4) ينظر: فتح الباري: 11/511.

وقد أبرز الطباق هذا التلطف من الله وهذا الإلحاح من العبد في أنه يعطي العهود والمواثيق بان لا يسأل ثم بعد أن "يسكت" ما شاء الله له أن يسكت "يقول" حتى ينتهي به السؤال إلى طلب دخول الجنة لما يرى من "بهجتها ونضارتها وطيب ريحها"، فأين هي من "قشب جهنم ودخانها وخبثها" حتى أن ربه يعاتبه بقوله ما أغدرك يا ابن آدم– فيلح العبد بقوله: "رب لا تجعلني أشقى خلقك"، يقول العسقلاني: "المراد هنا بالخلق كل من دخل الجنة، فهو لفظ عام أريد به خاص، ومراده أنه يصير إذا استمر خارجاً عن الجنة أشقاهم، وكونه أشقاهم ظاهر لو استمر خارج الجنة وهم بداخلها[1].

(1) المصدر نفسه، 511/11.

الفصل الرابع



* المبحث الأول.

* المبحث الثاني.

الطباق المعنوي

تناول العلماء هذا النوع من الطباق بالتعريف، ومنهم من اكتفى بالإشارة ويتناول الباحث بعضاً من هذه التعريفات والإشارات وهي فيما يبدو متقاربة في معناها جداً ولا تحتاج إلى تعليق أو تذييل، بل إن ألفاظها تكاد تكون موحدة وهاك تعاريفهم لهذا النوع من البديع وفق التسلسل الزمني لوفيات العلماء لغرض إرجاع الفضل لمن تقدم منهم بإيجاز.

- عرفه ابن أبي الإصبع المصري بأنه: "ما كان الطباق فيه بين الشيء وضده في المعنى لا اللفظ"[1].
- وعرفه العلوي بقوله: "مقابلة الشيء بضده من جهة معناه دون لفظه"[2].
- وعرفه ابن رشيق القيرواني بقوله: "المطابقة في الكلام: أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه"[3] أما الذين اكتفوا بالإشارة من البلاغيين، منهم ابن الأثير فقد ذكر المقابلة بالمعنى دون اللفظ[4]، وحازم القرطاجني الذي أطلق عليه تسمية المقابلة غير المحضة، التضاد بغير اللفظ الصريح[5]، وكذلك القزويني قسمه إلى نوعين: الظاهر وعنى به اللفظي وقصد به المعنوي[6].

وألحق العلماء المتأخرون من أهل البلاغة بهذا النوع من الطباق ما يجمع بين معنيين غير متقابلين ولا يستلزم ما أريد ما يقابل الأخر، ولكن عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان[7].

(1) تحرير التحبير: 115.
(2) الطراز: 385.
(3) العمدة: 5.
(4) المثل السائر: 151/3.
(5) ينظر: منهاج البلغاء: 49 – 50.
(6) ينظر: الإيضاح: 336، التخليص: 350، شرح مواهب الفتاح: 475.
(7)ينظر: شرح مواهب الفتاح: 476.

ومن الجدير بالذكر أن العلماء المتقدمين كان لهم فضل عناية بهذا النوع الذي اصطلح على تسميته فيما بعد بـ (الطباق الخفي) الذي يتدرج ضمن الطباق المعنوي فقد ركز عبد العزيز الجرجاني الحديث عليه وجعل أشهر أقسامه وأحسنها عنده الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان"[1].

وكذلك فعل القزويني، بقول دعبل الخزاعي[2]:

لا تعجبي يا سلم من رجلٍ ضحك المشيب برأسه فبكى

يقول المغربي (ت 1128 هـ): أي: "فبكى ذلك الرجل من مفارقة ألوان لذات الشيب وتذكر عوارض الشيب و(سلم) منادى مرخم... فقد جمع بين الضحك والبكاء والمراد هو ظهور المشيب من باب التعبير بالازم عن الملزوم؛ لأن الضحك الذي هو هيئة للفم من ابتداء حركة وانتهاء إلى شكل مخصوص يستلزم عادة ظهور البياض، أني بياض الأسنان، فعبر به عن مطلق ظهور البياض في ضمن الفعل، فكان فيه تبعية المجاز، ويحتمل أن يكون شبه حدوث الشيب بالرأس بالضحك بجامع أن كل منهما معه وجود بعد خفائه في آخر، ثم قدر استعارة لفظ الضحك لذلك الحدوث، وعبر عنه بافعليه يكون ضحك استعارة تبعية، ويكون المراد بالمشيب موضع الشعر من الرأس وعلى كل تقدير فالمراد بالضحك والبكاء باعتبار معنييهما الأصليين"[3].

وهناك رأي يقارب هذا الرأي في قول الشاعر (ضحك المشيب برأسه) فبكى (ضحك) استعارة تصريحية تبعية نقول في إجرائها: شبه ظهور بياض الشيب بالضحك بجامع البياض في كل منهما، فحذف المشبه وأبقى في الكلام لازمة من

(1) الوساطة: 44.
(2) ديوان دعبل الخزاعي: 20.
(3) شرح مواهب الفتاح: 476– 477.

لوازمه تدل عليه وهي لفظة (المشيب) قرينة لفظية مانعة من إرادة المعنى الأصلي في الضحك، واشتق من الضحك (ضحك)، فالاستعارة تصريحية تبعية – قلنا تصريحية لأن المشبه به موجود ومصرح به، وقلنا تبعية لان الاستعارة جرت في الفعل[1].

"إن الكناية الكائنة في التدبيج يصح أن يراد بها معناها الأصلي فيضادد مقابله أما إيهام التضاد فلا يصح فيه معناه الأصلي"[2].

(1) ينظر: أساليب المجاز في القران الكريم:226.

(2) شرح مواهب الفتاح:477.

المبحث الأول

الطباق المعنوي الظاهر التركيبي:

وهو الطباق الحاصل من مقابلة تركيب بتركيب آخر يضادده ومنه في الحديث الشريف:

ما جاء في البخاري عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: دخل النبي (ﷺ) فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: "**ما هذا الحبل**" قالو: هذا حبل لزينب فإذا افترت تعلقت، فقال النبي (ﷺ): "**لا، حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد**"[1].

لم يدع النبي (ﷺ) باباً من أبواب التكلف في العبادة إلا نهى عنه وحذر منه فجاء النهي النبوي في بداية الحديث من بعد أن استفهم عن سبب ربط الحبل بين الساريتين فلما عرف السبب بادر إلى النهي عن مثل هذا الفعل المفضي إلى الملل كما نقل العسقلاني عن ابن بطال قوله: "إنما يكره ذلك خشية الملال المفضي إلى ترك العبادة"[2].

فقد جاء الطباق المعنوي الظاهر بين التركيبين: (**ليصل أحدكم نشاطه**) و(**فإذا فتر فليقعد**) فالفتور هنا بمعنى الكسل والتعب عن القيام في الصلاة، لذا جاء الأمر الثاني بالقعود أو بترك ما كان عزم عليه من التنقل وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها والأمر بالإقبال عليها بنشاط[3]، ويعضد هذا المعنى الحديث الشريف الذي نبه فيه المرأة التي كانت تذكر من

---

(1) صحيح البخاري، 333، رقم الحديث: 1150.

(2) فتح الباري: 3/ 42.

(3) ينظر المصدر السابق: 3/43.

صلاتها عند أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) فقال: **"مه عليكم ما تطيقون من الأعمال فإن الله لا يمل حتى تملوا"**[1].

إن هذه الأحاديث النبوية الشريفة لتنبئ في نظم كلامها على خوف المتكلم عليهم، النصح لهم وحرصه على سلامتهم، حتى جعل ما يضر بهم كأنه يضر به، فهو يخافه كما يخافون على أنفسهم؛ فكان دائم الحث لهم على أن يأتوا من الأعمال ما يطيقون وينهاهم عن التكلف ويوجههم على أن الدين شديد ويجب الإيغال فيه برفق[2] ومن الأحاديث النبوية التي جاءت بأسلوب الطباق المعنوي الظاهر "التركيبي" قول النبي (ﷺ): **"من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فإن أمر؛ الله وعدل فإن له بذلك أجر وإن قال بغيره فإن عليه منه"**[3].

تعدد الطباق في هذا الحديث النبوي الشريف فكان الطباق الأول بين "الطاعة" والترابط بين طاعة الأمير، وتعلق هذه الطاعة بطاعة رسول الله (ﷺ)، إلا ن الذي نريد إبرازه وتبيانه من الحديث هو الطباق المعنوي الظاهر الذي جاء صيغة التركيب والواقع بين التركيبين **"فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك جر" و"إن قال بغيره فإن عليه منه"**.

يقول الإمام الغزالي – رحمه الله –: "من المعلوم الجلي، أن بقاء النوع لإنساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الأعمال ورح المعاملة والمعاوضة، ناختل نظام المعيشة وأقضى بنوع الإنسان إلى الفناء العاجل"[4].

---

1) صحيح البخاري، 333، رقم الحديث: 1151.
2) ينظر: التحرير والتنوير: 8/ 189.
3) صحيح البخاري: 761، رقم الحديث: 2957.
4) الأمانة في الحديث النبوي الشريف وأثرها في اصطلاح الفرد والمجتمع (رسالة ماجستير): 128.

إن الأمر بتقوى الله والعدل هو ما يجب أن يتوفر في من ولي شيأً من أمر المسلمين، فيعطي كل ذي حق حقه، وقد ركز النبي (ﷺ) على هذا الأمر في أحاديث كثيرة، منها قوله (ﷺ) **"ما من عبد يسترعيه الله رعيةً، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"**[1].

وكذلك في قوله (ﷺ): **"كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ وهو مسؤول عن رعيته..."**[2]

ومن خلال ما تقدم يتبين أن دائرة الأخلاق الإسلامية واسعة جداً فهي تشمل جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره، سواء أكان الغير فرداً أو جماعة أو دولة، فلا يخرج شيٌ عن دائرة الأخلاق ولزوم مراعاة معاني الأخلاق مما لا نجد له نظيراً في أية شريعة سماوية سابقة ولا في أية شريعة وضعية[3].

فالطاعة مرتبطة برباط الأخلاق، والعصيان مرتبط برباط الانحلال والانفلات والحياد عن المنهج القويم؛ ولهذا نرى كثيراً من الباحثين قد اتفقت كلمتهم في ضرورتها للفرد لصالح نفسه، ولمجتمعه، ومن قبل هؤلاء الباحثين أمر بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهي الفضائل الإنسانية الحقة التي أجمع دعاة الإصلاح في العالم على المناداة بها، والتي لو عمل بها الناس لحصلوا على أعظم الخير لعالمهم المضطرب[4].

وعلى هذا النسق وهذا المنوال جاء الطباق المعنوي "التركيبي" في إبراز النتيجة الحتمية التي تتحصل من خلال أفعال الإمام– الذي وصفه النبي (ﷺ) بأنه جنة– وهي الحماية والسترة، لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويكف أذى بعضهم

(1) صحيح البخاري، 1734، رقم الحديث: 7151.
(2) صحيح البخاري، 1732، رقم الحديث: 7138.
(3) ينظر: اصول الدعوة: 89– 90.
(4) ينظر: الأمانة في الحديث النبوي الشريف وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع (رسالة ماجستير): 203– 204.

عن بعض[1]، وبعدل الأئمة يتحقق مجتمع سعيد تسوده روح التعاون والخدمة، وترفرف عليه راية الحب والحق والخير إلى غير ذلك من المبادئ السامية التي تزيد المجتمع وحدة ومنعة، فهذا للمجتمع ولهم من ذلك العدل والأمر بالتقوى والعدل والأجر، أما ما كان بخلاف هذا الأمر والذي عبر عنه الحديث النبوي بـ"القول" والذي قال فيه العسقلاني: "إن التعبير عن الأمر بالقول لا إشكال منه، وقيل معنى: "قال" هنا حكم،.. وقوله: "فإنه عليه منه" أي وزراً وحذف في هذه الرواية على طريق الاكتفاء لدلالة مقابله عليه"[2]، يقول أحد الباحثين: "ويشيع حذف الخبر في أقوال النبي (ﷺ) في صحيح البخاري، ويقسم هذا الحذف على قسمين، الجواز والوجوب"[3].

ونرى هذا النوع من الطباق في الحديث النبوي الذي رواه البخاري من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): **"غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احسبها علينا فحسبت حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولاً فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا"**[4].

يحدث النبي (ﷺ) عن غزوة عزاها نبي من الأنبياء، هو يوشع بن نون كما رواه الحاكم من طريق كعب الأحبار وبين تسمية القرية التي هي بيت المقدس، وقد

(1) ينظر فتح الباري: 148/6.
(2) المصدر نفسه: 148/6.
(3) الحذف والتقدير في أقوال النبي (صلى الله عليه وسلم) في صحيح البخاري (رسالة ماجستير): 85- 86.
(4) صحيح البخاري، 799، رقم الحديث: 3124.

نقل ذلك العسقلاني بقوله: "وقد ورد أصله من طريق مرفوعة صحيحة أخرجها أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: "قال رسول الله (ﷺ) **أن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس**"[1].

وسياق الحديث النبوي هذا يدل على ما كان لهذا النبي (عليه السلام) من الفطانة والذكاء والنباهة، وهذه من صفات الأنبياء جميعاً، فلم يبعث أحد من الأنبياء إلا وكان على جانب عظيم من الذكاء الخارق مع كمال العقل والرشد، إلى جانب الصفات الأخرى التي أولها الصدق والأمانة والقدرة على تحمل مشقة التبليغ للرسالة التي تحمل الأحكام الإلهية دون زيادة أو نقص أو تحريف أو تبديل[2].

ويبرز الطباق المعنوي في هذا الحديث الشريف في كشف الذين غلوا وسرقوا من الغنائم عن طريق امتناع النار عن أكلها أو مرة "**فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها**" ولكن الأمر قد اختلف عندما جاءوا برأس مثل رأس بقرةٍ من ذهب فوضعوها "**فجاءت النار فاكلتها**" فان معنى لم تطعمها: "أي لم تذق لها طعماً، وهو بطريق المبالغة"[3].

إن الطباق المعنوي في سياق هذا الحديث النبوي قد برز خصلة الأمانة التي أخذت حيزاً كبيراً في ديانات الأنبياء السابقين مما رسمت منهجاً سلوكياً في حياتهم فالمجتمع الذي تنظمه عقيدة صالحة ينبعث عنها تشريع ينظم علاقات الناس وأخلاق وقيم تبنى عليها أعرافهم وعاداتهم، هو المجتمع الذي يضمن له الوحدة والتماسك ويسوده العدل والنظام وتتكافل جماعته وأفراده وتحكمه الطمأنينة والسلام[4].

---

(1) فتح الباري: 279/6.

(2) ينظر النبوة والأنبياء: 40– 48، شرح جوهر التوحيد: 274–281.

(3) فتح الباري: 282/6.

(4) ينظر المجتمع المتكافل في الإسلام: 13.

ولاشك فأنبياء الله يختارون من أشرف الناس طبعاً، وأزكاهم معادن، والنفس التي تظل معتصمة بالفضيلة– على شدة الفقر ووحشة الغربة– هي لرجل قوي آمين، والمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد، تتطلب خلقاً لا يتغير باختلاف الأيام بين نعمى أو بؤس وذلك جوهر الأمانة[1]، وقد بين القرآن الكريم عظم حمل الأمانة في آيات كثيرة ومن هذه الآيات قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) [الأحزاب: 72].

كما أن الحديث الشريف يوضح الفارق الكبير في أمر الغنائم بين الأمم السابقة وبين أمة الإسلام أبرزه قول النبي (ﷺ): "ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا" وذلك بقوله تعالى: (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا) [الأنفال: 69] وكذلك ورد الطباق في حديث أبي هريرة عن النبي (ﷺ): "لن يدخل احداً عمله الجنة" قالوا ولا انت يا رسول الله؟ قال: "ولا انا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنين احدكم الموت: إما محسناً فلعله يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب"[2].

يبدأ الحديث النبوي بنفي دخول الجنة لأي أحد عن طريق عمله، فليس هناك عمل من أعمال العباد يوجب ذلك، فأعمال العباد إذا ما قيست بنعم الله تلاشت، فالرجاء إنما يكون برحمة الله وكرمه وفضله، والفرق بين الرجاء والتمني هو أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل والرجاء على ثلاثة أنواع: نوعان محمودان، ونوع غرور مذموم (الأول) رجاء رجل عمل بطاعة الله فهو راجٍ لثوابه و(الثاني) رجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها، فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحكمه وكرمه، "والثالث" رجل متماد في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا

(1) ينظر: خلق المسلم: 47.

(2) صحيح البخاري: 1438، رقم الحديث: 5673.

عمل فهذا الغرور والتمني والرجاء الكاذب كمن يسأل الله الولد، ويرجوه بحرقة ولهفة، وهو لم يتزوج، ولم يعمل بالأسباب، فمن يرجوا رحمة ربه فعليه بالتوبة والإنابة والندم والاستغفار، والعمل الصالح"[1].

وقد قرر الطباق المعنوي في التركيبين: "إما محسناً فلعله يزداد خيراً" و"إما مسيئاً فلعله أن يستعتب"، فالمحسن يرجو من الله الزيادة بأن يوفقه للزيادة من عمله الصالح، وأن المسيء لا ينبغي له القنوط من رحمة الله ولا قطع رجائه [2]، هذا ما قاله الإمام ابن حجر العسقلاني، أما العيني فقال: "قوله إما محسناً" تقديره: إما أن يكون محسناً، ويروى إما حسن، على تقدير: إما هو محسن، وقوله "إما مسيئاً" فعلى الوجهين المذكورين، قوله: "أن يستعتب" من الإستعتاب وهو من طلب زوال العتب وهو استفعال من الأعتاب الذي الهمزة فيه للسلب لا من العتب وهو من الغرائب، أو من العتبى وهو الرضا، يقال: استعتبته فأعتبني أي: استرضيته فأرضاني قال عز وجل: (وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ)[فصلت: 24] والمقصود أن يطلب رضا الله بالتوبة ورد المظالم"[3].

فإن قال قائل كيف التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [النمل:71]، فالجواب عن ذلك هو: إن دخول الجنة إنما يكون برحمة الله تعالى، والدرجات في الجنة والرفعة فيها إنما تأتي عن طريق الأعمال الصالحة التي كان العبد قد عملها في الدنيا[4]، وكل ذلك من لطف الله

(1) تزكية النفس: 131– 132.
(2) فتح الباري: 10/153.
(3) عمدة القاري: 21 / 337 – 338.
(4) ينظر: فتح الباري: 11/ 332– 333.

ورحمته وتوفيقه للعبد أن هداه للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله وإنما برحمة الله له، ويكاد يجمع العلماء الذين تعرضوا للحديث بالشرح على هذا[1].

وجاء الطباق المعنوي الظاهري في قوله (ﷺ): "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره بقاء الله كره الله لقاءه" قالت عائشة أو بعض أزواجه: أنا لنكره الموت! قال: "ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء اكره إليه مما أمامه كره لقاء الله وكره الله لقاءه"[2]، في هذا الحديث النبوي طباقين في تركيبين، الأول: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" ة "من كره لقاء الله كره الله لقاءه"، فقد نقل الإمام ابن حجر العسقلاني قول العلماء في معنى الحديث بقوله: "قال العلماء: محبة الله لعبده إرادته الخير له وهدايته إليه وإنعامه عليه، وكراهته له على الضد من ذلك"[3].

فليس المعنى إلى ما ذهبت إليه أم المؤمنين (رضي الله عنها)، وإنما تحصل حقيقة المحبة من العبد لربه إتباع ما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر، ولا يكون ذلك إلا بسلامة القلب من نزوات النفس، "فليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة، ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من أدعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك، ووجدان هذه الأمور وذوقها، هو بحسب قوة المحبة وضعفها وبحسب إدراك جمال المحبوب والقرب منه، وكلما كانت المحبة أكمل، وإدراك المحبوب أتم كانت الحلاوة واللذة والسرور والنعيم أقوى"[4].

---

(1) منهم ابن بطال الكبري، والكرماني، والإمام ابن حجر العسقلاني، والعيني، وابن عساكر وغيرهم، ينظر المصدرين السابقين وأرقام الصفحات.

(2) صحيح الخاري، 1598، رقم الحديث: 6507.

(3) فتح الباري، 401/11.

(4) تزكية النفس: 143 – 144.

وهذا ما يقرره الطباق المعنوي الثاني من الحديث النبوي الذي جاء في التركيبين: "المؤمن إذا حضر الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه" و "الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء اكره إليه مما أمامه، كره لقاء الله كره الله لقاءه"، حيث يكشف هذا الطباق المعنوي ما في الكائن البشري من خطين متناقضين متقابلين، والواقع أن ايجابية المؤمن وسلبية الكافر تتكشف في لحظة الموت لتفرز ثنائية الحب والكره، والحب يتدرج بالإنسان إلى غاية مرضية من البشري بما له عند الله من النعيم المقيم، فيحب لقاء الله، فيحب الله لقاءه، فالإنسان يحب نفسه، كذلك ركب في فطرته: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: 8]، "ولا يكره الإسلام للناس أن يحبوا أنفسهم، فحب النفس دافع فطري وقوي، وهو من اكبر الحوافز على العمل والتعمير والإنتاج، وكلها أهداف يحفل بها الإسلام ويعمل على تنشيطها بكل سبيل، ولكنه لا يفهم حب النفس على أنه الانجراف وراء الشهوات! بل على العكس يعتبر ذلك ظلماً للنفس، وإنه لكذلك في الحقيقة، فالذي يطلق لنفسه العنان في كل ما توسوس به يظلمها ويوردها موار الهلاك، وإنما يفهم حب النفس على انه النصيحة لها والتوجيه الصالح الذي تحقق به سعادة الدنيا والآخرة"[1].

إن هذا الحب الصادق للنفس والذي يقضي دوام النصح لها في السير على المنهج القويم هو الذي يفضي إلى البشري بنعيم الآخرة وبالتالي إلى حب لقاء الله تعالى وحب الله لهذا إلقاء وما هيأ له من النعيم.

إن المتأمل في مثل هذه الأحاديث النبوية يشاهد مخاييل العدالة والإحسان والصدق، وكأنها تخاطب الفطرة التي فطر الله الناس عليها ولن تجد لها تبديلا، فالإيمان بالله تعالى هو الغذاء الوافي لقوى النفس في الإنسان وهو المدار الخالد لحيويتها وتفتحها وإشرافها، ليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوته، أو تدانيه في

(1) منهج التربية الإسلامية: 141 – 142.

ضمان استقامة الفرد ويقظة ضمير ومتانة خلقة، وعندئذٍ تكشف له حقيقة صلته بالله في أعلى صلة وهي صلة المحبة والقرب[1].

أما الكفر فانه يكون على العكس من ذلك كله ولذا تكون نتيجة البعد والإبعاد وكره لقاء الله لما يعلم ما ينتظره من العقوبة والعذاب فيكره ما تصير نفسه إليه حينما أحب العمى على الهدى فغلبه جهله وظلم نفسه، فخانها ولم يسمعها نصحاً، فعلم ما سيصير إليه عند هذا اللقاء فكرهه؛ وبسبب هذا الكره، كره الله لقاءه.

وجاء هذا النوع من الطباق في سياق ما تركب في الحديث الذي رواه البخاري من حديث أبي هريرة (ﷺ) يقول: "**الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم، والإيمان، والحكمة يمانية**"[2].

يبدأ الحديث النبوي الشريف بالجملة الاسمية، ومعلوم أنه إذا ابتدأت بالاسم فإنما تبتدئه لما بعده، كما يؤكد ذلك الدكتور مصطفى جطل بقوله نقلاً عن الخليل: "فإذا ابتدأت فقد وجب عليك مذكور بعد المبتدأ لابد منه وإلا فسد الكلام ولم يسغ لك.

يؤكد الخليل أن الكلام لابد له من ركنين، فإن بدأ بالاسم فلا بد من الركن الآخر وهو الخبر "[3].

وهو ما نجده في الطباق المعنوي الظاهر بين التركيبين: "الفخر والخيلاء في الفدادين وأهل الوبر" و"والسكينة في أهل الغنم"، فقد جاء في سياق الإخبار عن مكنون هذين النوعين من الناس، من خلال الإشارة إلى ما يشتغلون فيه من المهن، يقول العيني: "قوله: "والخيلاء" بضم الخاء وكسرها: الكبر والعجب، يقال: فيه

---

(1) ينظر: الأمانة في الحديث النبوي الشريف: 171.

(2) صحيح البخاري: 896، رقم الحديث: 3499.

(3) نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة: 17.

خيلاء ومخيلة أي كبر، ومنه اختال فهو مختال، وقال الداودي: قوله: "والفخر والخيلاء في الفدادين" وهم، وإنما نسب إليهم الجفاء وهما في أصحاب الخيل، قوله "والسكينة" هو" السكون والوقار"[1].

فالحديث يجعل صفات أهل الفخر والخيلاء والتكبر في مقابل صفات أهل السكينة والوقار والتواضع، ليقيس كل أناس منهم بمقياس جلي، فيحكم على مصيره، أو، يبادر بعلاج نفسه لينتقل عن فئته[2]، فمن خاف مقام ربه وعلم أن الكبرياء لا ينبغي أن يتصف بها إلا الله سبحانه وتعالى، تذلل وسكن لجلال الله وعظمته واستيلاء الهيبة على قلبه[3]، أما الصنف الآخر الذين يبغضهم الله تعالى كما بين القرآن الكريم: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [لقمان: 18] فالحال جليٌّ بيِّن من أن هذه الصفات الذميمة لا يتصف بها المؤمن، فالكبر هو أول معصية عصي الله بها، قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ) [البقرة: 34]، والأحاديث النبوية التي تتحدث عن شؤم الفخر والخيلاء والتكبر، كثيرة ومنها:

قول النبي (ﷺ): **"بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة"**[4].

وقول النبي (ﷺ): متحدثاً عن ربه: **"الكبرياء ردائي، والعظمة ازاري، فمن نازعني بشيء منهما عذبته"**[5].

إن التكبر من أذم الصفات التي يمكن أن يتصف بها الناس؛ وذلك بأن يستعظم الإنسان نفسه، ويستحقر غيره، فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من

(1) عمدة القاري، 16/ 99.
(2) ينظر: الحديث النبوي من الواجهة البلاغية، 236.
(3) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، 18/ 3.
(4) صحيح البخاري: 894، رقم الحديث، 3485.
(5) صحيح مسلم بشرح النووي، 16/163، رقم الحديث، 2620.

مساواتهم، فلا يتكبر إلا من استعظم ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال، وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي، فالديني: هو العلم والعمل، والدنيوي هو النسب، والجمال والمال، والقوة، وكثرة الأنصار[1]، (كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) [غافر: 35].

عن انس (رضي الله عنه): أن أبا بكر (رضي الله عنه) كتب له التي فرض رسول الله (ﷺ): **"ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع، خشية الصدقة"**[2].

هذا الحديث النبوي الشريف الذي جاء في صيغة الوصية، هو خطاب لرب المال من جهة والساعي على جلب الصدقات من جهة أخرى، فالأمر إلى كلٍ منها أن لا يحدث شيئاً من الجمع والتفريق خشية الصدقة، فرب المال يخشى أن تكثر الصدقة فيجمع أو يفرق؛ لتقل، والعامل عليها يخشى أن تقل، فيجمع أو يفرق؛ لتكثر، فلما كان محتملاً للأمرين لم يكن الحمل على أحدهما أولى من الآخر فحمل عليهما معاً[3].

ونقل العيني قول الإمام مالك في الموطأ في تفسير الحديث: "ولا يجمع بين متفرق" أن يكونوا ثلاثة أنفس لكل واحد أربعون شاة، فإذا أظلهم المصدق جمعوها ليؤدوا شاة، ولا يفرق بين مجتمع أن يكون لكل واحد مائة شاة وشاة فعليها ثلاثة شياه، فيفرقونها، ليؤدوا شاتين فنهوا عن ذلك"[4].

(1) تزكية النفس: 172 – 173.
(2) صحيح بخاري: رقم الحدث: 1450.
(3) ينظر: نيل الاوطار: 242/3.
(4) عمدة القاري: 13/9.

وقال بعضهم: واستدل به على أن من كان عنده دون النصاب من الفضة ودون النصاب من الذهب مثلاً فإنه لا يحب ضم بعضه إلى بعض حتى لا يصير نصاباً كاملاً فتجب فيه الزكاة"[1].

ففي الحديث حفظ لحق المال وحق صاحب المال وقد جمع بينهما الطباق بألفاظ قليلة معكوسة فأغنى عن كثير في الفقه الإسلامي؛ لذا نجد هذا التوسع في بيان هذه الأحكام عند الفقهاء، والحديث يعد من جوامع الكلم له (ﷺ) حيث لا يستطيع أي عالم أو أديب مهما كان ان يأتي بهذا المعنى الواسع في هذه الألفاظ القليلة والأسلوب العجيب الذي حمل الطباق والجناس، وأفاد الكلام رونقاً وطلاوة وبهاء في إيراد الغزير من المعنى في اللفظ القليل[2].

والطباق في التركيبين: "**لا يجمع بين متفرق**"،"**ولا يفرق بين مجتمع**" داخل في طباق النهيين الذي مر أنفا في الفصل الثاني، ومما يستفاد في الحديث كما بين العيني بقوله: "النهي عن استعمال الحيل لسقوط ما كان واجباً عليه، ويجري ذلك في أبواب كثيرة من أبواب الفقه وللعلماء في ذلك خلاف في التحريم أو الكراهة أو الإباحة، والحق أنه إن كان ذلك لغرض صحيح فيه رفق للمعذور، وليس فيه إبطال لحق الغير، فلا بأس به من ذلك في قوله تعالى: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ) [سورة ص: 44]، وان كان لغرض فاسد: كإسقاط حق الفقراء من الزكاة بتمليك ماله قبل الحول لولده ذلك، فهو حرام أو مكروه على خلاف المشهور في ذلك"[3].

(1) عمدة القاري: 9/ 13- 14

(2) ينظر: المثل السائر: 368/2.

(3) عمدة القاري: 14/9 ، ينظر: فتح الباري: 3 /384.

الطباق المعنوي الظاهر (الافرادي):

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): **"إذا مات أحدكم، فانه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار"**[1].

كثيرة هي الأحاديث التي تعرض حال الموتى وفي كل أحيانهم من بداية النزع والقرقرة حتى يبعثون من قبورهم، هذه القبور التي كلها ظلمة، والتي ينورها العمل الصالح ومنها صلاة النبي (ﷺ) فقد روى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي (ﷺ): **"إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وأن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم"**[2].

وقد مر في موضوع الطباق المعنوي الخفي (الطباق التركيبي) مثل هذا الحديث، وهو قول النبي (ﷺ): **"لا يدخل احد الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة"**[3].

يقول الإمام العيني (رحمه الله) في معنى قول تعالى وصفاً حال آل فرعون: (ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ) [غافر: 45]: "يعرضون عليها إحراقهم بها، يقال: عرض الاسارى على السيف إذا قتلهم به،.. وقال ابن عباس: يعرضون يعني: أرواحهم على النار، غدواً وعشياً يعني في هذين الوقتين،..وقال السمرقندي: الآية تدل على عذاب القبر، لأنه ذكر دخولهم النار يوم القيامة، وذلك أنه يعرض عليهم النار قبل ذلك غدوا وعشياً، وقال ابن مسعود: إن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تعرض على النار مرتين، يقال لهم هذه داركم

(1) صحيح البخاري، 831، رقم الحديث: 3240.
(2) صحيح مسلم، 3/ 557، رقم الحديث: 956.
(3) صحيح البخاري، 1609، رقم الحديث: 6569.

وقال مجاهد: غدواً وعشياً من أيام الدنيا، وقال الفراء: ليس في القيامة غدو ولاعشي، لكن مقدار ذلك.. فدل على أن العرض بمنزلة عذاب القبر"[1]، إن تفسير المفسرين لهذه الآية يبين لنا بوضوح أن الطباق المعنوي بين "الغداة" و"العشي" إنما يمثل النعيم في القبر لأهل الجنة والعذاب لأهل الشقاوة والنار، وقيل: معنى العرض هنا الإخبار بأن هذا موضع أعمالكم والجزاء لها عند الله تعالى، وأريد بـ(الغداة) البكور و(بالعشي) وقت بداية اشتداد ظلمة الليل، وليس من شك أن الأجساد بعد الموت والمساءلة هي في الفوات واكل التراب لها والفناء، ولا يعرض شيء على الفاني، فبان أن العرض الذي يدوم إلى يوم القيامة إنما هو على الأرواح خاصة، لأنها لا تفنى[2]، بل إن النبي (ﷺ) اخبرنا بأمور من الغيب عن الجنازة إذا حملها الرجال على أعناقهم أنها تتكلم بصوت يسمعه كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها لصعق فإذا كانت صالحة قالت قدموني قدموني، وكأنها مشتاقة إلى هذا المكان لما تعلم من نعيم ما تقدم إليه من رضوان الله تعالى وإن تكن غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها لما تعلم ما ينتظرها من الشقاوة والعذاب عند انتقالها إلى هذا المكان المظلم والله تعلى اعلم[3].

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: "حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره"[4].

كثيرة هي الشهوات التي تغري الإنسان وتستهويه، فالشهوة مادة كل فتنة، ومنبع كل فساد؛ ولذا كان التحذير من إتباع الهوى والشيطان وشهوات النفس في القرآن كثيراً[5]، قال تعالى: (فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ

(1) عمدة القاري: 288/8.
(2) ينظر المصدر نفسه: 302/8.
(3) ينظر: صحيح البخاري، 385- 386، من معنى الحديث رقم: 1380.
(4) صحيح البخاري، 1594، رقم الحديث: 6487.
(5) ينظر: الإسلام وتربية الإنسان: 168- 170.

يَلْقَوْنَ غَيًّا) [مريم: 59]، فأول خسارة لمتبعي الشهوات هي إضاعة أوقات الصلاة وهي من أكبر دلائل الخسران.

"إن من أعظم المهلكات لإبن آدم الشهوات ومنها شهوة البطن، فيها اخرج آدم (عليه السلام) وحواء من دار القرار، إلى دار الذل والافتقار، إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها وبدت لهما سوآتهما، والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات، ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج، وشدة الشبق، ثم تتبع شهوة البطن والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال، اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات، ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات، ثم يتولد منها آفة الرياء، وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء، ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ثم يفضي ذلك بصاحب إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء، وكل ذلك بثمرة إهمال المعدة، وما يتولد منها من بطر الشبع والإمتلاء، ولو ذلل العبد نفسه بالجوع، وضيق به مجاري الشيطان لأذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان"[1].

إن دائرة الطباق بين "الشهوات" و"المكارة" تبين مدى التباين بين من طلب الدنيا وأركس في شهواتها وبين من تحمل مشاق العمل لطلب الآخرة ورضا الرحمن، "وهذا الحديث من جوامع كلمة (ﷺ) في بديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس، والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها"[2]، فالجنة لا تدرك ولا يتوصل إليها إلا بقطع مفاوز المكروهات، وليس المعنى في ذلك بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال وإنما يكون بالرضا والتسليم وتطبيق قوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [الحشر: 7] وأن يجاهد نفسه ورغباتها وأن يكون مستجيباً لملذاتها وشهواتها التي تحاول السيطرة عليه، عن طريق التزيين

---

(1) تزكية النفس: 194.

(2) عمدة القاري: 23/ 119.

المشار إليه[1]، في قوله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) [آل عمران: 14].

ومن هذه السهوات شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها، والجوع يكفي شرها، كما بين ذلك النبي (ﷺ): "**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج، فإنه اغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**"[2]، فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع، والذل والانكسار باب من أبواب الجنة واصله الجوع، ومن أغلق باباً من أبواب النار فقد فتح باباً من أبواب الجنة بالضرورة؛ لأنهما متقابلان كالمشرق والمغرب، فالقرب من احدهما بعد من الآخر[3].

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله (ﷺ) يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاته – قال – احسبه قال: هنية – فقلت: بابي وأمي يا رسول الله، إسكاتك بين التكبير والقراءة، ما تقول؟ قال: "**أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد**"[4].

يبرز هذا الحديث الشريف اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم على التفقه في الدين من خلال طرح الأسئلة "وكان رسول الله (ﷺ) يختار في تعاليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها، وأوقعها في نفس المخاطب وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدها تثبيتاً للعلم في ذهن المخاطب، وأكثرها إيضاحاً له، ومن درس كتب السنة وقرأها بإمعان رأى أن رسول الله (ﷺ) كان يلون الحديث لأصحابه ألواناً كثيرة، فكان تارةً يكون سائلا وتارة يكون مجيباً، وتارة يجيب السائل بقدر سؤاله، وتارة يزيده

(1) ينظر: المائة الثانية من وصايا الرسول (صلى الله عليه وسلم): 2/469.
(2) صحيح البخاري، 1308، رقم الحديث: 5066.
(3) ينظر: تزكية النفس: 197.
(4) صحيح البخاري، 242 – 243، رقم الحديث: 744.

على ما سأل، وتارة يضرب المثل لما يريد تعليمه، وتارة يصحب كلامه القسم بالله تعالى، وتارة يلفت السائل عن سؤاله لحكمة بالغةٍ منه (ﷺ) وتارة بطرق الإبهام والتلويح"[1].

وفي هذا النص الشريف تجتمع لذة البرودة المنعشة، والنظر إلى اللون الأبيض في الثلج والبرد ففيه صورة حسية لمسية تجعل المرء يتحسس البرودة على جلده، وتتغلغل في أعماقه، وهذا التصوير يومىء إلى أن للخطايا حرارة وغلياناً في النفس البشرية واسوداد لمعاملها الشعورية[2].

ويأخذ الطباق دوره من خلال إبراز النقاء من خلال اللون "الأبيض" والذي يمثل الطهارة والنقاء إذا ما قورن بـ"الدنس" الذي يمثل البعد عن الفطرة البشرية والمحجة [3]، التي أتى بها النبي (ﷺ) والبعد عن جهنم ومسبباتها[4].

عن النبي (ﷺ) قال: "انتدب الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر، أو غنيمة، أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل"[5].

أورد الإمام العيني (رحمه الله) بيان اللغات التي جاءت في قوله: (انتدب الله)،" بأنها آتية من قولهم: ندبته لأمر فانتدب له، أي: دعاه له فأجاب، فكأن الله جعل جهاد العباد في سبيل الله سؤالاً، وقيل "انتدب الله لمن جاهد في سبيله" أي سارع بثوابه وحسن جزائه وقيل: أجاب، وقيل تكفل، وقال ابن بطال: أوجب وتفضل أي،

---

(1) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم: 63 – 64.

(2) ينظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 545.

(3) من حديث النبي (ﷺ): تركتكم على الحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدي إلا هالك" رواه ابن ماجة 14/1، رقم الحديث: 43، والحديث بلفظ: لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا إتباعي"، المشكاة: 63/1، رقم الحديث: 177.

(4) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 604 – 605.

(5) صحيح البخاري، 80، رقم الحديث: 36.

حقق وأحكم، أي: ينجز ذلك لمن أخلص، قلت – يعني العيني – كأنه يريد ما وعده"[1]، بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم) [التوبة:111].

يرغب النبي (ﷺ) المسلمين في الجهاد في سبيل الله بأمور تتعلق بالسعة والتمكين في الأرض والأنعام والحرث والأنهار والبساتين، والقوة والسلطان، وكذلك الترغيب في الدار الآخرة، بحيث يركز عليها كثيراً في ترغيبه إلى ذلك، حتى كأن أصحاب محمد (ﷺ) لم يخلقوا لدينا، بل خلقوا مجاهدين في سبيل الله لا تأخذهم في الله لومة لائم، حيث سار النبي (ﷺ) على نهج القرآن الكريم في هذا الترغيب الذي كثر وروده فيه، ومن هذا الحث قوله تعالى في الآيات الكريمة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)[الصف: 9 •13] فهذه الآيات الكريمة تبين للمؤمنين ما أعده الله لهم من نعيم مقيم، أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار فيها مساكن طيبة، في هذه المساكن ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[2].

وكأن الله ورسوله ينادون مَنْ آمن بالله وصدق به وبرسله، الذين يرجون النجاة يوم الدين، والذين يريدون جنة عرضها السموات والأرض، فيرسمان له صورة في الترغيب هي من أجمل الصور، حتى جعلا أعمال الإيمان في طاعة الله تجارة، يعقد العبد مع ربه سبحانه، فيبيع نفسه ليشتري الجنة، فجعلا المذكور بمنزلة

(1) عمدة القاري: 361/1.

(2) من حديث قدسي رواه البخاري ونصه: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): قال الله تعالى: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن...) قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) [السجدة: 17]. الحديث في صحيح البخاري بالرقم: 3244.

التجارة لأنهم يربحون فيه كما يربحون فيها وذلك بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار[1].

فهذه من أروع صيغ الترغيب التي يستخدمها الدعاة بعد الأنبياء في الندب والحض على الجهاد بهذه التجارة التي بينها الله في هذه الآيات، وهي أن يبذل المرء نفسه وماله ثمناً لجنة الخلد التي وعد الله عبادة المتقين[2].

إن الطباق المعنوي بين "يخرجه" و"أرجعه" يبين قيمة الغنيمة التي يستحصلها من خرج مجاهداً في سبيل الله، بل إن النبي (ﷺ) يبين تلهفه للغزو في سبيل الله، ونيل الشهادة في سبيل الله بتمني أن يقتل ثم يحيا ثم يقتل ثم يحيا ثم يقتل ثلاثة مرات، وهذا هو الطباق الثاني بين "اقتل" و"احيا"، والحقيقة أن الطباقين هما من نوع الطباق المعنوي إذ إن الخروج ليس ضده الرجوع وإنما ضده الدخول ولكن الرجوع يحمل في معناه العودة من المعركة والدخول إلى ما كان فيه من العيش والصحبة، وكذلك الطباق الثاني فان الحياة تقابل وتضاد الموت ولكن القتل يحمل معنى الموت وهو سبب فيه إلا أنه موت خاص، لذلك فان النبي لم يسمه "موتاً" أتباعاً لقوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [آل عمران: 169].

(1) ينظر: معالم التنزيل: 338/4، فتح القدير: 223/5.

(2) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: 297/4.

المبحث الثاني

الطباق المعنوي الخفي

أ. الطباق المعنوي الخفي (التركيبي):

جاء هذا اللون من ألوان الطباق في أحاديث عدة من صحيح البخاري: فيها الحديث الذي رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): **"مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء، فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلهم فنجوا، وكذبه طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم"** [1].

يقول ابن فارس في مادة "مثل": "أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد"[2].

وأشار إليه الفيروز آبادي قائلاً: "ومثَّله له تمثيلاً صوَّره له حتى كأنه ينظر إليه وامتثله هو تصوره"[3].

وقد بدأ الحديث النبوي بضرب المثل الذي تكمن بلاغته– كما يراها الجرجاني– في أنه يجيء في أعقاب المعاني، فيضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعوة القلوب إليها، فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم إن كان ذماً كان مسه أوجع ووقعه أشد، وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر[4].

(1) صحيح البخاري، 1593، رقم الحديث: 6482.
(2) مقاييس اللغة: 296/5.
(3) القاموس المحيط: مادة "مثل": 50/4.
(4) أسرار البلاغة: 101.

ويؤكد ذلك أحد الباحثين بقوله: "إن التشبيه النبوي اتخذ من التمثيل أداة طيعة للترغيب والترهيب تارةً، وإلزام الحجة تارة أخرى"[1].

وهذا ما أتى به التمثيل النبوي في شكل التصوير القصصي، وجزيئات هذه الصورة يمكن أن تكون مجازية التعبير، فطاعة القوم هي طاعة الله والامتثال لمضامين الإسلام، والنذير هو الرسول (ﷺ) والرؤية العينية وهي أصدق وسائل المعرفة تمثل الخبر الصادق الذي جاء به النبي الكريم (ﷺ)، وهذا ما ذهب إليه الجرجاني في قوله: "إن أنس النفوس موقف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكنى وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع: لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع على حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام... ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس أولاً من طريق الحواس والطباع، ثم من جهة النظر والرؤية، فهو إذن أمس بها رحما، وأقوى لديها ذمما، وأقدم لها صحبة، وأكد عندها حرمة، وإذا نقلتها في الشيء بمثله عن المدرك بالعقل المحض وبالفكر في القلب، إلى ما يدرك بالحواس أو يعلم بالطبع، وعلى حد الضرورة، فأنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم"[2].

والطباق المعنوي الكائن بين "أطاعته طائفة" و"كذبته طائفة" وبين "فادلجوا على مهلهم فنجوا" و "فصحبهم الجيش فاجتاحهم"، يبين المصيرين المتباينين، وهذان المصيران هما الدفاع والنصر، أو الهلاك، وهما يمثلان الجنة والنار،

---

(1) التشبيه في الحديث النبوي الشريف (رسالة ماجستير)، هامش: 34.

(2) أسرار البلاغة: 121- 122.

فكلمة "فاجتاحهم" تصور الهلاك الجسدي الهائل، وكأنهم قطعة تداس بالأقدام، أو تشق شقاً[1].

وقال العيني معنى "إجتاحهم" أي: استأصلهم[2]، فانظر إلى ما أوضحه الطباق وبينه من رسم وتصوير لما جناه كل من الفريقين وما كانت عاقبة أمرهم ففرق بين من صدق وثبت ومن ثم انتصر ونجى وبين من كذب واستهزأ فكان عاقبة أمرهم خسراناً وإتلافاً لأنفسهم فحملوا حسرةً وخسارة الأبد.

وجاء في الحديث الذي رواه البخاري من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي (ﷺ): **"لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن، ليكون عليه حسرة"**[3].

جاء النفي في الحديث النبوي بصيغة النهي "لا" والتي فيها آراء عده نأخذ منها رأيين إثنين: الأول نافية بمعنى "ما" ولذلك ارتفع الفعل بعدها، والثاني: ناهية على تقدير: على أن لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، وعلى أن لا يدخل أحد النار إلا أُرى مقعد من الجنة لو أحسن ليزداد شكراً، وعلى ما تقدم "إلا" أداة حصر[4].

وقد تعدد الطباق في هذا الحديث النبوي فالأول بين التركيبين **"مقعده من النار" و"مقعده من الجنة"**، والثاني بين **"لو أساء" و"لو أحسن"**، أما الطباق المعنوي الخفي فقد جاء بصيغته التركيبية "ليزداد شكراً" و"ليكون عليه حسرة".

يقول العيني: "لو أساء" "يعني لو عمل عمل السوء وصار من أهل جهنم، قوله "ليزداد شكراً" قيل: الجنة ليست دار شكرٍ بل هي دار جزاء، وأجيب: بأن الشكر

(1) ينظر الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 158.
(2) عمدة القاري: 23/81.
(3) صحيح البخاري، 1609، رقم الحديث: 6569.
(4) ينظر: الاستثناء في القرآن الكريم- نوعه- حكمه- إعرابه: 17.

ليس على سبيل التكليف بل هو على سبيل التلذذ، أو المراد لازمة وهو الرضى والفرح، لأن الشاكر على الشيء راضٍ به فرحان بذلك، قوله: "لو أحسن" أي: لو عمل عملاً حسناً وهو الإسلام، قوله: "ليكون عليه حسرة"[1] أي: زيادة في تعذيبه، فلما كانت الحسرة زيادة في التعذيب، جاء كلام العيني في كون الشكر هو ليس على سبيل التكليف وإنما على سبيل التلذذ وهو زيادة في التنعيم، فجاء الطباق المعنوي الخفي في غاية التضاد والبهاء والجمال فيما حمله التركيبين من معنى.

وجاء هذا اللون من الطباق في حديث انس بن مالك (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ): **"لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قطِ قطِ وعزتك ويزوى بعضها إلى بعض"**[2].

يبدأ الحديث النبوي من نهاية آية قرآنية في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [سورة ق: 30]، والحديث يبين هذا القول من جهنم وتكراره كلما ألقي فيها فوج سؤلت من قبل خزنتها وزبانيتها: هل امتلأت، فتقول: هل من مزيد دلالة على شدة ثورانها وحنقها على الكفرة والفجار والمنافقين... وهي تبقى مستمرة على ذلك حتى يضع رب العزة جل وعلا (قدمه فيها أو عليها) يشبه استهانته بأهلها بشيء وضع تحت القدمين أو الرجلين استهانة به وتحقيراً له[3].

ثم يبرز كون النار كائن حي له ردة فعل، تجيب عن السؤال وتسأل، وهو ما يزيد في إرعابها، وقد نقل العيني عن الثعلبي قوله: "يحتمل أن يكون هذا مجازاً مجازه: هل من مزيد، ويتحمل أن يكون استفهاماً بمعنى الاستزاده، وإنما صلح الوجهين لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد وطرقاً من النفي: قوله "مزيد" أسم بمعنى الزيادة"[4].

---

(1) عمدة القاري: 23/198– 199.
(2) صحيح البخاري: 1628، رقم الحديث: 6661.
(3) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 315.
(4) عمدة القاري: 23/287.

وقال العيني فيما رواه مسلم: "قلت: الرجل العدد الكثير من الناس وغيرهم، والإضافة من طريق الملك قوله: "قط قط" معناه: حسبي حسبي اكتفيت وامتلئت"[1].

وهي عند النحويين تأتي بمعنى حسب وهذه مفتوحة القاف ساكنة الطاء نحو: قط زيد درهم[2].

فجاء الطباق المعنوي الخفي ليوضح ما كان من طلب جهنم "هل من مزيد" وبين ردة الفعل من وضع القدم فيها فتقول: "قط قط وعزتك"، فجاء التركيب الأول دالاً على الثورة والهيجان لالتهام المزيد من الناس، وفي التركيب الثاني دلالة على الإنزواء والإكتفاء بما القي فيها، فسبحان رب العزة الذي له الملك والحكمة وهو القادر على ما خلق حتى وإن كانت جهنم في أوج ثورانها واستعارها، فحول نهمها إلى اكتفاء ولهيبها إلى انزواء، سبحانه وتعالى عما لا يليق بجلاله علواً كبيراً، يبشر المؤمن بان يريه مقعده من النار لو كان أساء ليرى فضله ونعمته عليه بأن عصمه من الكفر فرحمه، ليزداد شكراً لربه وفرحاً ورضا بما مَنَّ عليه ربه من واسع رحمته وكرم عطاءه، ويري الكافر مقعده من الجنة لو أنه أحسن وعمل صالحاً؛ ليزداد هماً وغم وليكون عليه حسرة، زيادة في تعذيبه، فما من أحد من الناس إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات الكافر ودخل النار ورث أهل الجنة منزله[3]، وذلك قوله تعالى: (أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) [المؤمنون: 10]، ونقل العسقلاني عن جمهور المفسرين في قوله تعالى: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ): "المراد أرض الجنة التي كانت لأهل النار لو دخلوا الجنة، وهو موافق لهذا الحديث، وقيل: المراد ارض الدنيا لأنها صارت خبزة فأكلوها، وقال القرطبي فيما

(1) المصدر نفسه: 288/23.
(2) قاموس الإعراب: 70.
(3) ينظر: فتح الباري.

نقلـه عنـه العـسقلاني: يحتمـل أن يـسمى الحـصول في الجنـة وراثـة مـن حيـث اختصاصهم بذلك دون غيرهم، فهو إرث بطريق الاستعارة، والله أعلم"[1].

ب. الطباق المعنوي الخفي الافرادي:

عن انس بـن مالـك (رضـي الله عنـه) عـن الـنبي (ﷺ) قـال: "**إن الله عـز وجـل وكل بالرحم ملكاً يقول: يا رب علقه، يا رب مضغه، فإذا أراد أن يقضي خلقه قال: اذكر أم أنثى؟ شقيٌ أم سعيدٌ؟ فما الرزق والأجل، فيكتب في بطن امه**"[2].

جاء الطبـاق المعنـوي الخفـي بـين "يـا رب علقـه يـا رب مـضغه" و"فـإذا أراد ان يقضي خلقه" في هذا النص الشريف يكون الفرق بين الحالين هو معنى المخلقة وغير المخلقة، وهو يأتي في بيان قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) [الحج: من الآية: 5]، وقد جاء في تفسيرها(من نطفةٍ): من مني، ثم من دمٍ جامد، ثم من مضغة: أي بقدر ما يمضغ، "مخلقة" أي مصورة تامة الخلق، "وغير مخلقة" أي غير تامة الخلق، "لنبين لكم" كمال قدرتنا لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته[3]، وجاء في عمدة القاري: "إذا وقعت النطفة في الرحم قال له الملك: مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة مجت الرحم دماً، وإن قال مخلقة، قال أذكر أم أنثى؟"[4].

(1) المصدر نفسه: 11/492 – 493.
(2) صحيح البخاري: 150، رقم الحديث: 318.
(3) ينظر: تفسير الجلالين: 433.
(4) عمدة القاري:432.

ونقل كذلك عن قتادة: "مخلقة أو غير مخلقة" أي: تامة وغير تامة، ونقل العيني عن أبي العالية: "المخلقة الصورة، وغير المخلقة السقط"[1].

ومن ثم الطباق المعنوي الظاهر بين "شقي" و"سعيدٌ" فعلم الله سابق، والمعنى أنه يتعارض عمله في اقتضاء السعادة، والمكتوب في اقتضاء الشقاوة، لأنه لو تمثل العمل والكتاب شخصين ساعيين لظفر شخص الكتاب وغلب شخص العمل"[2].

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) قال: "رأيت ليلة أسري بي موسى، رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، ورأيت مالكاً خازن النار، والدجال، في آيات أراهن الله إياه: (فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ) [السجدة: 23]، قال: أنس وأبو يكرة، عن النبي (ﷺ): "تحرس الملائكة المدينة من الدجال"[3].

يصف النبي (ﷺ) في مقارنة يسيرة بين "موسى" و"عيسى"– عليهما السلام– يجلبها الطباق الخفي بين "آدم" و"البياض"، فمعنى "آدم" كما يذكر العيني: من الأدمة وهي في الناس السمرة الشديدة، وقيل هو من أدمة الأرض، وهي لونها، وبه سمي آدم، عليه السلام الأدمة في الإبل مع سواد المقلتين، يقال: بعير آدم بيّن الأدمة، وناقة أدماء[4].

ثم يطالعنا طباق خفي ثانٍ كائن بين وصف شعر رأس سيدنا موسى "جعداً" وبين شعر رأس سيدنا عيسى– عليهما السلام، فقد وصفه بأنه "سبط الرأس" والجعد ضد السبط[5].

(1) المصدر نفسه: 433.
(2) ينظر: فتح الباري: 1/487.
(3) صحيح البخاري، 829، رقم الحديث: 3239.
(4) ينظر: عمدة القاري: 15/200.
(5) المصدر السابق: 15/200.

ويمتاز هذا الوصف في الحديث النبوي الشريف باحتوائه على بعض التراكيب الوضعية الصغرى، ويهيمن عليه ذكر صفة واحدة من كل جزء دون تعدد الأوصاف في الشخص الواحد "علامة بارزة فيه" وقد يكون هذا النوع من الوصف وسيلة للإثارة وجلب الانتباه [1].

ونجد مثل هذا الوصف في القرآن الكريم، فهو "حينما يركز على صفة معينة، فإن تركيزه لأجل غاية تحقق له أهدافه، فهو يختار ما هو مناسب لجو الحادثة من أجل إيقاظ الفكر إثارة الوجدان، وإن ميزة القرآن أنه يحتوي على أوصاف يسيرة كثيرة"[2]، كما في قوله تعالى: (فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ 32 وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) [الشعراء: 32، 33]، فهذا الوصف الواضح يمثل قوة تعبيرية تحتوي على نموذج يعتري الأشياء والأحداث والأشخاص، فالوصف يلقى ضياءاً على تلك الصفات وفيه يحصل ترويح عن النفس ساعياً إلى تصوير صورة الأشياء والشخصيات عبر صفاتها المتميزة[3]، لذا نجد النبي (ﷺ) قد ركز على إبراز صفة "الطوال الجعد" من خلال التشبيه، حتى ينجم الخفي بواسطة الجلي، كما يقول ابن أبي الإصبع في الاستعارة: "وهي تسمية المرجوح الخفي بالإسم الراجع للمبالغة في التشبيه"[4].

فقد أوضح الطباق بين "الجعد" و"السبط" ما لكل من النبيين – عليهما السلام من صفة خليقه، من تجعد الشعر والتواءه وما يحمل من الخشونة– وبين سبط الشعر وما في منظره وملمسه من نعومة.

– عن عائشة (رضي الله عنها): أن امرأةً من بني مخزوم سرقت، فقالوا: من يكلم فيها النبي فلم يجرئ أحدٌ أن يكلمه، فكلمه أسامة بن زيد، فقال: "إن بني

(1) ينظر: الوصف في القصة القرآنية (رسالة ماجستير): 23.
(2) المصدر نفسه: 24.
(3) عالم الرواية: 107.
(4) تحرير التحبير: 97.

إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، لو كانت فاطمة لقطعت يدها"[1].

يُعلّم النبي (ﷺ) أصحابه(رضي الله عنهم)، "الأحكام ويعللها لهم، إذا اشتبهت عليهم مسالكها، وغمض عليهم حكمها، فيتضح ما اشتبه أمره، وخفي فهمه ويكون لهم من تلك المقايسة معرفة بمسالك الشريعة ومقاصدها، وفقه بمراميها البعيدة"[2]، فالنبي (ﷺ) يخبر عن ظلم بني إسرائيل في تطبيق الشرع وإقامة الحدود على الضعفاء وإذا ما تعلق الأمر بالأقوياء فأنهم يتركون إقامتها، وهذا ما أبرزه الطباق الخفي بين "الضعيف" و "الشريف"، فإن الضعيف ليس ضده "الشريف" وإنما ضده الوضيع ولكن لما استلزم أن لا يكون الشريف شريفاً في قومه ما لم تكن له فئة ينصرونه على خصومه، وأموال ينفقها في تحصيل الجاه والرفعة– ما كان ليكون شريفاً– فالشرف من مستلزماته القوة وهي أحد معانيه، فأصبح بالضد من الضعف.

لذلك كان استغلال الحادثة وهي في بدايتها وحر لهبها، مهمة كبيرة من مهام التربية لينطبع على النفس في حالة انصهارها ما يريد المربي أن يطبعه من التوجيهات والتهذيبات، فلا يزول أثرها أبداً من قريب[3]، فالحضارة الإسلامية كما يركز عليها وعلى تأكيدها النبي (ﷺ) بأحد منتجاتها هي "حضارة فقه" كما يرى الدكتور محمد عابد الجابري، بأنها بنفس المعنى الذي ينطبق على الحضارة اليونانية حينما بقوله عنها: (إنها "حضارة فلسفة" وعلى الحضارة الأوروبية" المعاصرة حينما نصفها بأنها "حضارة علم وتقنية" والواقع أننا إذا نظرنا إلى المنتجات الفكرية للحضارة الإسلامية من ناحية الكم أو من ناحية الكيف فإننا

(1) صحيح البخاري: 945 – 946، رقم الحديث 3733.

(2) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم:109– 110.

(3) ينظر: منهج التربية الإسلامية: 208.

سنجد الفقه يحتل الدرجة الأولى بدون منازع)[1]، "فهو من اعدل الأشياء قسمة بين الناس"[2].

وهذا العدل هو ما ركز عليه الحديث الشريف، بأن ضرب مثلاً لأسامة (رضي الله عنه) في أنهم كانوا يقيمون الحدود فقط على الضعفاء الذين لا يشفع فيهم أحد والشريف لنا كان له شفعاء يترك كرامه لهم، وهذا ليس من نهجنا ولا من سيرتنا يا أسامة بشيء، فالحدود هي حدود الله وهو الذي بينهما وشرعها فلا يجوز أن يشفع فيها أحد، فالكل فيها عندنا سواء "الضعيف" و"الشريف" حيث أكد أن لو كان أمر السرقة متعلق بسيدة نساء العالمين التي يصفها بأنها بضعة منه – عليه الصلاة والسلام– فهي أقرب الناس إلى قلبه وهي اشرف نساء هذه الأمة فلو سرقت لقطعت يدها، لذلك حكم على المرأة المخزومية التي كانت تستعير المتاع وتجحده بقطع يدها، فإدخاله (ﷺ) جاحد العارية في اسم السارق، كإدخاله سائر أنواع المسكرات في اسم الخمر[3].

فانظر إلى قيمة ما ينتجه الطباق من التبيان في بيان المراد وتوضيحه، فإنما تكون الشفاعة من قبل أن يصل الأمر إلى القاضي والحاكم؛ لذا عندما قضى (ﷺ) بقطع يد سارق رداء صفوان بن أمية، وهو نائم عليه في المسجد، فأراد صفوان بن أمية أن يهبه أو يبيعه منه، فقال: "هلا كان قبل أن تأتيني به"[4]، فإذا وصل الأمر إلى القاضي أو الحاكم وجب عليه الحكم بالقطع أو نفاذ الحد على أي إنسان، كائناً من كان[5]، لأن الواجب الملقى على النبي (ﷺ) عينه الواجب الملقى على المرابي من تنشئة نفوس تعمل بتعقل حسبما تقتضيه الأحوال والظروف، وليس تكوين مكائن

---

(1) تكوين العقل العربي: 96.

(2) المصدر نفسه: 96.

(3) ينظر: زاد المعاد: 960.

(4) سنن ابن ماجيه: 865/2، رقم الحديث: 2592؛ سنن النسائي الكبرى: 328/4، رقم الحديث: 7365؛ المستدرك على الصحيحين: 422/4، رقم الحديث: 8149.

(5) ينظر زاد المعاد: 961.

لا إرادية؛ لأن التربية كما يعرفها الحصري: "هي الفن الذي يعين على تحويل الشعوري إلى اللاشعوري"[1].

عن أبي هريرة (رضي الله عنه): إن رسول الله (ﷺ) قال: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لا يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح، لأتوهما ولو حبواً"[2].

الصلاة عماد الدين ونور اليقين وهي الذكر الأكبر، لقوله تعالى: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) [العنكبوت: 45]، وقد جاء عن القرطبي فيما نقله طه العفيفي قوله: "ذكركم الله في صلاتكم وفي قراءة القرآن أفضل من كل شيء"[3].

والأحاديث النبوية التي تؤكد على أهمية الصلاة من كونها الركن الثاني من أركان الإسلام كثيرة منها قوله (ﷺ): "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت، وصوم رمضان"[4].

وفي قوله (ﷺ): "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد"[5]، ويقول صاحب الوصايا "فالصلاة هي الجامعة لجميع أركان الإسلام.. فأنت فيها تتلفظ بالشهادتين، وأنت فيها تتجه إلى الكعبة فتتذكر فريضة الحج، وأنت فيها

---

(1) احاديث في التربية والاجتماع: 252 – 253.

(2) صحيح البخاري، 218، رقم الحديث: 615.

(3) من وصايا الرسول (صلى الله عليه وسلم): 364/2.

(4) رواه البخاري: 72، رقم الحديث: 8.

(5) سنن النسائي الكبرى: 428/6، رقم الحديث: 11394.

تصوم عن الطعام والشراب، بحيث لو أكلت أو شربت وأنت تصلي بطلت صلاتك، وأنت فيها تؤدي زكاة وقتك"[1].

وهذا ما في الصلوات الخمس بعامة، ولكن النبي (ﷺ) يخص منها السبق في التهجير والصف الأول من الجماعة في المسجد، وصلاة العشاء التي كنا عنها بـ"العتمة" وكذلك صلاة "الصبح" فأتى الطباق المعنوي الخفي بيت "العتمة" و"الصبح" ليكشف عن أهمية وخصوصية هذين الوقتين اللذين يكونان أثقل الأوقات التي يتمثل فيها كسل المنافقين: لقوله (ﷺ): **"ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم، ثم آمر رجلاً يؤم الناس، ثم آخذ شعلاً من نار، فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد"**[2].

"وكأن هاتين الصلاتين قوتان تضغطان على المنافق جسداً وروحاً، فلا يستطيع الحراك، وكان أي حركة من هذا المنافق تدفع شيئاً من هذا التماس، وتثقب الضغط، في حين تنساب عضلات المؤمن في تأدية الصلاة، وتنبسط نفسه فيها، وهذا الضغط يحبس النفس، ويدعو إلى النزق والضيق كما هي الحال في تحمل الوزن الثقيل"[3].

ولتجنب كل هذا الضنك والضيق والثقل يجب المحافظة على هذه الصلوات في أوقاتها، حتى تكون حجة للمرء المسلم لا عليه فهي أول عمل يحاسب عليه يوم القيامة، فمن حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: **"من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ**

---

(1) المائة الثانية من وصايا الرسول (صلى الله عليه وسلم): 57/1.

(2) صحيح البخاري، 225، رقم الحديث: 657.

(3) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 550.

عليها لم يكن له نوراً ولا برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع فرعون، وهامان، وقارون، وأبي بن خلف"[1].

ونقل الشيخ طه العفيفي قول الإمام احمد بن حنبل على هذا الحديث: "فمن تركها بسبب الرياسة، حشر مع فرعون ومن تركها بسبب السياسة، حشر مع هامان[2]، ومن تركها بسبب جمع المال، حشر مع قارون، ومن تركها من أجل الجدل والخصام، حشر مع أبي بن خلف[3]"[4].

فلله درُّ الطباق كيف جلى أهمية هذا الموضوع وأظهر أهميته أوقات بعينها بخاصة وبسهولة ويسر ومن غير املال ولا سآمة على القارئ.

عن انس بن مالك قال: قال النبي (ﷺ): "البزاق في المسجد خطيئة، كفارتها دفنها"[5].

قصد النبي (ﷺ) من هذا التوجيه والإرشاد التنبيه وتعريف فاعل الخطيئة بأن فعله هذا منكر، فقد يكون جاهلاً بذلك، ويكون تعريفه في هذه الحالة باللطف واللين من غير عنف، لأن في التعريف نسبته إلى الجهل، وهذا في ذاته إيذاء الله سبحانه وتعالى، فلا بد أن يبين لدفع المنكر، وهو يدلنا في هذا السياق من الحديث على أن التوجيه يكون في غاية اللطف حتى لا يكون إيذاءً من دون مبرر، لأن إيذاء المسلم محرم[6].

---

(1) مسند الإمام أحمد: 169/2، رقم الحديث 6576؛ مسند الدارمي: 390/2، رقم الحديث: 2721.

(2) لأ، هامان كان وزيراً لفرعون يدير شؤون الملك: قال تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا)[سورة غافر: 35]، نقلا عن كتاب: المائة الثانية من وصايا الرسول (ﷺ): 66/1.

(3) لأنه كان يجادل الرسول (ﷺ) كثيراً في شأن البعث والحياة بعد الموت، نقلا عن المصدر نفسه: 66/1.

(4) المائة الثانية من وصايا الرسول (ﷺ): 66/1.

(5) صحيح البخاري، 175، رقم الحديث: 415.

(6) ينظر: إحياء علوم الدين: 329/2.

إن هذا الحديث الشريف كما غيره من الأحاديث النبوية يحمل حكماً، يوجب على المسلم أن يتقن تصرفاته في الأمكنة المقدسة، وأن عليه أن يكون على فهم دقيق لكل جوانب التصرف الذي يقوم به، ليتمكن من تصحيح مساره والإتيان بالعمل على أكمل وجه من الإتقان، وان يكون له غاية وهدف من تصرفه فلا يأتي به اعتباطاً وتعسفاً من غير نظر إلى المآل، وهذا ما يبرز الطباق المعنوي الخفي بين "خطيئة" و "كفارتها"، فالخطيئة هي ما يدخل في باب التصرف المشين وغير اللائق بآداب المسلم، والخطيئة هي ليست ضد الكفارة ولكن لما كانت تدخل ضمن السيئات التي توجب على المسلم التكفير عنها، هنا استلزمت الضدية من الكفارة التي تحمل معنى الحسنة التي تذهب السيئة وتمحوها، لقوله تعالى: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) [هود: من الآية: 114]، ولقوله تعالى: (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة: 81]، إلا أن الفارق بين اللفظ الذي ورد في معنى لفظ "خطيئة" في الحديث وبين ما ورد في الآية الكريمة، والذي يحدده السياق — أنها تعني الذنب أو السيئة أما في الآية فقد ذهب المفسرون إلى أنها تعني: الكفر والشرك[1]، فالسياق هو الذي يحدد قيمة الكلمة في أحوال ورودها في التركيب، فللكلمة من المعاني المتنوعة ما ليس في وسعنا أن نكشف المعنى المراد إلا بطريق ورودها في سياق معين، وينتقل الدكتور محمد ياس خضر الدوري قولاً لـ "جون لاينز" والذي نصه: "لا يمكن فهم أية كلمة على نحو تام بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها والتي تحدد معناها"[2].

إن هذا الحديث النبوي الذي ركز على جزئية يسيرة في حياة الناس، يقوم على أساس درء المفاسد ووجوب الانضباط في التصرفات وفق المصلحة الحقيقية فيما يأتي المسلم ويدع من الأمور التي تضر به وبالناس، أفراداً وجماعات، سواء أكان الضرر مادياً أو خلقياً، وهو يخاطب وعي الإنسان لمدى مراعاة الشارع

(1) ينظر: تفسير ابن كثير: 165/1، وتفسير الجلالين: 16.

(2) دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: 38.

الحكيم في تحقيق مصلحته في كل أحكامه، فشرع له ما فيه النفع، ودفع عنه ما فيه الضرر والأذى، وما دامت كل أعمال المسلم عبادات يقصد بها وجه الله تعالى، فإنه يوجهه لأن يكون ذا وعي فكري يجعل الإنسان المسلم منطقياً وآعياً لمراد الشرع من أن الإسلام نظيف ويحب النظافة ويحث عليها في كل زمان ومكان[1].

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): "**مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، والفاجر كالارزة، صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء**"[2].

يقوم الحديث النبوي الشريف على التمثيل الذي هو نوع من التشبيه، والوجه فيه عقلي، وفيه مشهدان يكونان لوحة، ونحن نتلمس الحركة، ونتصور كيف تحرك الريح النبتة وتعيدها إلى حاليها، والخامة كما جاء في مقاييس اللغة: "الرطبة من النبات والزرع"[3].

يقول عبد القاهر الجرجاني في باب لا يصلح كل تشبيه للاستعارة:"لا تستطيع أن تتعاطى الاستعارة في شيء منه، فتقول: رأيت نخلة أو خامة، على معنى رأيت مؤمناً، إن من رام هذا كان كمن قال صاحب الكتاب ملغزاً تاركاً لكلام الناس الذي سبق إلى أفئدتهم"[4].

والخامة المادة، ومعنى تكفأ: تقلي، وهو يريد بصاحب الكتاب سيبويه[5]، والفاجر أسم للفجرة وهو مأخوذ من الفجور وهو: الريبة والكذب[6]، وعليه فإن الفاجر هو المكذب المرتاب وهكذا يتبين الطباق المعنوي بين "المؤمن" و"الفاجر"،

(1) ينظر: الجوانب التربوية في علم أصول الفقه، 156.
(2) صحيح البخاري: 1431، رقم الحديث: 5644.
(3) مقاييس اللغة، مادة (خوم): 237/2.
(4) اسرار البلاغة: 245 – 246.
(5) ينظر الكتاب: 308/1.
(6) ينظر: كتاب العين: مادة (فجر): 730.

فالفاجر ليس هو الضد مع المؤمن ولكن لما كان الفجور يحمل معنى التكذيب والريبة التي تدخل في الإطار العام للكفر ومستلزماً له، جاء الطباق بين هذين اللفظين ليبينا الفارق بين حياة كل منها وما يحمله الأول من اللين والصبر على نكبات الزمان، ولعل هذا سر قوله (ﷺ): "**عجباً لأمر المؤمن أن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**"[1]،" فالخامة تميلها الريح إلى جهة ثم تعدلها لتميلها إلى جهة أخرى، فتظل في ميل مستمر، وكذلك المؤمن يصيبه البلاء فيصبر عليه بإيمانه، فيخلص منه شاكراً لربه، ثم يقع في بلاء آخر.

وهكذا يبقى في ابتلاء مستمر في نفسه وأهله مع خلاصه المستمر بإيمانه، كما كانت الخامة تعتدل لرطوبتها وكما أن للريح مراتب تختلف في شدتها، فكذلك البلاء تختلف شدة أنواعه التي تصيب المؤمن، وكما خلصت الخامة من الريح سليمة فعادت كما كانت، فكذلك المؤمن خلص من البلاء سليماً فعاد كما كان؛ لأجل ذلك كان الوجه تمثيلاً"[2].

إن اختيار كلمة "الزرع" له دلالات "الضعف المستضعف، أما الشجر قوي متعاظم، فالشجر لا يتأثر من حر وبرد ولا من كثرة قاع، ولا مزرع، والزرع بخلاف ذلك، أما المؤمنون فبعكس هذه الصفات حالهم مستضعفون في ظاهر أجسامهم وكلامهم لأنهم اشتغلوا بتجارة قلوبهم وأرواحهم عن عمارة أجسادهم، ومنها أن الزرع وإن كان له طاقة منه ضعيف ضئيل، إلا أنه يتقوى بما يخرج معه وحوله ويتعضد به بخلاف الشجر العظام فإن بعضها لا يشد بعضاً"[3]، وقد ضرب الله تعالى مثل النبي (ﷺ) وأصحابه بالزرع لهذا المعنى، قال تعالى: (مَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ) [الفتح: 29].

(1) صحيح مسلم بشرح النووي، 125/17.
(2) التشبيه في الحديث الشريف: 128.
(3) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 330.

ومن هذه الدلالات كذلك أن الزرع ينتج الحب الذي هو مؤونة الآدميين وغذاء أبداهم ويسبب حياة أجسادهم، فكذلك الإيمان هو قوت القلوب وغذاء الروح أبداً ويسبب حياتهم، ومتى فقدته ماتت، وموت القلوب لا يرجى معه حياةً أبداً، بل هو هلاك الدنيا والآخرة، فلذلك شبه المؤمن بالزرع حيث كان الزرع حياة الأجساد والإيمان حياة الأرواح"[1].

عن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله (ﷺ) قال: "**يصلون لكم فإن أصابوا فلكم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم**"[2].

يحدث النبي (ﷺ) عن الصلاة خلف الإمام ويبين ما فيها من الضمان للمؤمن في تمام صلاته سواء أصاب الإمام في صلاته أم أخطاء، وقد جاء الطباق بين "لكم" التي تحمل معنى المنفعة والفوز بالتمام و"عليهم" التي تعني المضرة والنقصان فأنظر إلى الطباق كيف جاء بالمعنى وزاد في حسن اللفظ والمعنى على السواء، وما حمله من إيجاز وبهاء.

وقد نقل الإمام العيني (رحمه الله) في ذلك روايات كثيرة منها: "وفي مسند عبد الله بن وهب عن أبي شريح العدوي: "الإمام جنة فان أتم فلكم وله، وإن نقص فعليه النقصان ولكم التمام"[3].

وروى الإمام ابن حجر العسقلاني: "عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: "**يأتي قوم فيصلون لكم فان أتموا كان لهم ولكم، وإن نقصوا كان عليهم ولكم**"[4].

وفي هذا الحديث الشريف يقع الطباق المعنوي كأنه الحكم الفصل بين ما نتج عن إصابة الإمام أو خطئه، وهذا ما يقرره الحرفان "لكم" و"عليهم"، وقد تكرر

(1) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: 330.
(2) صحيح البخاري: 233، رقم الحديث: 694.
(3) عمدة القاري: 5/334 – 335.
(4) فتح الباري: 2/232.

القول أن الطباق المعنوي الخفي يمكن أن يكون بين الحروف، لكون هذه الحروف لا تظهر معاينتها إلا بالاستعمال ومن خلال ما تستجليه من منفعة وما تحمله من مضرة[1].

وقد فصل الإمام العيني (رحمه الله) القول في ذكر معنى الحديث: "قوله: "يصلون" أي: الائمة، قوله "لكم" أي: لأجلكم، فاللام فيه للتعليل، قوله: "فإن أصابوا" يعني: فإن أتموا،... وقال أبو عبد الملك قوله: "فلكم" يريد الثواب الطاعة والسمع، و"عليهم" إثم ما صنعوا وأخطأوا،.. وقال الكرماني: الخطأ عقابه مرفوع عن المكلفين، فكيف يكون عليهم؟ وأجاب بأن الأخطاء ههنا في مقابلة الإصابة لا في مقابلة العمد، وهذا الذي في مقابلة العمد هو المرفوع لا ذاك، وسأل عن معنى كون غير الصواب لهم إذ الأخير فيه حتى يكون لهم؟ وأجاب بقوله: معناه صلاتكم لكم وكذا ثواب الجماعة لكم"[2].

(1) ينظر: التبيان في البيان: 163، وعلم البديع، فيود: 118.

(2) عمدة القاري: 335/5.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة في الروضة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، نخرج بأهم النتائج التي توصل إليها البحث والتي نجملها على النحول الأتي:

1. توصلنا إلى أن أول من أشار إلى تسمية الطباق من علماء اللغة هو عالمها الأول الخليل بن احمد الفراهيدي، إلا أن سيبويه كان تحديده الاصطلاحي يجيء مباشراً في المصطلح الذي أتفق عليه العلماء بعد، من أن الطباق هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، من خلال لفظين متضادين يتنافى وجودهما معاً في شيء واحد في وقتٍ واحد.

2. إن التضاد اللغوي يتداخل بشكل كبير مع التضاد البلاغي، إلا أن الفارق بينهما هو: أن التضاد البلاغي(الطباق) تعتمد الضدية فيه على لفظين يحملان معنيين مختلفين يتنافى وجودهما في مكان واحد في وقت واحد، أما التضاد اللغوي فالضدية فيه تكمن في الكلمات التي يدل كل منها على معنيين متضادين ولفظها واحد، فالضدية فيه لفظية وليست معنوية.

3. توصل البحث إلى إن العلماء الذين ألفوا في علوم القرآن من الأوائل قد تحرجوا من إطلاق تعبير الأضداد على الفاظ القرآن الكريم بل كانوا يطلقون عليها تسمية [المشترك اللفظي] إلى أن جاء السيوطي الذي أفرد من كتابه المزهر باباً سماه الأضداد.

4. استنتج البحث ان التضاد هو الأصل الأول في إيجاد الطباق، أما المقابلة فهي الشرط الأهم في عملية تكوينه، بل يكاد يكون هو الشرط الوحيد بعد إيجاد اللفظين المتضادين، فالتعدد لا يشترط في المطابقة بل يكتفي بلفظين متقابلين ومتضادين، بينما يشترط التعدد في المقابلة، ثم إنه حتى وإن تعدد فانه لا يخرجه من دائرة المطابقة، فليس من وجه صواب بأن التضاد إذا تعدى الضدين فانه يسمى مقابلة فقط وإنما يسمى (المقابلة بالأضداد) والذي لا

يخرجه من دائرة الطباق الناتج من مثل هذه المقابلة ، فهل عند تعدد المتضادات في الكلام ينتفي هذا الطباق، بتعدد الأضداد في سياق الكلام؟!، فعليه يرى البحث انه يمكن تخصيص لفظ المقابلة بالكلام الذي ليس بينه تضاد وتخصيص مصطلح الطباق على المتضادات التي ترد في أساليب الكلام .

5. كثرة الشواهد القرآنية والنبوية وفي كلام العرب منظومة ومنثورة، التي يكمن الاستشهاد بها في المقابلة وفي الطباق على السواء، إلا أنه في المقابلة تقل هذه الشواهد كلما تعددت المقابلات، وتكون هذه المقابلات بالأضداد وبغيرها إلا أن الباحثين قالوا أنها تكون بالأضداد أعلى رتبة، وهذا هو مجال التداخل بين المصطلحين، فالأول أن تكون المقابلة محصورة بين الألفاظ التي ليس بينهما تضاد حتى لا يكون هذا التداخل بين المصطلحين مادام قد استقر رأي العلماء على الفصل بينهما وتحدد كل منهما بحده الاصطلاحي.

6. توصل البحث إلى أن طباق الإيجاب أكثر الأنواع وروداً في صحيح البخاري، وأضاف البحث إليه فرعين جديدين لم يسبق الإشارة إليها من قبل على حد علم الباحث – وهي "طباق المنفيين" "وطباق النهيين"، وان أكثر الألفاظ في طباق الإيجاب كانت تدور حول الطباق بين "الجنة والنار" وبين "الإيمان والكفر" وبين "الدنيا والآخرة"، ووجد الباحث أن الأحاديث التي تحتوي على أكثر من موضوع طباقي واحد كانت تحلق التآلف والانسجام الدلالي بين الموضوعات، إذ يتصل بعضها ببعض برابط جوهره التواصل في المعاني النبوية من أجل إجلاء الفكرة المقصودة من اجتماع هذه الأنواع من الطباق في سياق داخلي لفظي واحد، وأداء الطباق لدوره في إجلاء الدلالات الدينية التشريعية من الهدي النبوي الشريف، وهذه النتيجة قد سبق التوصل إليها في بحث الطباق في القرآن الكريم في بحث سابق لإحدى الباحثات، وهذا يدل على مدى التوافق بين القرآن والسنة في إنتاج وتعميق الدلالات الدينية: العقيدية والتشريعية من أعمال تكليفية.

7. وجد البحث أن أكثر أنواع طباق السلب وروداً في صحيح البخاري هو طباق الإثبات والنفي والأقل وروداً هو طباق "الأمر والنهي" الذي لا يكون إلا مع الأفعال، فهو يحمل تشريعاً جازماً يبين الحلال والحرام في الحديث النبوي الشريف "قل ولا تقل"، "كل ولا تأكل"... وهو يتباين في دائرة النفي والإثبات وقلبهما، والأمر والنهي وقلبهما، وليس لمن ادعى إلحاق طباق المنفيين بطباق السلب من حجة؛ لأن الاختلاف والتباين هذا قد اشترطه العلماء من قبل حتى أصبح قاعدة راسخة لدى الدارسين، ومن هنا جاءت بلاغة هذا النوع من الطباق، فهو بالإضافة إلى جمالياته التعبيرية، وإيحاءاته النفسية ودلالاته الشرعية، ذا اثر كبير في تأصيل المعنى وتأكيد الأحكام الفقهية ونبذ وتفنيد سفاهات السفهاء من أهل الجاهلية، فهو تصوير الفكر الديني الذي ينطوي عليه طرفا الطباق المثبت والمنفي أو المأمور به والمنهي منه.
8. توصل البحث إلى كون بلاغة طباق التدبيج إنما تنبع من معناه اللغوي الذي يعني التزيين والذي يحل معه أساليب من البيان التي تزيد الكلام بهجة ورونقا ومن ثم الارتفاع والارتقاء بهذا الفن البلاغي جمالا وبلاغة، وأن الكناية الكائنة في التدبيج يصح أن يراد بها معناه الأصلي – من غير تأويل– فيناي في مقابله بخلاف إيهام التضاد فلا يصح فيه معناه الأصلي.
9. إن الدارس في علم الحديث يرى أن لا حاجة في أن تميل نفسه إلى تكميل شئ منه، حتى وإن كان من سجية الإنسان وطبعة رؤية الأشياء كاملة تامة، لان الحديث النبوي الشريف فيه من إتمام المعنى مع الإيجاز في اللفظ المتواشج مع ألوان البديع ما يغني عن مثل هذا الميل إلى تكميل شيء منه.
10. وبيّن البحث أن هناك أنواع من القصص النبوي، تضمنت هذا اللون البديعي، قد اتفق رأي الباحث على تقسيمها إلى ثلاثة أقسام بحسب الحدث الذي تناوله، والدلالات المعنوية التي كانت تحملها، وهذه الأنواع هي "الطباق في قصص الأمم السابقة" و"الطباق في القصة الحالية"، كونها حدثت في زمن البعثة النبوية الشريفة، أما النوع الثالث فسميناه بـ"الطباق في القصة

المستقبلية"؛ لكونها تتحدث عن أمور غيبية، وبيَّن البحث أن الطباق الذي تضمنته هذه الأنواع الثلاثة كان له الأثر الفاعل في إبراز الجوانب التربوية والدعوية التي قصت من أجلها هذه القصص، وما تحمله من العبرة التي يرمي إلى إبرازها الحديث النبوي على وفق الأسلوب المتبع في القصص القرآني.

11. بيَّن البحث أن الطباق المعنوي في الحديث الشريف يمكن وصفه بأنه طباق فكري فني له الدور المميز في إجلاء الأفكار الدينية التي يفرزها عندما يوظف متضادية في سياق الحديث النبوي مدلولات الفكرة النبوية في الحديث الشريف – وهذه النتيجة عينها توصلت إليها إحدى الباحثات في بحثها عن الطباق في القرآن الكريم.

ملخص باللغة الانجليزية

ABSTRACT

Antonym in the Honorable Prophet's sayings: Rhetoric Study in Al-Bukhari "Sahih"

The importance of this study stems from the importance of its topic. The reason behind choosing this topic is that it has not received enough attention by scholars. The nature of the study requires that it starts with a prelude and an introduction followed by four chapters. The study ends with the main conclusions and findings arrived at in the study. Besides, the study contains appendices at the final part of it.

The prelude includes three paragraphs:

1. Antonym in the linguistic dictionaries.
2. Antonym in the terms of linguists.
3. Discussing the views of scholars.

According to the chronic arrangement.

Chapter one is divided into two parts. The first part tackles the problem of limiting the term between linguistic and rhetorical antonym my, depending on rhetoric books. The researcher entered into detail, in antonym with example, on each type from the Glorious Qur'an and the prophet sayings as well as the traditional Arab maxims poetry and prose. The second part deals with spoken antonym in general with its two types: the real and the unreal.

Chapter two includes two parts also. The first part is dedicated to deal with positive antonym in the Bukhari "Sahih"

including the antonym of order and wearing. The second part concerns the negative antonym and its role and position including the antonym of order, warning, emphasizing and negating in Al-Bukhari "Sahih".

Either for chapter three, it is also divided into two parts. The first part deals with the unreal antonym in Al-Bukhari "Sahih". It also talks about the negative antonym explaining its rhetoric and aesthetic from. It also deals with the rhetoric of the antonym of filtration and the rhetoric of the antonym of introduction with ample, examples from the Honorable traditions in Al-Bukhari "Sahih". The second part tackles studying the antonym of the prophet's 'hadith' which included the prophet stories and tradition in Al-Bukhari "Sahih" with giving names for them according to their topics.

Finally, chapter four is about the semantic antonym with its two types: the apparent and the hidden. A whole part is dedicated for each one of these two types. Besides, each type is divided into two types:

The structural antonym and the individual antonym.

The study ends with a conclusion that includes the findings arrived at in the study, among these are the following: antonym in the honorable hadith is of almost rhetoric to show the multiple meanings in a precise saying with avoiding decorations in speech. This distinguishes the prophetic honorable sayings from the sayings of ordinary.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر

- ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن؛ عبد الفتاح الشين، ط1، بيروت لبنان، 1982م.
- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي: د. عبد القادر فيدوح، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م.
- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت 911هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د. ت).
- أحاديث في التربية والاجتماع: الأعمال القومية لساطع الحضري، منشور ضمن سلسلة التراث القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، أبو خلدون ساطع الحصري، بيروت – لبنان، 1985.
- إحياء علوم الدين: للإمام أبي حامد الغزالي (ت 505 هـ)، مضاف إليه تخريج الحافظ العراقي، دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدبي، (د. ت).
- أساس البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ)، قراه وعلق عليه، أبو فهر، محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط1، 1991م.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: الدكتور قيس إسماعيل الأوسي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد 1982م.
- أساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغة المعاني)، د. أحمد مطلوب، ط1، بغداد – العراق، 1980م.

- الاستثناء في القرآن الكريم، نوعه، حكمه، إعرابه؛ حسن طه الحسن مطبعة الزهراء الجديدة، العراق – الموصل، 1990م.
- الإسلام وتربية الإنسان، إبراهيم سعادة، ط1، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، 1985م.
- الأسلوب: أحمد الشايب، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1945م.
- الأسلوب: أحمد الشايب، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).
- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: ركن الدين محمد بن علي بن محمد الجرجاني (ت 729 هـ)، علق عليه ووضح حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، ببيروت – لبنان، 2002م.
- الاشتقاق: لأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج (ت 316 هـ)، تحقيق: محمد صالح التكريتي، ط1، مطبعة المعارف – بغداد، 1973م.
- أصول التشريع الإسلامي: علي حسب الله، الناشر، دار المعارف القاهرة، مصر، 1976م.
- أصول الدعوة: تأليف الدكتور عبد الكريم زيدان، (د.ط)، بغداد، 1975م.
- الأصول الفنية للأدب: د. عبد الحميد يونس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1949م.
- الأضداد: ابن الدهان سعيد مبارك النحوي: (ت 569 هـ)، تحقيق محمد حسين آل ياسين، نشر ضمن (نفائس المخطوطات)، المجموعة الأولى، مطبعة الحيدرية في النجف، ط1، 1953م.
- الأضداد في كلام العرب: لأبي الطيب عبد الواحد بن علي للغوي الحلبي (ت 351 هـ)، تحقيق عزة حسن، دمشق، ط1، 1936م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد الشنقيطي (ت 1393 هـ)، وتتمة لتلميذه : عطية محمد سالم، ويليه: دفع إيهام

الاضطراب عن آيات الكتاب ورسالة منع المجاز عن المنزل للتعبد والإعجاز، اعتنى بها: صلاح الدين العلايلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1996م.

- الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم: محمد حسين سلامة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة – مصر، 2002م.
- الإعجاز العلمي في السنة النبوية الصحيحة: محمد سامي محمد علي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة – دمشق – سورية، 2007م.
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة: د. راتب النابلسي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، إعداد: د. أحمد مصطفى متولي، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة – مصر، 2005م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: تأليف مصطفى صادق الرافعي، راجهة واعتنى به الأستاذة نجوى عباس، ط1، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، 2003م.
- إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب البقلاني (ت 403 هـ)، تحقيق احمد صقر، ط3، مصر، 1972م.
- الإعجاز والإيجاز: تأليف أبي منصور الثعالبي (ت 429 هـ)، منشورات الكتب العالمية للطباعة والنشر، بيروت 1992م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع: علي صدر الدين بن معصوم المدني، تحقيق شاكر هادي شكري، ط1، النجف الأشرف – 1986م.
- الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت 739 هـ)، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب البناني، بيروت – لبنان، 1958م.
- بحوث في قصص القرآن: السيد عبد الحفيظ عبد ربه، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، 1972م.

- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، مصر (د.ت).

- البلاغة العربية في ثوبها الجديد – علم البديع، تأليف: د. بكري شيخ أمين، ج3، ط4، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 1998م.

- البلاغة العربية قراءة أخرى: د. محمد عبد المطلب، (د.ن)، القاهر – مصر، 1997م.

- البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، د. فضل حسن عباس، (د.ن)، عمان الأردن، 1989م.

- البلاغة والتطبيق: د. أحمد مطلوب، د. كامل حسين اليصير، ط1، بغداد، 1082م.

- البيان والتبيين: أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ)، وضع حواشيه موافق شهاب الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2003م.

- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، ط1، مصر، 1306هـ.

- التبيان في البيان: شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي (ت 743 هـ)، قراه وعلق عليه د. يحيى فراد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2004م.

- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن: كمال الدين عبد الواحد عبد الكريم بن الزملكاني (ت 651 هـ)، تحقيق د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، ط1، بغداد، 1964م.

- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم عبد الواحد بن أبي الأصبع المصري (ت 654 هـ)، تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف، ط1، مصر، 1957م.

- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المسمى بـ(تفسير التحرير والتنوير)، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية،(د.ت).
- التخليص في علوم البلاغة: للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (الخطيب القزويني)، ضبطه وشرحه، عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، (د. ت).
- الترغيب والترهيب من الحديث النبوي الشريف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت 656 هـ)، ط3، دار إحياء التراث العربي، 1968م، مصر، 2006م.
- التصوير الفني في الحديث النبوي، د. محمد الصباغ، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1988م.
- تفسير الجلالين وبهامشة القرآن الكريم، للإمامين الجليلين: جلال الدين بن احمد المحلى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، قدمه وعلق عليه: العلامة: محمد كريم بن سعد راجح، مكتبة النهضة، بغداد، (د.ت).
- تفسير القرآن العظيم: الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي (ت 774 هـ)، اعتنى به: أحمد عبد السلام الزعبي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (د.ت).
- التفسير الكبير: أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تميمة الحراني (728 هـ) تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن عميرة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1988م.
- التقابل والتماثل في القرآن الكريم: د. فائز القرعان، ط1، المركز الجامعي للنشر والدعاية والإعلان وقياس الرأي العام، إربد– الأردن، 1994م.
- تكوين العقل العربي: د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية – جماعة الدراسات العربية والتاريخ والمجتمع، ط7، بيروت – لبنان، 1988م.

- جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت 310 هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، السعودية، 2000م.

- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: جلال الدين السيوطي(ت 911 هـ)، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2006م.

- جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي، اعتنى به وحققه محمود النادي، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2004م.

- جماليات الأسلوب، د. فايز الداية، جامعة حلب – سوريا، 1982م.

- الجوانب التربوية في علم أصول الفقه، د، مصطفى أديب البغا، ط1، دار المصطفى للطباعة والنشر، 2007م.

- جواهر البحار في الأحاديث الصحيحة القصار: جمع وشرح وتخريج: الشيخ عبد الله بن عبد القادر التليدي، ط1، دار البشائر الإسلامية للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1998م.

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعاليبي (ت 791 هـ)، ط1، الناشر مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، 1996م.

- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: د. عز الدين علي السيد، دار الطباعة الحمدية، الأزهر – القاهرة، 1973م.

- حسن التوسل إلى صناعة الترسل: شهاب الدين محمود الحلبي (ت 725 هـ)، تحقيق ودراسة: أكرم عثمان يوسف، دار الحرية – بغداد، 1980م.

- حلية المحاضر في صناعة الشعر: أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي(ت 388 هـ) تحقيق: هلال ناجي، بيروت – لبنان، 1978م.

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: تأليف السيد أحمد الهاشمي، شرح وتحقيق: حسن حمد، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت).

- الحيوان: لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1969م.
- خزانة الأدب وغاية الإرب: تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي (ت 837 هـ)، شرح: عصام شعتيو، ط1، منشورات: دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، 1987م.
- خلق المسلم: محمد الغزالي، ط7، دار القلم، دمشق – سوريا، 1988م.
- دراسات في البلاغة العربية: الدكتور عبد العاطي غريب علام، ط1، بنغازي، 1997م.
- دراسات في البيان النبوي: الدكتور محمد رفعت أحمد زنجير، ط1، دار إمرأ للطباعة والنشر والتوزيع.
- الدعوة إلى الإسلام وأركانها، محمد عز الدين البيانوني، دار السلام، ط2، القاهرة، مصر، 1985م.
- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: الدكتور محمد ياس خضر الدوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2006م.
- دلائل الإعجاز: الإمام عبد القاهر الجرجاني، تصحيح محمد رشاد رضا، والشيخ محمد محمود التركزي الشنقطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1978م.
- ديوان ابن دراج القسطلي، دققه وعلق عليه وقدم له: محمد هلي مكي، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1389هـ.
- ديوان أبي تمام، ضبط معانيه وشرحه: إيليا حاوي، ط1، بيروت – لبنان، 1981م.
- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق: د. محمد حسين، المطبعة النموذجية الحلمية الجديدة، 1950م.

- ديوان البحتري، حققه وعلق حواشيه وقدم له: د. محمد فاروق الطباع، شركة الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، (د.ت).
- ديوان السموأل : صنعة أبي عبد الله – نفطويه، تحقيق وشرح: د. واضح الصمد، ط1، دار الجيل، بيروت – لبنان ، 1996م.
- ديوان الطغرائي: أبي إسماعيل الحسين بن علي (ت 515 هـ)، تحقيق: د. علي جواد الطاهر، ودكتور: يحيى الجبوري، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، 1976م.
- ديوان أمريء القيس، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 2004م.
- ديوان جرير: شرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، مصر، 1971م.
- ديوان دعبل بن علي الخزاعي: تحقيق: د. إبراهيم الأميوني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1988م.
- ديوان زهير، تحقيق: احمد زكي العدوي، القاهرة، 1964م.
- ديوان صفي الدين المحلي، شرحه وضبطه نصوصه: د. محمد فاروق الطباع، ط1، شركة دار الأرقم، بيروت – لبنان، 1997م.
- ديوان مجنون ليلى: قيس بن الملوح، دار الأرقم بن الأرقم للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، (د.ت).
- الرسالة التدمرية: أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تميمة الحراني (ت 728هـ)، ط5، المكتب الإسلامي، 1988.
- الرسول المعلم وأساليبه في التعليم: عبد الفتاح أبو غدة، ط3، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2003م.

- روح المعاني في تفسير العظيم والسبع الثماني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (د.ت).

- زاد المؤمنين وموعظة المتقين: نجم محي الدين الكيلاني، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بغداد – العراق، 1989م.

- زاد المعاد في هدى خير العباد: للام ابن قسم الجوزية (ت 751 هـ)، تحقيق: د. خليل شيحا، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2006م.

- زهر الأدبي وثمر الألباب: لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، (ت 453 هـ)، شرح وضبط، د. زكي المبارك، تحقيق: د. محمد محي الدين عبد الحميد، ط4، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، (د.ت).

- سر الفصاحة: أبو حمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، صححه وعلق عليه: عبد المتعال الصميدعي، القاهرة، مصر، 1953م.

- السل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: إبراهيم زايد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1405 هـ.

- سن ابن ماجة: محمد بن يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1978م.

- سنن ابن ماجة، تأليف: محمد بن يزيد القزويني (ت275هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت – لبنان، (د. ت).

- سنن الترمذي: محمد حسين عيسى الترمذي (ت219هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، (د. ت).

- سنن الترمذي: محمد بن عيسى (279 هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (د. ت).

- سنن النسائي الكبرى، المؤلف: أحمد شعيب النسائي، (ت303هـ)، تحقيق: عبد الغفار سليمان وسيد حسن كسروي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1991م.
- شرح المعلقات السبع: أبو عبد الله الحسين الزوزني، ويليه شرح معلقات الاعشى والنابغة وعبيد للتبريزي، دار الإرشاد للنشر، حمص – سوريا، 2001.
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، لأبي البقاء العكبري، المسمى التبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه – مصطفى السقا، وإبراهيم الابياري ، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، (د.ت).
- شرح ديوان الحماسة: لأبي علي محمد بن حسن المرزوقي، نشره: أحمد أمين، عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة – مصر، 1967م .
- شرح صحيح البخاري، محمد الشناوي (ت 1233هـ)، وهو هامش على كتاب مختصر صحيح البخاري، وهذا الكتاب من اختصار، الإمام أبي حمزة الازدي (699هـ)، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة – مصر (د.ت).
- شرح مواهب الفتاح: لأبي يعقوب المغربي، على تلخيص المفتاح : لجلال الدين القزويني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 2006م.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، أبي الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي (ت 455هـ)، تحقيق: علي محمد البجاري، (د.ت).
- صحيح البخاري: للأمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، ومعه من هدي الساري، شرح غريب صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2004م.

- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الالباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، الرياض، 1408هـ.
- صحيح قصص الرسول (صلى الله عليه وسلم)، شرح 200 قصة من قصص الرسول للخطباء والدعاة والوعاظ، بقلم سعد يوسف محمود أبو عزيز، المكتبة التوقيفية، القاهرة – مصر، (د.ت).
- صحيح مسلم بشرح النووي: للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي(676هـ) اخرج أحاديثه: محمد بن عيادي بن عبد الحليم، ط1، مطبعة الصفا، الأزهر– مصر، (د.ت).
- الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، د. أحمد ياسوف، تقريظ الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ونور الدين عنتر، ط2، دار المكتبي، دمشق – سوريا، 2006 م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي اليميني (ت749هـ)، مراجعة وضبط وتقديم محمد عبد السلام شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1995م.
- عارضة الاحوذي بشرح صحيح الترمذي الحافظ بن العربي المالكي محمد بن عبد الله، دار العلم للجميع، بيروت – لبنان، (د.ت).
- عالم الرواية: رولان بورنوف، ريان اوئيلية، ترجمة نهاد التكرلي، مراجعة: فؤاد التكرلي، ومحسن الموسوي، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1991م.
- العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية: بقلم الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن الحميد، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1424م.

- العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ)، تحقيق وتعليق: بركات يوسف هبود، ط1، دار محمود محمد محمد عمر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2001م.
- علم أساليب البيان: تأليف: د. غازي يموت، ط1، دار الأصالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1983.
- علم البديع: عبد العزيز عتيق، بيروت – لبنان، 1974م.
- علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، بسيوني عبد الفتاح فيّود، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2004م.
- علم البيان، دراسة تحليلية لمسال البيان: بسيوني عبد الفتاح فيود، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، 1988م.
- علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم (دراسة بلاغية)، د. مختار عطية، الناشر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية – مصر، (د.ت).
- علوم البلاغة – البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، الناشر: دار القلم، بيروت – لبنان.
- علوم البلاغة العربية، د. محمد ربيع، ط1، دار الفكر، عمان – الأردن، 2007م.
- عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري: بدر الدين أبي محمد محمود العيني (ت855هـ)، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2001م.
- عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري: بدر الدين أبي محمد محمود العيني (ت855هـ)، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، ط1، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1929م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 456 هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، القاهرة – مصر، 1943م.

- عيون الأخبار: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1973.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للأمام: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، موافقة الترقيم وتبويب الشيخ: محمد فؤاد عبد الباقي، مع تعليقات العلامة: عبد العزيز بن باز، اعتنى به: أبو عبد الله محمود بن الجميل، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة – مصر، 2003.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: الشوكاني محمد بن علي بن محمد (ت1250م)، تحقيق: علي محمد عمر، ط1، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1975م.

- فقه السيرة النبوية مع موجز لتأريخ الخلافة الراشدة، د. محمد سعيد رمضان البوطي، (د.ط)، دار الفكر، دمشق – سورية، 2008م.

- فقه اللغة العربية: د. كاصد ياسر الزيدي، (د.ط)، مكتبة دار الكتب للطباعة النشر، جامعة الموصل – العراق، 1987م.

- فن القصة، محمد يوسف نجم، ط7، دار الثقافة، بيروت– لبنان، 1979م.

- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم أمام الجوزية (ت751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ت).

- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط7، دار الشروق، بيروت – لبنان، 1978م.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ.

- قاموس الأعراب، جرجيس عيسى الأسمر، ط7، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 1979م.

- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ)، دار الجيل الجديد، بيروت – لبنان (د.ت).
- قواعد الشعر، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، القاهرة – مصر، 1966م.
- الكاشف، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، المسمى (يا لكاشف عن حقائق السنن) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط2، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، 2044م.
- الكامل في اللغة والأدب: لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي (ت285هـ)، تحقيق: د. يحيى مراد، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، 2004م.
- الكتاب: أبو بشير عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه (ت180هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محم هارون، ط3، القاهرة – مصر 1988م.
- كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة – مصر، 1952م.
- كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت175هـ)، ط2، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2005م.
- كتاب المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك، ط1، المطبعة الخيرية ، 1341م.
- كتاب المنثور في القواعد، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر الشفعي الزركشي (ت794هـ)، تحقيق: د. تيسير فائق احمد محمود، ط1، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، 1404هـ.

- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي التهاوني(ت1191هـ)، تحقيق: د. لطفي عبد البديع، ط1، المؤسسة المصرية للنشر، القاهرة – مصر، 1963م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، دار المعرفة، بيروت – لبنان (د.ت).
- كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، ضياء الدين ابن الأثير الجزري، الموصل – العراق ، 1982م.
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان – البخاري ومسلم في صحيحهما: وضعه فؤاد عبد الباقي، بيروت – لبنان، 1974م.
- لسان العرب: محمد بن كرم بن منظور الانصاري، (ت711هـ)، القاهرة – مصر (د.ت).
- المائة الثانية من وصايا الرسول (صلى الله عليه وسلم)، جمع وتقديم وتعليق: طه عبد الله العفيفي، ط1، دار البيان العربي، القاهرة – مصر، 2005م.
- المثل السار في أدب الكتاب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير الجزري ( )، تحقيق: احمد الحوفي، وبدوي طبانة، القاهرة – مصر، (د.ت).
- المجتمع المتكامل في الإسلام: د. عبد العزيز الخياط، ط3، مؤسسة الرسالة، الأردن، 1981م.
- مختار الصحاح: تأليف: محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت666هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، (د.ت).
- مختصر صحيح البخاري والمسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، للإمام زين الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي، اعتنى به: د. خليل مأمون شيحا، ط1، دار المعرفة المصرية للطباعة والنشر بيروت – لبنان، 2007م.

- المذاهب النقدية دراسة وتطبيق: د. عمر محمد الطالب، الناشر، دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل، 1993م.

- مراجعات في أصول الدرس البلاغي: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، 2005م.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، المكتبة الإمدادية، ملتان – باكستان، 1970م.

- المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الباقي عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ت).

- المستصفى من علم الأصول: لأبي حامد بن محمد الغزالي (ت505هـ)، ط1، المطبعة الاميرية بولاق، مصر، 1322هـ.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل: المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د.ت).

- مسند الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت255هـ)، تحقيق: فؤاد أحمد وخالد السبع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ت).

- مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الإسلامي، ط3، 1985م.

- المطول، شرح تلخيص المفتاح، للعلامة سعد الدين مسعود بن عصر التفازاني (ت792هـ)، ومعه حاشية العلامة: السيد الشريف الجرجاتي، صححه وعلق عليه: أحمد عنتو عناية، ط1، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.

- معالم التنزيل: الحسين بن مسعود الفراد المشهور بالبغوي (ت516هـ)، تحقيق: خالد العك، ومروان سوار، ط2، 1987م.

- معترك الاقتران في إعجاز القران: جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: علي محمد البجاري، ط1، دار الفكر العربي، 1973م.
- المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، إنعام نوال عكاوي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1996م.
- المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، مطابع شركة إعلانات الشرقية، دار التحرير للطبع والنشر، (د.ت).
- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين احمد بن فارس (ت395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عمان – الأردن، 1979م.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد أبن عبد الله بن هشام الأنصاري (ت761هـ)، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة – مصر، 2005م.
- المفاتيح العشرة للنجاح: إبراهيم الفقي، ترجمة: سلوى كمال، وفخري كمال، المركز الكندي للبرمجة اللغوية العصبية، كندا، 1999م.
- مفاتيح العلوم: للإمام اللغوي أبي عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي، عني بتصحيحه ونشره للمرة الأولى: إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة الشرق، مصر (د.ت).
- مفتاح العلوم: لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت626هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2000م.
- مقامات ابن الجوزي، تحقيق: د. محمد تعش، دار فوزي للطباعة، القاهرة – مصر، 1980م.
- المقرب: علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت669هـ)، تحقيق: احمد عبد الستار الجوادي، وعبد الله الجبوري، مطبعة المعاني، بغداد، العراق، (د.ت).

- من بلاغة القرآن الكريم، المعاني – البيان – البديع، تأليف: د. محمد شعبان علوان، د. نعمان شعبان علوان، ط2، الدار العربية للنشر والتوزيع، 1998م.

- من روائع البديع في القرآن الكريم: أحمد عبد المجيد محمد خليفة، الناشر مكتبة الآداب، 42 ميدان الأوبرا – القاهرة – مصر، (د.ت).

- من وصايا الرسول (صلى الله عليه وسلم)، شرح وتعليق: طه عبد الله العفيفي، دار المعرفة – الدار البيضاء، 1986.

- المنجد في اللغة: تأليف لويس معلوف، ط35، دار العلم، 1996م.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: لأبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، 1966م.

- منهج التربية الإسلامية: محمد قطب، ط17، دار الشروق، القاهرة – مصر، 2007م.

- الموازنة بين أبي تمام والبحتري: لأبي القاسم المحسن بن بشر بن يحيى الامدي البصري (ت370هـ)، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، 2006م.

- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: ابن يعقوب المغربي، ضمن مجموعة شرح التلخيص، القاهرة (د.ت).

- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة: يوسف الحاج احمد، ط2، مكتبة دار ابن حجر للطباعة والنشر ، دمشق – سوريا، 2003م.

- نضرة القريض في نصرة القريظ: المنظفر بن الفضل العلوي (ت656هـ)، تحقيق: نهى عارف الحسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق – سوريا، 1976م.

- نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثانية والثالث للهجرة، د. مصطفى جطل، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1981–1982م.

- النظرات: تأليف: مصطفى لطفي المنفلوطي، اعتنى به سليمان الزبيبي – خالد خادم السروجي، ط1، مكتبة ابن القيم، الدار الدمشقية، دمشق – سوريا، 2003م.

- نقد الشعر: قدامة بن جعفر (ت337هـ)، تحقيق وتعليق: د. محمد عبد المنعم الخفاجي، بيروت – لبنان، (د.ت) وكذلك النسخة بتحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، ومكتبة المثنى، بغداد 1963م.

- نهاية الإرب: شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت733هـ)، مطابع كوستاتوماس وشركاءه، القاهرة – مصر، (د.ت).

- نيل الاوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الإخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1250هـ)، الناشر إدارة الطباعة المنيرية، (د.ت).

- هدي الساري شرح غريب صحيح البخاري: للإمام ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) تحقيق خليل مأمون شيحا، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، حلب، سورية، 2002م "هذا الكتاب هو هامش كتاب صحيح البخاري".

- الوافي في شرح الأربعين النووية، تأليف: د. مصطفى البغا والدكتور محي الدين مستو، ط7، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2007م.

- الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية: تأليف: د. محمد صدقي بن احمد بن محمد البورنو أبي الحارث الغزي، 2005م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2002م.

- الوجيز في عقيدة السلف الصالح: تقديم الشيخ سعود بن إبراهيم الشريم، إمام وخطيب المسجد الحرام، ط1، مكتبة الغرباء، الدار الأثرية للطباعة والنشر، اسطنبول – تركيا، 1997م.

- الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز: تأليف: عبد العظيم بدوي الخلفي، قدم له فضيلة الشيخ: محمد صفوت نور الدين، ومحمد صفوت الشوداني، ومحمد إبراهيم شفرة، ط3، دار ابن رجب للنشر والتوزيع،2001م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي علي عبد العزيز الجرجاني (ت) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، القاهرة – مصر، (د.ت).
- وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، دار اليسر للنشر، المغرب، 1989.
- ينابيع المعرفة: مسلم جاسم حميد، ط2، مطبعة بابل ، بغداد – العراق، 1988م.

الرسائل والاطاريح الجامعية :

- ابن بطال البكري وآراؤه الكلامية في شرح ابن بطال على صحيح البخاري: عبد اله عبد اللطيف عبد الحميد، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. حميد مرعيد، كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية – بغداد ، 2007م.
- أساليب المجاز في القرآن الكريم: أحمد حمد محسن الجبوري، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. أحمد مطلوب، كلية الآداب – جامعة بغداد: 1989م.
- أسلوب الالتفات دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري: سعد عبد الرحيم احمد، أطروحة دكتوراه، إشراف، د. هناء محمود شهاب أحمد، كلية التربية – جامعة الموصل، 2007م.
- الأضداد في القران الكريم، دراسة دلالية: صكر خلف عواد الشعباني، رسالة ماجستير، إشراف: د. هاني صبري علي، كلية التربية – جامعة الموصل، 2001م.

- الأمانة في الحديث النبوي الشريف وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع، دراسة موضوعية: إياد طه العجيلي، إشراف: د. محمد رمضان عبد الله، كلية الفكر الإسلامي والدعوة والعقيدة الإسلامية – الجامعة الإسلامية – بغداد، 2005م.
- التشبيه في الحديث النبوي الشريف دراسة في متن صحيح البخاري: سعد عبد الرحيم أحمد، رسالة ماجستير، إشراف: د. هناء محمود شهاب، كلية التربية – جامعة الموصل، 1998م.
- التقابل الدلالي في القرآن الكريم: منال صلاح الدين الصفار، رسالة ماجستير، إشراف د. كاصد ياسر الزيدي، كلية الآداب – جامعة الموصل، 1994م.
- التقابل في الحديث النبوي الشريف دراسة بلاغية في كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: أسماء سعود دهام المختار، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. عبد الوهاب العدواني، 2005م.
- التوكيد اللفظي: أسلوباً بلاغياً، دراسة في متن صحيح البخاري: محمود عبد الجبار محمد جاسم المشهداني، رسالة ماجستير، إشراف: د. نزهة جعفر حسن الموسوي، كلية التربية – جامعة الموصل، 2002م.
- الجناس وتطبيقاته في صحيح البخاري: أحمد جلعو اذياب عمير الراشدي، رسالة ماجستير، إشراف د. غانم سعيد حسن، كلية التربية – جامعة الموصل، 2007م.
- الحذف والتقدير في أقوال النبي (صلى الله عليه وسلم) في صحيح البخاري: مثنى جاسم محمد الجبوري، رسالة ماجستير، إشراف د. محمد حمزة الاسدي، كلية الآداب – الجامعة الإسلامية، بغداد، 2006م.
- الطباق في القرآن الكريم دراسة بلاغية: نعم هاشم خالد سليمان الجماس، رسالة ماجستير، إشراف د. هناء محمود شهاب، كلية التربية – جامعة الموصل، 2002م.

- القصة في الحديث النبوي وأثرها في التربية: عمر محمد جاسم الجواري، رسالة ماجستير، إشراف: د. مكي حسين حمدان الكبيسي، كلية صدام لإعداد الأئمة والخطباء والدعاة، 2001م.
- الكناية في الحديث النبوي الشريف في صحيحي البخاري ومسلم: عمار إسماعيل أحمد، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. أحمد فتحي رمضان، كلية التربية – جامعة الموصل ، 2006م.
- الوصف في القصة القرآنية: ارشد يوسف عباس، رسالة ماجستير، إشراف: د. عبد الستار عبد الله صالح، كلية التربية – جامعة الموصل ، 2001م.

الدوريات

- الأضداد: أبي الفضل إبراهيم، مجلة مجمع اللغة العربية –القاهرة ج 71/17، 1964م.
- ظاهرة الطباق دلالة نفسية في شعر المتنبي: د. عبد الفتاح صالح نافع، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الجاحظ للنشر بغداد– العراق، م11، ع2، 1982م.
- اللف والنشر في القرآن الكريم دراسة تحليلية: فايز القرعان، مجلة أبحاث اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة اليرموك، اربد – الأردن، م13/ع1، 1995م.


دار المستقبل
للنشر والتوزيع



دار البداية

ناشرون وموزعون

خبراء الكتاب الأكاديمي

من روائع البديع في الحديث النبوي الشريف



دار المستقبل ...

عمان - وسط البلد ...

تلفاكس ...

ص.ب 184248 عمان 11118 الأردن

info.daralmostaqbal@yahoo.com

مختصون بإنتاج الكتاب الجامعي



9789957822217



دار البداية ناشرون وموزعون

عمان - وسط البلد

هاتف: 4640679 6 962+ تلفاكس: 4640597 6 962+

ص.ب 510336 عمان 11151 الأردن

Info.daralbedayah@yahoo.com

خبراء الكتاب الأكاديمي